المكتبة الصوفية

أجوبة ابن عربي

على أسئلة الحكيم الترمذي

إعداد وتحقيق

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار
توفيق علي وهبة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

المكتبة الصوفية

أجوبة ابن عربي
على أسئلة الحكيم الترمذي

إعداد وتحقيق

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار
توفيق علي وهبة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦م
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٣٦ شارع بورسعيد / القاهرة
ت: ٥٩٢٣٦٢٠٠ - ٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة
E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

رقم الايداع	٢٠٠٥/١٤١١٧
الترقيم الدولي I.S.B.N	977 - 341 - 222 - 9

قال تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ
يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ
﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

« صدق الله العظيم »

{سورة يونس : الآية ٦٢ }

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. أحمده -سبحانه وتعالى- حمدًا كثيرًا طيبًا. على ما أنعم به على المؤمنين من نعمة العرفان، والمواهب الجليلة التي كشفت عن الأسرار. والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي المرسل هداية للناس أجمعين. به انكشف المحجوب، ووصل السالك إلى المحبوب، فذاق العارفون طعم الإيمان، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،،

فإن الإمام الحافظ المحدث الحكيم الترمذي، وضع للسالكين في رسائله ومصنفاته معالم تنير الطريق، وتهدي إلى سبل الحق.

ومما وضعه الحكيم الترمذي مسائل روحانية في كتابه: «ختم الأولياء». وقد اطلع على هذه المسائل الإمام العارف بالله الشيخ محي الدين بن عربي فأجاب عنها إجابات الكاشف عن أسرارها، العالم بخباياها، لتكون أجوبة الإمام الشيخ الأكبر محي الدين علامات مضيئة لمن أراد أن يتعرف على طريق الولاية.

وقد سأل الإمام الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠هـ سبعًا وخمسين ومائة سؤال. جاءت في كتابه «ختم الأولياء».

والأسئلة التي سألها الحكيم الترمذي ليست الإجابة عنها في متناول عامة الناس، ولا خاصتهم. وأي قارئ للأسئلة. لابد وأن يقف أمامها صامتًا . لا لأنها طلاسم ، أو لا مفاهيم لها، أو لأنها تستعصى عن من لا يقرأ في كتب الفلسفة أو التصوف. وإنما لأنها تحتاج إلى من ذاق، ووصل، وانكشفت له الأمور انكشافًا لا ضبابية عليه.

ولما كان الإمام الأكبر محي الدين بن عربي إمامًا في الطريق والسلوك. أدرك بمشربه العرفاني والكشفي ما في أسئلة الإمام الحكيم الترمذي. ولذلك أجاب عنها في كتابه: «الفتوحات المكية». وفي مصنفه: «الجواب المستقيم فيما سأل عنه الحكيم».

وأجوبة الإمام الرباني ابن عربي على أسئلة الحكيم الترمذي. ليست من أجوبة الفلاسفة ولا المتكلمين. وقد يحاول العقلاء أن يستعملوا عقولهم فيها. فلا تستطيع عقولهم أن تخترق ما فيها. ولن تكون الإجابة عن الأسئلة من سيولة عقل وامتداد اللامعقول.

إذن أجوبة الإمام ابن عربي. جاءت من باب العرفان والهداية التي يفتح الله بها على الربانيين.

فإذا قرأ الإنسان أجوبة ابن عربي ﷺ ووقف أمامها غير عالم بها. فالعيب في القارئين. لأن من يتعرف على الأسئلة والأجوبة لابد أن يكون مؤهلاً للمدد والعطاء والفتوحات.

ومما يذكر أن الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح دعُي - بضم العين - في شهر رمضان - منذ عشرين سنة تقريبا- بعد سنة ١٩٨٦م لإلقاء حديث في مدينة كفر الشيخ - على ما يبدو -. وهناك تناول طعام الإفطار عند أحد المضيفين. وفي أثناء جلوس الدكتور أحمد السايح في غرفة الصالون لفت نظره صورة رجل مهيب وقور. فسأل الشيخ السايح من هذا؟ فقال المضيف: هذه صورة الشيخ محمد علي سلامة. وقد وضع كتاب «الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي».

ولما كان الشيخ السايح يهتم بكل ما كتب عن الحكيم. لأن رسالته للدكتوراه كانت عن «السلوك عند الحكيم الترمذي ومصادره من السنة النبوية».

فطلب الدكتور أحمد السايح من مضيفه أن يعطيه نسخة من كتاب الشيخ محمد علي سلامة الذي وضعه للأجوبة عن أسئلة الحكيم الترمذي.

ولعلنا ندرك: أن العارف بالله الشيخ محمد علي سلامة يعتبر ثاني عالم يجيب على أسئلة الحكيم الترمذي بعد الإمام ابن عربي فيما اطلعنا عليه. وكانت إجابة الإمام محمد علي سلامة بناء على رغبة الشيخ فوزي محمد أبو زيد الذي طلب منه: أن يقدم للمسلمين كتابا يتضمن إجابة مبسطة وسهلة على أسئلة الإمام الحكيم الترمذي ﷺ لأن إجابة ابن عربي لا يستفيد منها إلا خاصة الخاصة

من العلماء الراسخين في العلم.

وقد رأينا: أن نقدم للقراء الكرام، وأهل التذوق والمعرفة أجوبة الإمام ابن عربي على أسئلة الحكيم الترمذي، كما جاءت في الفتوحات المكية لينهل الناس منها، ويتأملوا ما كان عليه السلف الصالح من تقوى، وعلم، وتنسك..

ولعل ذلك يرشدنا إلى السلوك القويم، والتعرف على أهل الحق لتتمكن الأجيال من الاقتداء بهؤلاء العلماء الأجلاء.

نسأل الله أن ينفع به

إنه سميع قريب

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار
توفيق على وهبة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الإمام الرباني الشيخ/ محي الدين بن عربي

يقول ابن عربي :

أعلم : أن الدعاوى لما استطال لسانها في هذا الطريق من غير المحققين قديما وحديثا. جرد الإمام صاحب الذوق التام محمد بن علي الترمذي. مسائل تمحيص واختبار. وعددها مائة وخمسة وخمسون سؤالا. لا يعرف الجواب عنها إلا من علمها ذوقا وشربًا.

فإنها لا تنال بالنظر الفكري، ولا بضرورات العقول. فلم يبق إلا أن يكون حصولها عن تجلي إلهي في حضرة غيبية بمظهر من المظاهر فوقنا.

يكون المظهر جسميا. ووقتا يكون جسميا، ووقتا يكون جسديا، ووقتا يكون المظهر روحيا، ووقتا روحانيا.

وهذا الباب من هذا الكتاب مما يطلب إيضاح تلك المسائل وشرحها

السؤال الأول : كم عدد منازل الأولياء؟

الجواب: اعلم أن منازل الأولياء على نوعين:

حسية ومعنوية.

فمنازلهم الحسية في الجنان وإن كانت الجنة مائة درجة، ومنازلهم الحسية في الدنيا: أحوالهم التي تنتج لهم خرق العوائد.

فمنهم من يتبرز فيها كالأبدال وأشباههم.

ومنهم من تحصل له ولا يظهر عليه شيء منها وهم الملامتية وأكابر العارفين وهي تزيد على مائة منزل وبضعة عشر منزلاً وكل منزل يتضمن منازل كثيرة فهذه منازلهم الحسية في الدارين وأما منازلهم المعنوية في المعارف فهي مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل محققة لم ينلها أحد من الأمم قبل هذه الأمة .

وهي من خصائص هذه الأمة ولها أذواق مختلفة لكل ذوق وصف خاص يعرفه من ذاقه وهذا العدد منحصر في أربعة مقامات .

مقام العلم اللدني .

وعلم النور.

وعلم الجمع والتفرقة.

وعلم الكتابة.

ثم بين هذه المقامات مقامات من جنسها تنتهي إلى بضع ومائة مقام كلها منازل للأولياء ويتفرع من كل مقام منازل كثيرة معلومة العدد يطول الكتاب بإيرادها وإذا ذكرت الأمهات عرف ذوق صاحبها.

فأما العلم اللدني فمتعلقه الإلهيات وما يؤدي إلى تحصيلها من الرحمة الخاصة.

وأما علم النور فظهر سلطانه في الملأ الأعلى قبل وجود آدم بآلاف السنين من أيام الرب.

وأما علم الجمع والتفرقة فهو البحر المحيط الذي اللوح المحفوظ جزء منه، ومنه يستفيد العقل الأول وجميع الملأ الأعلى منه يستمدون وما ناله أحد من الأمم سوى أولياء هذه الأمة وتتنوع تجلياته في صدورهم على ستة آلاف نوع ومئين.

فمن الأولياء من حصل جميع هذه الأنواع كأبي يزيد البسطامي، وسهل بن عبد الله .

ومنهم من حصل بعضها وقد كان للأولياء في سائر الأمم من هذه العلوم نفثات روح في روع وما كمل إلا لهذه الأمة تشريفًا لهم وعناية بهم لمكانة نبيهم سيدنا محمد ﷺ .

وفيه من خفايا العلوم التي هي بمنزلة الأصول ثلاثة علوم : علم يتعلق بالإلهيات وعلم يتعلق بالأرواح العلوية وعلم يتعلق بالمولدات الطبيعية.

فما يتعلق منه بالإلهيات على قدم واحد لا يتغير وإن تغيرت تعلقاته والذى يتعلق منه بالأرواح العلوية فيتنوع من غير استحالة، والذى يتعلق بالمولدات الطبيعية يتنوع ويستحيل باستحالاتها وهو المعبر عنه بأرذل العمر ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

فإن المواد التي حصل له منها هذا العلم استحالت فالتحق العلم بها بحكم التبعية وكما هي أصولها ثلاث علوم.

فالأولياء فيها على ثلاث طبقات: الطبقة الوسطى منهم لهم مائة ألف منزل وثلاثة وعشرون ألف منزل وستمائة منزل وسبعة وثمانون منزلاً أمهات يحتوي كل منزل منها على منازل لا يتسع الوقت لحصرها لتداخل بعضها في بعضها ولا ينفع فيها إلا الذوق خاصة وما بقى من الأعداد فقسم بين الطبقتين وهما اللذان ظهرا برداء الكبرياء وإزار العظمة.

غير أن لهما من إزار العظمة مما يزيد على هذا الذي ذكرناه ألف منزل وبعضة وعشرون منزلاً لهذه المنازل خصوص وصف لا يوجد في منازل رداء الكبرياء.

وذلك أن رداء الكبرياء مظهره من الاسم الظاهر والإزار مظهر من الاسم الباطن، والظاهر هو الأصل والباطن نسبة حادثة ولحدوثها كانت لها هذه المنازل. فإن الفروع محل الثمر فيوجد في الفرع ما لا يظهر في الأصل وهو الثمرة وإن كان مددهما من الأصل وهو الاسم الظاهر لكن الحكم يختلف.

فمعرفتنا بالرب تحدث عن معرفة بالنفس لأنها الدليل من عرف نفسه عرف ربه وإن كان وجود النفس فرعا عن وجود الرب، فوجود الرب هو الأصل، ووجود العبد فرع.

ففي مرتبة يتقدم فيكون له الاسم الأول، وفي مرتبة يتأخر فيكون له الاسم الآخر فيحكم له بالأصل من نسبة خاصة ويحكم له بالفرع من نسبة أخرى، هذا يعطيه النظر العقلي، وأما ما تعطيه المعرفة الذوقية فهو أنه ظاهر من حيث ما هو باطن، وباطن من عين ما هو ظاهر، وأول من عين ما هو آخر وكذلك القول في الآخر وإزار من نفس ما هو رداء من نفس ما هو إزار لا يتصف أبدًا بنسبتين مختلفتين كما يقرره ويعقله العقل من حيث ما هو ذو فكر.

ولهذا قال أبو سعيد الخراز: وقد قيل له بم عرفت؟ الله فقال: بجمعه بين الضدين، ثم تلا ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ﴾(١)

فلو كان عنده هذا العلم من نسبتين مختلفتين ما صدق قوله بجمعه بين الضدين ولو كانت معقولية الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية في نسبتها إلى الحق معقولية نسبتها إلى الخلق لما كان ذلك مدحًا في الجناب الإلهي ولا استعظم العارفون بحقائق الأسماء ورود هذه النسب بل يصل العبد إذا تحقق بالحق أن تنسب إليه الأضداد وغيرها من عين واحدة لا تختلف.

---

(١) سورة الحديد،الآية ٣.

وإذا كان العبد يتصور في حقه وقوع هذا، فالحق أجدر وأولى إذ هو المجهول الذات فمثل هذه المعرفة الإلهية لا تنال إلا من هذه المنازل التي وقع السؤال عنها.

وأما عدد الأولياء الذين لهم عدد المنازل فهم ثلثمائة وستة وخمسون نفسًا وهم الذين على قلب آدم ونوح وإبراهيم وجبريل وميكائيل وإسرافيل.

وهم ثلثمائة وأربعون وسبعة وخمسة وثلاثة وواحد فيكون المجموع ستة وخمسين وثلاثمائة. هذا هو عند أكثر الناس من أصحابنا وذلك للحديث الوارد في ذلك.

وأما طريقتنا وما يعطيه الكشف الذى لا مرية فيه فهو المجموع من الأولياء الذين ذكرنا أعدادهم في أول هذا الباب ومبلغ ذلك خمسمائة نفس وتسعة وثمانون نفسًا منهم واحد لا يكون في كل زمان وهو الختم المحمدي وما بقى فهم في كل زمان لا ينقصون ولا يزيدون.

وأما الختم فهذا زمانه وقد رأيناه وعرفناه تمم الله سعادته علمته بفاس سنة خمس وتسعين وخمسمائة والمجموع عليه من أهل الطريق إنهم على ست طبقات أمهات أقطاب ولأئمة وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء.

وأما الذين زادوا على هؤلاء في الكشف فطبقات الرجال عندهم الذى يحصرهم العدد ولا يخلو عنهم زمان: خمس وثلاثون طبقة لا غير ومرتبة الختمين ولكن لا يكونان في كل زمان فلهذا لم نلحقهما بالطبقات الثابتة في كل زمان.

السؤال الثاني : أين منازل أهل القربة ؟

الجواب : بين الصديقية ونبوة الشرائع فلم تبلغ منزلة نبي التشريع من النبوة العامة ولا هو من الصديقين الذين هم أتباع الرسول. لقول الرسل. وهو مقام المقربين.

وتقريب الحق لهم على وجهين:

وجه اختصاص من غير تعمل كالقائم في آخر الزمان وأمثاله..

ووجه آخر: من طريق التعمل. كالخضر وأمثاله والمقام واحد ولكن الحصول فيه على ما ذكرناه.

ومن ثم يتبين الرسول من النبي ويعم الجميع هذا المقام وهو مقام المقربين والأفراد وفي هذا المقام يلتحق البشر بالملأ الأعلى، ويقع الاختصاص الإلهي فيما يكون من الحق لهؤلاء.

وأما المقام فداخل تحت الكسب وقد يحصل اختصاصًا ولهذا يقال في الرسالة إنها اختصاص وهو الصحيح. فإن العبد لا يكتسب ما يكون من الحق سبحانه فله التعمل في الوصول وما له تعمل فيما يكون من الحق له عند الوصول.

ومن هناك منبع العلم اللدني الذي قال الله فيه في حق عبده خضر﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1].

المعنى آتيناه رحمة علمًا من عندنا وعلمناه من لدنا وهو من الأربعة المقامات الذى هو علم الكتابة الإلهية، وعلم الجمع، والتفرقة، وعلم النور، والعلم اللدني.

واعلم: أن منزل أهل القربة يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق الذي يدرك الأرواح بل هم ممن استثنى الله تعالى في قوله:﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2].

وهذا المنزل هو أخص المنازل عند الله وأعلاها والناس فيه على طبقات ثلاث:

فمنهم: من يحصله برمته وهم الرسل صلوات الله عليهم وهم فيه على درجات يفضل بعضهم بعضًا.

---

(١) سورة الكهف،الآية ٦٥.

(٢) سورة الزمر،الآية ٦٨.

ومنهم: من يحصل منه الدرجة الثانية وهم الأنبياء صلوات الله عليهم الذين لم يبعثوا بل تعبدوا بشريعة موقوفة عليهم فمن اتبعهم كان ومن لم يتبعهم لم يوجب الله على أحد اتباعهم وهم فيها على درجات يفضل بعضهم بعضا.

والطبقة الثالثة: هي دونهما درج النبوة المطلقة التي وحيها ملك.

ودون هؤلاء الطبقات. هم الصديقون الذين يتبعون المرسلين ودون هؤلاء الصديقين:

الصديقون الذين يتبعون الأنبياء من غير أن يجب ذلك عليهم، ودون هؤلاء الصديقين الذين يتبعون أهل الطبقة الثالثة وهم الذين انطلق عليهم اسم المقربين أعنى أهل الطبقة الثالثة، ولكل طبقة ذوق لا تعلمه الطبقة الأخرى. ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[١] وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا.

والخبر الذوق وهو علم حال. وقال الخضر موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

السؤال الثالث : **فإن قيل إن الذين حازوا العساكر بأى شيء حازوا ؟**

الجواب : نذكر أولا ما معنى العساكر، وما معنى حيازتهم لهم، ثم نبين بأى شيء. حازوا فإن هذا السائل إذا أرسل سؤاله من غير تقييد لفظي أو قرينة حال. ينبغي للمجيب أن يجيب بالمعاني التي تدل عليها تلك الكلمة في اصطلاحهم. فمهما أخل بشيء منها فما وفى الكلمة حقها.

فاعلم: أن العساكر قد يطلقونها ويريدون بها شدائد الأعمال والعزائم والمجاهدت كما قال القائل:

ظل في عسكرة من حبها.

أي في شدة. واعلم أن مبنى هذا الطريق على التخلق بأسماء الله. فحاز هؤلاء

(١) سورة الكهف،الآية ٦٨.

العساكر بالتخلق باسمه: الملك فإن الملك هو الذي يوصف بأنه يحوز العساكر.

والملك معناه أيضا الشديد فلا تحاز الشدائد والعزائم إلا بما هو أشد منها يقال: ملكت العجين إذا شددت عجنه.

قال قيس بن الحطيم. يصف طعنة ملكت بها كفى فانهزت فتقها أي شددت بها كفى حين طعنته فحازوا العساكر بالطريقين باسمه الملك فأما الشدائد التي حازوها في هذا الباب فهي البرازخ التي أوقفهم الحق في حضرة الأفعال من نسبتها إلى الله ونسبتها إلى أنفسهم فيلوح لهم مالا يتمكن لهم معه أن ينسبوها إلى أنفسهم ويلوح لهم مالا يتمكن لهم معه أن ينسبوها إلى الله.

فهم هالكون بين حقيقة وأدب

والتخليص من هذا البرزخ من أشد ما يقاسيه العارفون فإن الذي ينزل عن هذا المقام يشاهد أحد الطرفين فيكون مستريحا لعدم المعارض.

واعلم: أن صاحب هذا المقام هو الذي أعلمه الله بجنوده الذى لا يعلمها إلا هو قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[١] وقال﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[٢] فصاحب هذا المقام يعرفه جنود الله الذين لا حاكم عليهم في شغلهم إلا الله ولهذا نسبهم إليه فهم الغالبون الذين لا يغلبون فمنهم الريح العقيم ومنهم الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل وكل جند ليس لمخلوق فيه تصريف هم العساكر التي حازها صاحب هذا المقام علما.

وقال ﷺ فيهم: (نصرت بالصبا وقال نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر) فإذا منح الله صاحب هذا المقام علم هؤلاء العساكر رمى بالحصى في وجوه الأعداء. فانهزموا كما رمى رسول الله ﷺ في غزوة حنين فله الرمى وهم لا يكون منهم غلبة إلا بأمر الله.

---

(١) سورة المدثر:الآية ٣١.
(٢) سورة الصفات:الآية ١٧٣.

ولهذا قال:﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[١] وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فكل منصور بجند الله فهو دليل على عناية الله به ولا يكون منصورا بهم على الاختصاص إلا بتعريف إلهي فإن نصرة الله من غير تعريف إلهي فليس هو من هذه الطبقة التي حازت العساكر فلابد من اشتراط النصر حقا في ذلك القصد.

وصاحب هذا المقام يعين لأصحابه مصارع القوم كما فعل رسول الله ﷺ في غزوة بدر فإنه ما من شخص من أجناد الله إلا وهو يعرف عين من سلط عليه، ومتى يسلط عليه، وأين يسلط عليه فتتشخص الأجناد لصاحب هذا المقام فيقول هذا هو مصرع فلان وهذا هو مقام الإمام الواحد من الإمامين.

وأقرب شيء ينال به هذا المقام البغض في الله. والحب في الله فتكون همم هذه الطبقة وأنفاسهم من جملة العساكر التي حازوها بما ذكرناه وهو الموالاة في الله والعداوة في الله عن عزم وصدق مع كونهم لا يرون إلا الله.

فيجدون من الانضغاط وكظم الغيظ ما لا يعلمه إلا الله والعين تحرسهم في باطنهم هل ينظرون في ذلك أنه غير الله فإذا تحققوا ذلك حازوا عساكر الحق التي هي أسماؤه سبحانه. إذ أسماؤه تعالى عساكره وهي التي يسلطها على من يشاء. ويرحم بها من يشاء فمن حاز أسماء الله فقد حاز العساكر الإلهية.

ورئيس هؤلاء الأجناد الإسمائية كما قلنا الاسم الملك هو المهيمن عليها ومن عداه فأمثال السدنة له ويكفي هذا القدر في الجواب عن هذا السؤال.

السؤال الرابع : فإن قال: إلى أين منتهاهم ؟

الجواب : - لا شك - ولا خفاء أن هذه الطبقة هم أصحاب عقد وعهد وهو قوله: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[٢] فإذا حصلت هذه الطبقة فيما قلنا في غزوهم وسلكوا سبيل جهادهم كان منتهاهم إلى حل ما عقدوا عليه ونقض ما عسكروا إليه .

---

(١) سورة الأنفال،الآية ١٧.

(٢) سورة الأحزاب،الآية ٢٣.

وذلك أن الأعيان التي عسكروا لها وعقدوا مع الله أن يبيدوها. فلما توجهوا بعساكرهم التي أوردناها إليها. كانت آثار تلك العساكر فيها إيجاد أعيانها وهو خلاف مقصود العارف بهذه العساكر إذ كان المقصود إذهاب أعيانها وإلحاقها بمن لا عين له.

وما علم أن الحقائق لا تتبدل وأن آثار العساكر فيها الوجود إذ كان سبق العدم لها لعينها فلا تؤثر فيها هذه العساكر العدم، لأن العدم لها من نفسها، فلم يبق إلا الوجود فوقع غير مقصود العارف.

وعلم عند ذلك العارف أن تلك الأعيان مظاهر الحق فكان منتهاهم إليه وبدأهم منه وليس وراء الله مرمى: فإن قلت: فالذات الغنية عن العالمين وراء الله.

قلنا ليس الأمر - كما زعمت - بل الله وراء الذات وليس وراء الله مرمى فإن الذات متقدمة على المرتبة في كل شئ بما هي مرتبة لها فليس وراء الله مرمى فحصلوا من العلم بالله ما لم يكن عندهم بالقصد الأول حين حازوا العساكر وكان الذي حجبهم ابتداء عن هذه المعرفة غيرتهم أن يشترك الحق مع كون من الأكوان في حال أو عين أو نسبة فلهذا كان مقصودهم أن يلحقوا الأعيان بمطلق العدم وهو المقام الذي تشير إليه الباطنية بقولها في جواب من يقول لها الله موجود. فنقول ليس بمعدوم.

فإذا قلت لهم: الله حي. نقول: ليس بميت. فإن قيل لهم فالله قادر قالت: ليس بعاجز فلا تجيب قط بلفظة تعطى الاشتراك في الثبوت فنجيب بالسلب وهذا كله من باب الغيرة ولا تقدر تنفى الأعيان فتستعين بهؤلاء العساكر على إعدام هذه الأعيان وزوال حكم الثبوت منها فتجد العساكر توجدها وتكسوها حلة الوجود.

فإذا رأت أنها مظاهر الحق رضيت بأن تبقيها أعيانا ثابتة ولا تراها موجودة ويكون عين شهودها ناظرة فيها إلى وجودِ الحق وأنه لا وجودا كنسبته من الحق بل حكمها مع الوجود حكمها ولا وجود وأن الذي ظهر ما هو غير هذا

غايتها، وهو قوله﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾[١] فكان منتهاها ربها فأما من كانت عساكره العزائم فمنتهاه إلى الرخص من طريقين:

الطريق الواحدة أحدية المحبة فبهما فيكون منتهاهم إلى شهودها وهو الذي أشار إليه ﷺ بقوله: (إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما تؤتي عزائمه). فينحل عقد الأخذ بالعزائم بهذه المشاهدة لكونه يفوته من العلم بالله على قدر ما فاته من الأخذ بالرخصة.

والطريقة الأخرى:

تنتهي بهم إلى شهود كونه في العزائم هو عين كونه في الرخص وهم لا نسبة لهم في واحدة منهما فينحل ما عقدوا عليه انحلالا ذاتيا لا تعمل لهم فيه .

ومن هذا المقام يقول بعضهم بتفضيل الرسل بعضهم على بعض على أنه في نفس الأمر كما ورد في الخطاب من قوله﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٢] فينتهي بهم هذا الأمر إلى حل عقد التفضيل بقوله:﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[٣] لا نفرق بين أحد من رسله ومن فضل فقد فرق فلولا وحدانية الأمر ما كان عين الجمع عين الفرق كما أن السالك يمشي حنبليا أو حنفيا مقتصرا على منهب بعينه يدين الله به لا يرى مخالفته فينتهي به هذا المشهد إلي أن يصبح يتعبد نفسه بجميع المذاهب من غير فرقان.

ومن هنا يبطل النسخ عنده الذي هو رفع الحكم بعد ثبوته لا إنقضاء مدته فإلى ما ذكرناه منتهاهم على حسب ما أعطته عساكرهم فإن العساكر تختلف فإن جند الرياح ما هي جند الطير وجند الطير ما هو جند المعاني الحاصلة في نفوس الأعداء كالروع والجبن.

فمنتهى كل عسكر إلى فعله الذي وجه إليه من حصار قلعة وضرب مصاف

---

(١) سورة النازعات:الآية ٤٤.
(٢) سورة البقرة:الآية ٢٥٣.
(٣) سورة البقرة:٢٨٥.

أو غارة أو كبسة كل عسكر له خاصية في نفس الأمر لا يتعداه.

قال تعالى في الطير ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ ﴾(١) وقال في الريح ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾(٢) وقال في الرعب ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾(٣) فانظر منتهى كل عسكر إلى ما اثر في نفس من عسكر إليه فالحق لا يتقيد إذ كان هو عين كل قيد.

فالناس بين محجوب وغير محجوب جعلنا الله ممن أشهد الحق في عين حجابه وفي رفع حجابه. وفيم كان له من وراء حجابه.

السؤال الخامس: فإن قيل قد عرفنا أينية منازل أهل القرية وأينية منتهى العساكر ومنتهى من حازها فأين مقام أهل المجالس الحديث ؟

الجواب : أما أهل المجالس المحدثون فمجالسهم خلف الحجاب الأنزل الأقدس في النزول. ولهم ست حضرات. لهم في الحضرة الأولى ثماية مجالس، المجلس الثاني والسادس من يسمى مجالس الراحات وهي من باب رفق الله بالعباد الذين لهم هذه الأحوال ومجلسان الأول الذي هو الرابع والثامن فهما مجلسا الجمع بين العبد والرب ومجلس الفصل بين العبد والرب على مراتب أبينها.

وأما الأربعة مجالس التي بقيت فالحديث فيها على مراتب متعددة وكذلك الحضرة الثانية والحضرة الرابعة فيها ثمانية مجالس على ما ذكرناه وأما في الحضرة السادسة فمجلسان وأما في الحضرة الثالثة فستة مجالس، وأما في الحضرة الخامسة فأربعة مجالس وانتهت أمهات مجالس أهل الحديث مع الله من حيث هم محدثون لا من حيث لهم مجالس.

وأما أهل المجالس لا من كونهم محدثين فهم أهل الشهود وهم على أربع مراتب في مجالسهم، فالمحدثون جلوسهم من حيث هم من خلف ذلك الحجاب وأهل

---

(١) سورة الفيل،الآية ٤.
(٢) سورة الذاريات،الآية ٤٢.
(٣) سورة الحشر،الآية ٢.

المجالس فمن حيث المراتب التي أعد لهم الحق فمنهم من أعد لهم منابر ومنهم من أعدلهم أرائك. ومنهم من أعد لهم كراسي، ومنهم من أعد لهم درانك والكل يشهدون جليسهم من غير حديث من الطرفين.

فلنذكر مجالس أهل الحديث وهي ثمانية ولربعون مجلسا، وعند الحكيم الترمذى ستة وخمسون مجلسا، لأن الترمذي يراعى من الإنسان حظ طبعه فيزيد اثنى عشر مجلسا وهو الصحيح ومن يقتصر منا في الإنسان على روحانيته من غير طبيعته فهي ستة وثلاثون مجلسا فلهذا وقع الخلاف بيننا وبين العلماء من أهل هذه المجالس.

فمنا من اعتبر ذلك ومنا من لم يعتبر والأولى اعتبارها. فأما مجالس الجمع بين العبد والرب فأربعة مجالس يعلم فيما يحادثه به الحق فيها كيف يخاطب الخلق من أجل الله وكيف يثني على الحق تبارك وتعالى ويعلم معنى قوله﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1] ويحادثه فيها بمثل قوله ﴿ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[2] فيعرف من أين طيب له وبما طيب له وبما طاب له ويعلم الاسم الآخر ما نسبته إلى الحق وما حظ العبد منه ويعلم ما يقول كلما ورد على ملأ أعلى من روح وبشر في السموات والأرض ويعلم شهادة التوحيد بالنسبة إلى الله وبالنسبة إلى الملائكة وبالنسبة إلى العلماء من البشر الحاصلة لهم من باب الشهود لا من باب الفكر.

ويعلم منازل الرسل ومن أين خصوا بما خصوا به وبماذا يفضل بعضهم بعضا وبماذا لا يفضل ومن أي نسبة ينسبون إلى الله وأشياء غير هذا محصورة وأما مجالس الفصل فيحصل فيها ما يحصل في هذه المجالس من طريق أخرى وذوق آخر غير أنه يختلف عليه الحال عند إنتهاء المجالسة بمشاهدة أسماء الهية لم يكن يعرفها قبل ذلك أو بمشاهدة أسماء إلهية من حيث أعيان أكوان خاصة أو بمشاهدة أعيان أكوان خاصة من غير ارتباط بأسماء إلهية إن كانت في نفس الأمر مرتبطة بها.

---

(١) سورة النمل،الآية ٨.
(٢) سورة البقرة،الآية ١٦٨.

ولكن يكون بينها وبين هذا العبد حجاب رقيق وأما المجالس الأربعة التي بقيت ذات المراتب فسأذكر ما يكون فيها وفي هذه الست الحضرات من الحديث في الفصل الثامن في سؤاله ما حديثهم ونجواهم وهذه المجالس أيضا توجد في الحضرة الثانيةوالرابعة، وأما الحضرة الثالثة فمجالسها ستة مجالس وأما الحضرة الخامسة ففيها أربعة مجالس، وأما الحضرة السادسة ففيها مجلسان وهذه كلها مجالس أهل الحديث لا مجالس الشهود إلا عند بعض العارفين.

فإنه قد تكون مجالس شهود متخيل من خلف حجاب الخيال وأما الاثنا عشر مجلسا الذى لهم على مذهب الترمذي كما قررنا وهي تمام الثمانية والأربعين مجلسا فحديثهم فيها نذكره عند ذكر الستة والثلاثين مجلسا في الفصل الثامن إن شاء الله فإن ذلك الفصل سورته.

السؤال السادس : فإن قلت كم عددهم؟

الجواب : عدد أهل بدر. أهل الحديث منهم أربعون نفسا وما بقى فلهم مجالس الشهود من غير حديث فإن الحديث للحضور مع المعنى الذي يعطيه الكلام لا مع المتكلم إلا أن يكون المتكلم بحيث يتخيله السامع فيجمع بين الحديث والشهود.

ولكن ما هو الشهود المطلوب لأهل الأذواق فلابد أن تكون لنت من حيث أنت للاستفادة عند الحديث ولكن تسمعه لا بعينك بل بظهوره فيك فمن كونك مظهر تسمع ومن كونك عينا تكون مظهرا فافهم.

وقد أشار لسان الخبر الصدق إلى هذا العدد بقوله: (من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) اي كان من الحديث بالله عن الله والصباح ظهور عين العبد مظهرا لا عينا وبطون عينه في مظهره كبطون الليل عند وجود الصباح.

والأربعون إشارة إلى أعيان هؤلاء الأشخاص فهو عين ما قلنا أن أهل الحديث منهم أربعون نفسا فبقى أهل المجالس من غير حديث مائتين وثلاثة وسبعين

نفسا وهم تمام الثلثمائةوالثلاثة عشر.

فجلوسهم جلوس مشاهدة للاستفادة من حيث أن أعيانهم مظهر لبصر الحق فيرونه به وهم غيب في ذلك المظهر وتكون استفادتهم من ذلك التجلي استفادة أصحاب الرصد فتعطيهم الأرصاد العلوم من غير حديث لكنه معنوي بدلالات ظاهرة تقوم تلك الدلالات مقام الخطاب بالحروف والإشارات في عالم الحروف والإشارات.

فالغرض الحاصل من هذه المجالس سواء كانت مجالس شهود أو حديث حصول علو ينتقش في عين هذا المظهر من نظر أو سماع وهؤلاء هم المعتنى بهم من أهل الله.

السؤال السابع : فإن قلت بأي شيء استوجبوا هذا على ربهم تبارك وتعالى؟

الجواب : الأدب الإلهي. أن لا يجب على الله شيء بإيجاب موجب غير نفسه. فإن أوجب هو على نفسه أمرا ما فهو الموجب والوجوب والموجب عليه لا غيره ولكن إيجابه على نفسه لمن أوجب عليه مثل قوله ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾(١) يعني الرحمة الواسعة فأدخلها تحت التقييد بعد الإطلاق من أجل الوجوب ومثل قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ ﴾(٢) انه لآية فهل هذا كله من حيث مظاهره أو هو وجوب ذاتي لمظاهره من حيث هي مظاهر لا من حيث الأعيان.

فإن كان للمظاهر فأوجب على نفسه إلا لنفسه فلا يدخل تحت حد الواجب ما هو وجوب على هذه الصفة فإن الشيء لا يذم نفسه وإن كان للأعيان القابلة لأن تكون مظاهر كان وجوبه لغيره. إذ الأعيان غيره والمظاهر هويته فقل بعد هذا البيان ما شئت في الجواب

ويكون الجواب بحسب ما قيده الموجب فاستوجبوا ذلك على ربهم في موطن بكونهم يتقون ويؤتون الزكاة على مفهوم الزكاة لغة وشرعا: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم

---

(١) سورة الأعراف،الآية ١٥٦.
(٢) سورة الأنعام،الآية ٥٤.

بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾[1] فهؤلاء طائفة مخصوصة وهم أهل الكتاب فخرج من ليس بأهل الكتاب من هذا التقييد الوجوبي وبقى الحق عنده من كونه رحمانا على الإطلاق واستوجبت طائفة أخرى ذلك على ربها إنه : (من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح) فقيد بالجهالة فإن لم يجهل لم يدخل في هذا التقييد ؛ بقيت الرحمة في حقه مطلقة ينتظرها من عين المنة التي منها كان وجوده أي منها كان مظهرا للحق لتتميز عينه في حال اتصافها بالعدم المطلق الذي لا عين فيه.

ألا ترى إبليس كيف قال لسهل في هذا الفصل يا سهل: التقييد صفتك لا صفته فلم ينحجب بتقييد الجهالة والتقوى عما يستحقه من الإطلاق فلا وجوب عليه مطلقًا أصلاً فمهما رأيت فاعلم أن التقييد يصحبه.

وأما من رأى أنهم استوجبوا ذلك على ربهم من غير ما ذكره تعالى عن نفسه فقالوا ببذلهم مراكبهم في زمان الزيادة طلبًا للمواصلة وإيثارا الجناب الحق في زعمهم وإن كان في ذلك نقص عين الكمال التام بهذه المراعاة فهذا عندي مثل ما قال الشاعر لعمر بن الخطاب حين حبسه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرح ... حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر هداك مليك الناس يا عمر

ما آثروك بهذا إذ قدموك لها ... لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

فإن كانوا بذلوا مراكبهم عن طلب إلهي يقتضي ذلك وجوبًا إلهيا كان مثل الأول فإنه لو لم يرد عنه تعالى الوجوب على نفسه لم نقل به. فإنه سوء أدب من العبد أن يوجب على سيده.

غير أن هنا لطيفة دقيقة لا يشعر بها كثير من العارفين بهذه المجالس. وذلك أنه كما نطلبه لوجود أعياننا يطلبنا لظهور مظاهره فلا مظهر له إلا نحن. ولا ظهور لنا إلا به. فبه عرفنا أنفسنا وعرفناه وبنا تحقق عين ما يستحقه الإله.

---

(١) سورة الأعراف،الآية ١٥٦.

فلـــولاه لــــا كنــــا   ولـولا نحـن مــا كانــا
فـبان قلنــا بأنـــا هـــو   يكـــون الحـــق إيانـــا
فـــأبدانا وأخفــــاه   وأبـــداه وأخفانــــا
فكـــان الحـــق أكوانــــا   وكنـــا نحـــن أعيانـــا
فيظـــهرنا لنظـــهره   ســـرارا ثـــم إعلانـــا

فما وقفوا على هـذه الحقـائق مـن نفوسـهم ونفـوس الأعيـان سـواهم تمـيز وأعلى من سواهم بأن علموا منهم ما لم يعلموا من أنفسهم.

واطلع الحق على قلوبـهم فـرأى مـا تجلـت بـه ممـا أعطتـها العنايـة الإلهيـة وسابقة القدم الربانى استوجبوا على ربهم ما استوجبوه من أن يكونـوا أهـلا لهـذه المجالس الثمانية والأربعين.

السؤال الثامن: فإن قلت عن أهل هذه المجالس ما حديثهم ونجواهم ؟

الجواب : قلنا: فـى الجـواب بحسـب الاسـم الـذى يقيمـهم فـلا يتعـين علينـا تعيينـه ولكـن الأصـول الإلهيـة محفوظـة وذلـك أن حديـث أهـل الحضـرة الأولى في مجالسـتهم فيـها والمجلس الأول الـذى بـين المثلـين مـن اسمـه الظـاهر، والمبـدئ، والباعث.

وكل اسم يعطى البروز ووجود الأعيان تحدث الحق فيه بلسـان حيـاة الأوراح وحياة الهياكل السفلية في البرزخ وعالم الحسن والمحسوس والعقل والمعقول وبلسـان من ضاع عن الطريـق وانجبر إليـه بعـد مـا انكسـر خـاطره وخـاف الفـوات وبلسـان أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى بين أنـه أعطـى كـل شـئ خلقـه ففـرق بـين قولـه وأغلـظ عليـهم وقولـه لـه بعينـه﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] وقال لموسـى وهـارون ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[2] ليقـابل بـه غلاظة فرعون فينكسر لعدم المقاوم إذ لم يجد قوة تصـادم غلظتـه فعـاد أثرهـا

---

(١) سورة آل عمران،الآية ١٥٩.
(٢) سورة طه،الآية ٤٤.

عليه فأهلكته بالغرق.

فباللين هلك فرعون فأعطى كل شئ خلقه فى وقته فيحدث نشأة الإنسان مع الأنفاس ولا يشعر وهو قوله تعالى ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] يعنى مع الأنفاس وفي كل نفس له فينا إنشاء جديد بنشأة جديدة .

ومن لا علم له بهذا فهو فى لبس من خلق جديد، لأن الحس يحجبه بالصورة التى لم يحس بتغييرها مع ثبوت عين القابل للتغيير مع الأنفاس. .

وبلسان طلب الاستقامة فى المزاج نظر العقل فى فكره ومزاج الحواس فيما تنقل إليه ومزاج القوى الباطنة فيما تؤديه من الأمور للعقل فإنه إذا اختل المزاج ضعفت الإدراكات عن صحة النقل فنقلت بحسب ما له انتقلت فكانت الشبه والمغالط فعقل العقل للجهل علما فيصير العدم وجودا .

وبلسان إزاحة الأمور التى توجب عدم المواصلة والمراسلة ففى الحضرة الأولى أربعة مجالس مما تشاكل ما ذكرناه ومثلها في الثانية والرابعة.

وأما فى الحضرة الثالثة من هذه المجالس فثلاثة، وفى الخامسة إثنان ، وفي السادسة واحدة على هذه المشاكلة ، لكن فى كل حضرة فنون مختلفة ولكن لا نخرج عن هذا الأسلوب وأما مجالس الراحات فى الحضرة الأولى والثانية والرابعة هى ستة مجالس فيها أحاديث معنوية عن مشاهدة كما قيل:

تكلم منا فى الوجوه عيوننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

وكما قلنا فى هذا الشكل:

والهوى بيننا يسوق حديثا ... طيبا مطربا بغير لسان

وهى المجالس التى بين الضدين يحصل منها علم الاعتماد والكشف عن السابق والبرزخ الذى بين الضدين كالفاتر بين الحار والبارد وكالأسماع بين المخافتة والجهر وكالتبسم بين الضحك والبكاء.

---

(١) سورة الواقعة،الآية ٦١.

وكل ضدين ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] فهو مجلس راحة وليس بين النفي والإثبات برزخ وجودي فصاحبه ينقطع فى الحال لأحد الطرفين لأنه لا يجد حيث يستريح فالبرازخ مواطن الراحات .

الا ترى أن الله جعل النوم سباتا أى راحة لأنه بين الضدين الموت والحياة، فالنائم لا حي ولا ميت فأمثال هذه العلوم هى التى يقع بها الحديث لهم ونجواهم وفى الحضرة الثالثة والخامسة مجلس واحد فى كل حضر والحضرة السادسة لا مجلس فيها من مجالس الراحة .

وأما مجالس الفصل بين العبد والرب فقد ذكرنا من حديثه طرفا آنفا فى السؤال الرابع من هذه السؤالات وأما الحضرة السادسة والخامسة فليس فيهما من هذه المجالس مجلس البتة.

وأما مجالس الفصل الثانى بين العبد والرب فهى ستة مجالس لا سابع لها فى كل حضرة من الست مجالس واحد يفصل به بين العبد والرب من حيث ما هو العبد عبد ومن حيث ما هو الرب رب .

ومجالس الفصل الأول بين العبد والرب من حيث ما هو عبد لهذا الرب ومن حيث ما هو رب لهذا العبد فهو فصل فى عين وصل وهذه المجالس الأخر فصل فى فصول. لا وصل فيها فيحصل له ما يشاء. كل هذا الفن من العلم الإلهى إذا كنت لا تعلمه إلا من نفسك ولا تعلم نفسك إلا منه فهو يشبه الدور ولا دور بل هو علم محقق.

وأما الإثنا عشر مجلسا التى يراها الترمذى الحكيم صاحب هذه السؤالات وبها تكمل الثمانية والأربعون من المجالس، فإن الأرواح العلوية لا نعلمها وليس لها فيها قدم مع الله. وهى مخصوصة بنا من أجل الدعوى فإذا تجسدت الأرواح العلوية نبعت الدعوى جسديتها فربما تدعى فإن ادعت ابتليت.

وفى قصة آدم والملائكة تحقيق ما ذكرناه فابتليت بالسجود جبرا لما أخذت من طهارتها الدعوى فكان ذلك للملائكة كالسهو فى الصلاة للمصلى فأمر المصلى

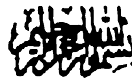
---

(١) سورة الرحمن،الآية ٢٠ :٢١.

أن يسجد لسهوه كذلك أمرت الملائكة أن تسجد لدعواها فإن الدعوى سهو فى حقها فكان ذلك ترغيما للدعوى لا لهم كما كان سجود السهو منا ترغيما للشيطان لا لنا.

فاعلم ذلك فأما هذه المجالس الاثنا عشر فستة منها تلتحق بالمجلس الذى بين المثلين والستة الباقية تلتحق بمجالس الفصل الثانى بين العبد من حيث ما هو عبد وبين الرب من حيث ما هو رب.

لكن تختلف الأذواق فى ذلك آيات هذا السؤال من القرآن ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾[١] وقوله ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾[٢] وقوله ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾[٣] وقوله ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾[٤] إلى آخرها والمدار على القطب انتهى الجزء الثمانون.



السؤال التاسع: فإن قلت فبأي شيء يفتتحون المناجاة ؟

الجواب : قلنا: بحسب الباعث والداعى لها. وذلك أن الحق إذا أجلسهم هذه المجالس التى ذكرناها فإنما يجلسهم الحق فيها بعد قرع وفتح استفتاح وذلك أنهم سمعوا الحق يقول :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾[٥] ثم قال: ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ ﴾[٦] وقال فى إنزال الرسول منزلة الحق نفسه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ ﴾[٧] وقال ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٨] لأنه به يدعو إليه سبحانه. وقال ﷺ : (الكلمة الطيبة صدقة) وقال: (يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة وأفضل الصدقات تصدق الإنسان بنفسه وأفضل ما يخرجها عليه من

---

(١) سورة يسن:الآية ٤٠.
(٢) سورة يس:الآية ٣٩.
(٣) سورة التكوير:الآية ١٥.
(٤) سورة البروج:الآية ١.
(٥) سورة المجادلة:الآية ١٢.
(٦) سورة المجادلة:الآية ١٣.
(٧) سورة الأنفال:الآية ٢٤.
(٨) سورة النساء:الآية ٨٠.

يخرجها على نفسه). فإذا إذا أراد العبد نجوى ربه فليقدم بين يدى نجواه نفسه لنفسه فإن النجوى سامع ومتكلم والعبد إن لم يكن الحق سمعه فمن المحال أن يطيق فهم كلام الله.

وإن لم يكن الحق لسان العبد عند النجوى فمن المحال أن تكون نجواه صادقة الصدق الذى ينبغى أن يخاطب به الله. فأذن الحق ناجى نفسه بنفسه والعبد محل الاستفادة لأنها أمور وجودية. والوجود كله هو عينه والعبد يصدق بنفسه على نفسه لأنها أفضل الصدقات استفتاحا لنجوى ربه فكانت المناسبة بين النجوى وما افتتحت به كون الصدقة رجعت إليه.

وكون الحق كانت نجواه بينه وبينه فما سمع الحق إلا الحق ولا نصدق العبد الأعلى العبد فصحت الأهلية فمن كان استفتاحه هكذا كان من أهل المجالس والحديث وأما منهب الترمذى فإن الذي يفتتحون به المناجاة إنما هو تلبسهم بالكبرياء ثم يتعرون من بعضه بوجه خاص ويبقون عليهم ما يليق أن يسمع به كلام الحق ويكلم به الحق لتصح النجوى فيكون الابتداء من العبد فيكون له الأولية فى هذا الموطن وهو وجه صحيح .

وهذا هو الباعث الوضعي والذى ذكرناه أولا هو الباعث الذاتى .فإن نجوى هذه الطائفة فى هذا الحال بمنزلة الصلاة في العامة فإنه من هذه الحضرة التى ذكرناها خرج التكليف بها على ألسنة الرسل للعباد وشرع فيها التكبير لما ذكرناه والصلاة مناجاة .

ومن أهل الله من يجعل عاقبة الأمور استفتاحا فيردها أولا إذا كان المطلوب عين العواقب كمن يطلب الاستظلال فأول ما يقع عنده وجود السقف وهو آخر ما يقع به الفعل لأن وجوده موقوف على وجود أشياء.

فإذا كان من الأمور التى لا توقف لوجوها على شيء كان عين العاقبة عين السابقة فيكون استفتاح العمل بالعاقبة وهى طريقة عجيبة عملنا عليها وناجينا بها فى هذا المقام .

ولكن لابد أن تكون النجوى كما قررنا بسمع الحق وكلام الحق لأن الحقيقة تأبى أن يكلمه غير نفسه أو يسمعه غير نفسه فقد أعلمتك بماذا يفتتحون المناجاة أهل المجالس والحديث.

السؤال العاشر : فإن قلت بأى شىء يخفونها ؟

الجواب : فلنقل بالمنزلة التى يعطيهم ذلك الاستفتاح والافتتاح مختلف فالختام مختلف ايضا فلا يتقيد غير أنه ثم أمر جامع وهو الوقفة بين الأسمين بين الاسم الذى ينفصل عنه وبين الاسم الذى يأخذ منه فإن بينهما أسما إلهيا خفيا به يقع الختم ولا يشرع به ألا أهل المجالس والحديث وهو وجود سار فى جميع الموجودات لكن لا يشعر به لدقته.

كالخط الفاصل بين الظل والشمس يعقل ولا يدرك بالحس وهى الحدود بين الأشياء لها لكل من هى بينهما وجه خاص مع كونها لا تنقسم فهى بذاتها مع كل محدود ولهذا يعز العثور على الحدود الذاتية بخلاف الحدود الرسمية واللفظية التى بأيدى العلماء.

فقد يكون ذلك الذى يختم به دليل كون وقد يكون دليل عين وقد يكون دليل ذات لا تقبل المظاهر وهذا أعلى ما تختم به النجوى عندهم ودونه دليل كون وهو ما يعطى مظهرا ما ودونه دليل عين وهو الذى لا يقبل التغيير وهو المعبر عنه بباطن المظهر.

واعلم: أن الأمر فى النجوى دائرة تنعطف بطلب أولها فيكون عين الختم هو عين الافتتاح فتنقسم بين أول وآخر، وظاهر وباطن.

فإذا ابتدأ فهو الظاهر فإذا انتهى صار الظاهر باطنا وعاد الباطن ظاهرا فإن الحكم له فيبطن الختم فى الافتتاح عند البدء ويبطن الافتتاح فى الختام عند النهاية.

قيل في رسول الله ﷺ : أنه خاتم النبيين فبطن بظهور ختمه كونه نبيا وآدم بين الماء والطين ولما ظهر كونه نبيا وآدم بين الماء والطين واستفتح به

مراتب البشر كان كونه خاتم النبيين باطنا فى ذلك الظهور.

وأما الإلهية فالوجود منه وإليه يرجع الأمر كله فاعبده بينهما وتوكل عليه فيهما ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(١) حيث أنتم مظاهر أسمائه الحسنى، وبها تسعدون وتشقون ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾(٢) والله معكم ولن يتركم أعمالكم فسلم الأمر إليه واستسلم تكن موافقا لما هو الأمر عليه فى نفسه فتستريح من تعب الدعوى بين الافتتاح والختم والله يقول﴿ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾(٣).

السؤال الحادى عشر: بماذا يجابون ؟

الجواب : بحسب حالهم ووقتهم وحالهم ووقتهم بحسب الاسم الذى هو الحاكم فيهم بين الافتتاح والختم.فإنه بين الختم والافتتاح تكون أسماء كثيرة إلهية هى الناطقة فى تلك الأعيان من أهل المجالس والحديث.

فيكون الجواب بحسب ما وقع به حكم الاسم ولكن ما يجابون إلا باسم ولابد فإن كان الحديث معنويا عن شهود فقد يقع الجواب بالذات معراة من الأسماء. وهو بمنزلة المجاز من الحقيقة ويجتمع هذا مع الحديث فى الإفادة والاستفادة فمن راعى الاستفادة والإفادة ألحق هذا المقام بأهل المجالس والحديث وهو الذي قصده الترمذى لكونه قال: أهل المجالس والحديث ولم يقل أهل الحديث خاصة.

ومن الناس من لا يراعى سوى الحديث فلا يجعل فى هذه الحضرة حكما لحديث معنوي حالى فإنه يقول مطلبي الحقائق ولكنه صاحب هذا القول كأنه غير محقق وما أوقعه في ذلك إلا تقيد الحديث بالألفاظ.

وأما نحن فعلى مذهب الترمذى في ذلك فإنا نقناه فى المجالسة حديثا معنويا في غاية الإفهام معرى عن الاحتمال والإجمال بل هو تفصيل محقق في عين واحدة

---

(١) سورة الأنعام،الآية ١٣٢.
(٢) سورة محمد،الآية ٣٥.
(٣) سورة الأحزاب،الآية ٤.

وهو الذى يعوّل عليه فى هذا الفصل.

السؤال الثاني عشر: كيف يكون صفة سيرهم يعنى إلى هذه المجالس والحديث ابتداء ؟

الجواب: قلنا بالهمم المرّدة عن السوى وبسط ذلك ما نقول: وهو أن الأمور المعنوية التى لا تقبل المواد ولا تحددها لا يصح السير إلى تحصيلها أو تحصيل ما يكون منها بقطع المسافات وتذريع المساحات لكن قد يقترن بالهمة حركات مادية مبناها على علم أو إيمان بشرط التوحيد فيهما.

فأما سيرهم من حيث ما هم علماء فبتصفية النفوس من كدورات الطبيعة واتخاذ الخلوات لتفريغ القلوب عن الخواطر المتعلقة بأجزاء الكون الخاصة من إرسال الحواس في المحسوسات فتمتلئ خزانة الخيال فتصوّر القوة المصوّر منها بحسب ما تعشقت به من ذلك فتكون هذه الصور حائلة بينه وبين حصول هذه المرتبة الإلهية فيجنحون إلى الخلوات والأذكار على جهة المدح لمن بيده الملكوت.

فإذا صفت النفس وارتفع الحجاب الطبيعي الذى بينها وبين عالم الملكوت انطبع فى مرآتها جميع ما فى صور عالم الملكوت من العلوم المنقوشة فيطلع الملأ الأعلى على هذه النفس التي هي بهذه المثابة فيرى فيها ما عنده فيتخذها مجلى ظهور ما فيه فيكون الملأ الأعلى معينا له أيضا على استدامة ذلك الصفاء ويحول بينه وبين ما يقتضيه حجاب الطبع فتتلقى هذه النفس من العالم العلوي بقدر مناسبتها منهم من العلم بالله فيؤديهم ذلك العلم إلى التلقى من الفيض الإلهيّ ولكن بوساطة الأرواح النورية لابد من ذلك فيسمون ذلك سيرا .

ولابد من تجريد الهمم في الطلب لذلك ولولا تعلق الهمة بتحصيل ما تقرر عندها مجملاً ما صح له توجه إلى الملأ الأعلى فإن اتفق أن يكون هذا الرجل فى سيره مع علمه مؤمنا أو يكون صاحب إيمان من غير علم فإن همته لا تتعلق إلا بالله.

فإن الإيمان لا يد له إلا على الله والعلم إنما يدله على الوسائط وترتيب الحكمة المعتادة في العالم فصفة سير أصحاب الإيمان ما لهم طريق إلى ذلك إلا

بعزائم الأمور المشروعة من حيث ما هي مشروعة وهم على قسمين: طائفة منهم قد ربطت همتها على أن الرسول إنما جاء منبها ومعلما بالطريق الموصلة إلى جناب الحق تعالى فإذا أعطى بذلك زال من الطريق وخلى بينهم وبين الله. فهؤلاء إذا سارعوا أو سابقوا إلى الخيرات وفي الخيرات لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق كرابعة العدوية فهؤلاء إذا حصلوا في المجالس والحديث خاطبهم الحق بالكلام الالهي من غير وساطة لسان معين.

وأما الطائفة الأخرى فهم قوم جعلوا فى نفوسهم لنهم لا سبيل لهم إليه إلا والرسول هو الحاجب فلا يشهدون منه أمر إلا ويرون في سيرهم قدم الرسول بين أيديهم ولا يخاطبهم إلا بلسانه ولغته كمحمد الأوانى قال تركت الكل ورائى وجئت إليه فرأيت أمامى قدما فغرت وقلت لمن هذا اعتمادا منى أنه ما سبقني أحد وإني من أهل الرعيل الأول.

فقيل لى هذه قدم نبيك فسكن روعى والحالة الأولى هى حالة عبد القادر وأبى السعود بن الشبل ورابعة العدوية ومن جرى مجراهم وأصحاب الإيمان إذا كانوا علماء جمع لهم بين الأمرين فهم أكمل الرجال بشرط لنهم إذا ساروا إليه وأخذوا مجالسهم عنده بالحديث المعنوي كما تقدم وحديث السمع رأوا سريان سره تعالى في الموجودات من قوله (من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا) ومن كونه ينزل إلى السماء الدنيا التى لا أقرب منها فإنها أقرب من حبل الوريد.

فالتحق عنده عالم الطبع بالعالم الروحانى وعاد الوجود عنده كله ملأ أعلى ومكانة زلفى فلم يحجبه كون ولا شغله عين واستوى عنده الابن وعدم الابن وكان ما كان فرآه في الحجاب والعسس وسمع كلامه وحديثه في الغث والجرس هذا صفة سيرهم على طبقاتهم.

ومنهم من كان سيره فيه بأسمائه فهو صاحب سير منه وإليه وفيه وبه فهو سائر فى وقوفه واقف في سيره والخضر والأفراد من أهل هذا المقام.

ومن هنا كانت قرة عينه ﷺ في الصلاة لأنه مناج مع اختلاف الحالات

المحصورة من قيام وركوع وسجود وجلوس ما تم أكثر من هذه الأركان وهي حالات تربيع روحانى فأشبهت العناصر في التربيع فحدثت صور المعانى من امتزاج هذه الحالات الأربعة كما حدثت صور المولدات الجسمية الطبيعية من امتزاج هذه العناصر.

السؤال الثالث عشر: فإن قلت ومن الذي يستحق خاتم الأولياء كما يستحق محمد ﷺ خاتم النبوة؟

الجواب : فلنقل الختم ختمان:

ختم يختم الله به الولاية.

وختم يختم الله به الولاية المحمدية.

فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولى بالنبوة المطلقة فى زمان هذه الأمة وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة فينزل فى آخر الزمان وارثا خاتما الأولى بعده بنبوة مطلقة كما أن محمدا ﷺ خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده وإن كان بعده مثل عيسى من أولى العزم من الرسل وخواص الأنبياء ولكن زال حكمه من هذا المقام لحكم الزمان عليه الذى هو لغيره فينزل وليا ذا نبوة مطلقة يشركه فيها الأولياء المحمديون.

فهو منا هو سيدنا فكان أول هذا الأمر نبي وهو آدم وآخره نبي وهو عيسى أعنى نبوة الاختصاص فيكون له يوم القيامة حشران حشر معنا وحشر مع الرسل وحشر مع الأنبياء.

وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التى له أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها إلى بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه وهو خاتم النبوة المطلقة لا يعلمها كثير من الناس وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به.

وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التى تحصل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي وبعده فلا يوجد ولى على قلب محمد ﷺ هذا معنى خاتم الولاية المحمدية.

وأما ختم الولاية العامة الذى لا يوجد بعده ولى فهو عيسى عليه السلام ولقينا جماعة ممن هو على قلب عيسى عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام وقد جمعت بين صاحبي عبد الله وإسماعيل بن سودكين وبين هذا الختم ودعا لهما وانتفعا به والحمد لله.

السؤال الرابع عشر: بأى صفة يكون ذلك المستحق لذلك ؟

الجواب : بصفة الأمانة وبيده مفاتيح الأنفاس وحالة التجريد والحركة وهذا هو نعت عيسى عليه السلام كان يحيى بالنفخ ، وكان من زهاد الرسل، وكانت له السياحة وكان حافظًا للأمانة، مؤديًا لها ولهذا عادته اليهود ولم تأخذه في الله لومة لائم كنت كثير الاجتماع به في الوقائع وعلى يده تبت ودعا لى بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفى الآخرة ودعانى بالحبيب، وأمرنى بالزهد والتجريد.

وأما الصفة التي استحق بها خاتم الولاية المحمدية أن يكون خاتمًا فبتمام مكارم الأخلاق مع الله وجميع ما حصل للناس من جهته من الأخلاق فمن كون ذلك الخلق موافقًا لتصريف الأخلاق مع الله وإنما كان ذلك كذلك لأن الأغراض مختلفة ومكارم الأخلاق عند من يتخلق بها معه عبارة عن موافقة غرضه سواء حمد ذلك عند غيره أو ذم.

فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل الذي هو عنده جميل نظر في ذلك نظر الحكيم الذى يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي فنظر فى الموجودات فلم يجد صاحبًا مثل الحق ولا صحبة أحسن من صحبته .

ورأى أن السعادة في معاملته وموافقة إرادته فنظر فيما حده وشرعه فوقف عنده واتبعه وكان من جملة ما شرعه أن علمه كيف يعاشر ما سوى الله من ملك

مطهر، ورسول مكرم ، وأمام جعل الله أمور الخلق بيده من خليقة إلى عريف وصاحب وصاحبة وقرابة وولد وخادم ودلبة وحيوان ونبات وجماد في ذات وعرض وملك إذا كان ممن يملك فراعى جميع من ذكرناه بمراعاة الصاحب الحق فما صرف الأخلاق إلا مع سيده.

فلما كان بهذه المثابة قيل فيه مثل ما قيل في رسول ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [1] قالت عائشة: كان القرآن خلقه يحمد ما حمد الله، ويذم ما ذم الله بلسان حق في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فلما طابت أعراقه وعم العالم أخلاقه ووصلت إلى جميع الآفاق إرفاقه استحق أن يختم بمن هذه صفته الولاية المحمدية من قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ جعلنا الله ممن مهد له سبيل هداه ووفقه للمشي عليه وهداه.

السؤال الخامس عشر : فإن قلت ما سبب الخاتم ومعناه ؟

الجواب : فلنقل كمال المقام سببه والمنع والحجر معناه وذلك أن الدنيا لما كان لها بدء ونهاية وهو ختمها قضى الله سبحانه أن يكون جميع ما فيها بحسب نعتها له بدء وختام.

وكان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع لختم الله هذا التنزيل بشرع محمد ﷺ فكان خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما وكان من جملة ما فيها الولاية العامة ولها بدء من آدم فختمها الله بعيسى فكان الختم يضاهى البدء﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [2] فختم بمثل ما به بدأ فكان البدء لهذا الأمر بنبى مطلق وختم به أيضا.

ولما كانت أحكام محمد ﷺ عند الله تخالف أحكام سائر الأنبياء والرسل في البعث العام وتحليل الغنائم وطهارة الأرض واتخاذها مسجدا وأوتى جوامع الكلم ونصر بالمعنى وهو الرعب وأوتي مفاتيح خزائن الأرض وختمت به النبوة عاد

---

(١) سورة القلم:الآية ٤.
(٢) سورة آل عمران:الآية ٥٩.

حكم كل نبي بعده حكم ولي فأنزل في الدنيا من مقام اختصاصه واستحق أن يكون لولايته الخاصة ختم يواطئ اسمه اسمه ﷺ ويحوز خلقه وما هو بالمهدي المسمى المعروف المنتظر فإن ذلك من سلاسته وعترته .

والختم ليس من سلاسته الحسية ولكنه من سلالة أعراقه وأخلاقه ﷺ أما سمعت الله يقول فيما أشرنا إليه ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [1] وجميع أنواع المخلوقات في الدنيا أمم وقال كل يجري إلى أجل مسمى في إثر قوله ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [2] فجعل لها ختاما وهو انتهاء مدة الأجل ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [3] فما من نوع إلا وهو أمة فافهم ما بيناه لك فإنه من أسرار العالم المخزونة التي لا تعرف إلا من طريق الكشف. والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

السؤال السادس عشر: كم مجالس ملك الملك ؟

الجواب : على عدد الحقائق الملكية والنارية والإنسانية واستحقاقاتها الداعية لإجابة الحق فيما سألته منه بسط ذلك.

اعلم أولا: أنه لابد من معرفة ملك الملك ما أرادوا به ثم بعد هذا تعرف كمية مجالسه إن كان لها كمية محصورة فالملك هو الذي يقضي فيه مالكه ومليكه بما شاء ولا يمتنع عنه جبرا فيسمى كرها أو اختيارا فيسمى طوعا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [4] ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [5].

والمأمور هو الملك والآمر هو المالك ولابد من أخذ الإرادة في حد الأمر لأنه اقتضاء وطلب من الآمر بالمأمور سواء كان المأمور دونه أو مثله أو أعلى وفرق الناس بين أمر الدون وبين أمر الأعلى فسموا أمر الدون إذا أمر الأعلى طلبا وسوء

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٤.
(٢) سورة لقمان، الآية ٢٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٤٤.
(٤) سورة الرعد، الآية ١٥.
(٥) سورة فصلت، الآية ١١.

الأمثل قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾[1] فلا يشك أنه أمر من العبد لله فسمى دعاء.

وإذا فهمت هذا وعلمت أن المأمور هو بالنسبة إلى الآمر ملكا والآمر مليك ثم رأيت المأمور وقد امتثل أمر آمره وأجابه فيما سأل منه أو اعترف بأنه يجيبه إذا دعاه لما يدعوه إليه إن كان المدعو أعلى منه فقد صير نفسه هذا الأعلى ملكا لهذا الدون وهذا الدون هو تحت حكم هذا الأعلى وحيطته وقهره وقدرته وأمره فهو ملكه بلا شك.

وقد قررنا أن الدون هو الذى هو بهذه المثابة قد يأمر سيده فيجيبه السيد لأمره فيصير بتلك الإجابة ملكا له وإن كان عن اختيار منه فيصح أن يقال في السيد أنه ملك الملك لأنه أجاب أمر عبده وعبده ملك له ومن أمر فأجاب فقد صح عليه اسم المأمور وهو معنى الملك.

فإذا أجاب السيد أمر عبده وهو ملك فبإجابته صير نفسه ملك ملكه وهذا غاية النزول الإلهي لعبده إذ قال له إدعونى أستجيب لك فيقول له العبد: اغفر لى ارحمنى. انصرنى. أجبرنى فيفعل ويقول الله له ادعنى أقم الصلاة، ائت الزكاة أصبروا رابطوا جاهدوا فيطيع ويعصى.

وأما الحق سبحانه فيجيب عبده لما دعاه إليه بشرط تفرغه لدعائه وقد يكون أثر المؤثر فعلا من غير أمر كالعبد يعصى فيثير كونه عاصيا غضبا فى نفس السيد فيوقع به العقوبة فقد دعا العبد سيده يعاقبه بمعصيته ولو لم يعصه ما ظهر من السيد ما ظهر أو يغفر له.

وكذلك في الطاعة يثيبه فيكون من هذه النسبة أيضا ملك الملك أي ملكا لمن هو ملكه وبهذا وردت الشرائع كلها وأما قوله كم مجالسه؟ فإنها لا تنحصر عقلا فإنها حالة دوام من سيد لعبد ومن عبد إلى سيد فسؤاله لا يخلو إما أن يريد ما قلنا من أنها لا تنحصر عقلا فإن أجاب بانحصار في كمية معلومة علم أنه لا علم عنده أو يريد مجالسه من حيث ما شرع فهي مجالس في الدنيا محصورة وفي الآخرة غير

---

(١) سورة الفاتحة:الآية ٦.

محصورة لأن الآثار الواقعة في الآخرة كلها أصلها من الشرائع فلا ينفك حكم الشرع في الدنيا والآخرة فإن الخلود في الدارين من حكم الشرع وما يكون من الحق فيهم من حكم الشرع.

فإذا مجالس ملك الملك من جهة الشرع لا تنحصر فإن أراد السائل عن هذا حالة الدنيا خاصة فعددها عدد أنفاس الخلائق عقلا .

وإن أراد ما اقترن به الآمر من العبد خاصة فعلى قدر ما دعا العبد ربه من حيث ما أمره أن يدعوه به وهي من كل داع بحسب ما سبق في علم الله من تكليفه لكل عين عبد أن يدعوه وخلق الله الذين هم بهذه المثابة يفوتون التلفظ باسم العدد الذي يحصرهم فإنه يدخل في ذلك الملائكة والجن والأنس فحصر كمياتها ما دام زمان الدنيا إلى أن ينقضي في حق الملك والجن والأنس محصور الكمية غير متصور التلفظ به لأنه قال ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[1] وهم من الملك الذي يدعو به فيصيره بدعائه ملكا له فكمياتها وإن كانت محصورة فهي غير معلومة وإن علمت فهي غير مقدوره للتلفظ بها لما في ذلك من المشقة ولكن من وقف على ما رقم في اللوح المحفوظ عرف كمياتها بلا شك وإن تعذر النطق بها فمن كل وجه لا يتصور الجواب عنها بأكثر من هذا وإنما جعله الترمذي على سبيل الامتحان فإنه جاء بمسائل لا يصح الجواب عنها ليعلم أن المسئول إذا أجاب عنها أنه مبطل في دعواه علم ذلك.

إذ لو علم ذلك لكان من علمه به أنه مما لا يجاب عنه فيعلم صدق دعواه وسيأتي من ذلك ما نقف عليه في هذه السؤالات إن شاء الله.والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السؤال السابع عشر: بأي شيء حظ كل رسول من ربه ؟

الجواب: عن هذا لا يتصور. لأن كلام أهل طريق الله عن ذوق ولا ذوق لأحد في نصيب كل رسول من الله لأن أذواق الرسل مخصوصة بالرسل، وأذواق الأنبياء

---

(١) سورة المدثر :الآية ٣٤.

مخصوصة بالأنبياء، وأذواق الأولياء مخصوصة بالأولياء.

فبعض الرسل عنده الأذواق الثلاثة لأنه ولي ونبي ورسول قال الخضر لموسى ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1] ما لم تحط به خبرا والخبر الذوق وقال له أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا هذا هو الذوق .

حضرت في مجلس فيه جماعة من العارفين فسأل بعضهم بعضا من أي مقام سأل موسى الرؤية.

فقال له الآخر من مقام الشوق .

فقلت له: لا تفعل أصل الطريق أن نهايات الأولياء بدايات الأنبياء فلا ذوق للولي في حال من أحوال أنبياء الشرائع فلا ذوق لهم فيه.

ومن أصولنا أنا لا نتكلم إلا عن ذوق ونحن لسنا برسل ولا أنبياء شريعة فبأي شيء نعرف من أي مقام سأل موسى الرؤية ربه نعم لو سألها ولي أمنك الجواب فإن في الإمكان أن يكون لك ذلك الذوق.

وقد علمنا من باب الذوق أن ذوق مقام الرسل لغير الرسل ممنوع فالتحق وجوده بالمحال العقلي لأن الذات لا تقتضي إلا هذا الترتيب الخاص أو سبق العلم كيف شئت. فقل: فإن أراد السؤال عن السبب الذي اقتضى لذلك الرسول هذا الحظ الذى انفرد به. فقد قال صاحب المحاسن: ليس بينه وبين عباده نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل وما بقى فعمى وتلبيس.

وأعلم أن السبب العلم الذي عين المراتب العلية لأربابها إنما هو العناية الإلهية وهو قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾[2] وأما السبب الخاص لهذا الرسول للحظ الخاص الذي له من ربه فيحتاج ذكره إلى ذكر كل رسول باسمه وحينئذ نذكر سببه ورسل الله في البشر محصورون وفي الملائكة غير محصورين عندنا.

---

(١) سورة الكهف:الآية ٦٨.

(٢) سورة يونس:الآية ٢.

لكن من شرط أهل هذه الطريقة إذا ادعوا هذه المعرفة فلا بد أن يعرفوا السبب عند تعين الرسول بالذكر ولكن هو من الأسباب التي لا تذاع لئلا يتعب الخلق أو يتخيل الضعيف الرأي أن الرسالة تكتسب بذلك السبب إذا علم فيؤدي ذكر ذلك إلى فساد في العالم فيحفظ عليه الأمناء.

وأيضا فلا فائدة في إظهاره فإنه يكونه رسولا خص به لأنه كان رسولا بل هو رسول بأمر عام يجتمع فيه المرسلون قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (١) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فكل واحد مهنم فاضل مفضول وهو مذهب الجماعة .

وقد بين هذا أبو القاسم ابن قسى في خلع النعلين وهو قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (٢) فخص آدم بعلم الأسماء الإلهية التي طوى علمها عن الملائكة فلم تسبح الله بها حتى استفادتها من آدم وخص موسى بالكلام والتوراة من حيث أن الله كتبها بيده قبل أن يخلق آدم بأربع آلاف سنة.

وخص رسول الله ﷺ بما ذكر عن نفسه من أنه أوتي جوامع الكلم وخص عيسى بكونه روحا وأضاف النفخ إليه فيما خلقه من الطين ولم يضف نفخا في إعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى.

أما بالنون أو بالتاء التي هي ضمير المتكلم عن نفسه وهذا وأن كانت كلها منصوصا عليها أنها حصلت لهم فليس بمنصوص الاختصاص بها ولكنه معلوم من جهة الكشف والاطلاع.

السؤال الثامن عشر: أين مقام الرسل من مقام الأنبياء؟

الجواب: هو بالإزاء إلا أنه في المقام الرابع من المراتب. فإن المراتب أربع التي تعطي السعادة للإنسان وهي: الإيمان ، والولاية، والنبوة ،والرسالة.

وأما من مقام الأنبياء فهم من أنبياء التشريع في الرتبة الثانية ومن مقام

---

(١) سورة البقرة:الآية ٢٥٣.

(٢) سورة ص:الآية ٤٧.

الأنبياء في الرتبة الثالثة والعلم من شرائط الولاية وليس من شرطها الإيمان. فإن الإيمان مستنده الخبر فلا يحتاج إليه مع الخبر أما بالمحال كالأينية لله أو بالإمكان وهو الأخبار ببعض المغيبات التي يمكن أن ينسب إليها المخبر ما نسب.

فأول مرتبة العلماء بتوحيد الله الأولياء فإن الله ما اتخذ وليا جاهلا وهذه مسألة عظيمة أغفلها علماء الرسوم فإنه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان وهو المقام الأول ثم النبوة ثم الرسالة ثم الإيمان.

فهي فينا أعنى مرتبة الولاية على ما رتبناه وهي هناك ولاية ثم إيمان ثم نبوة ثم رسالة وعند علماء الرسوم وعامة الناس الخارجين عن الطريق الخاص المرتبة الأولى إيمان ثم ولاية ثم نبوة ثم رسالة فأجبنا فيها على ما تعرفه العامة وعلماء الرسوم .

وبينما المراتب كيف هي بالنظر إلى جهات مختلفة فالموحدون بأي وجه كان أولياء الله تعالى فإنهم حازوا أشرف المراتب التي شرك الله أصحابها من أجلها مع الله فيها فقال ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(١) .

ففصل لتمييز شهادة الحق لنفسه من شهادة من سواه له بما شهد به لنفسه فقال وعطف بالواو ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فقدم للمجاورة في النسبة من كونه إلها والجار الأقرب في الشرع وفي العرف عند أرباب الكرم.

والعلم مقدم على الجار إلا بعد بكل وجه إذا اتحدا في ذلك الوجه وفي هذا من رحمة الله بخلقه مالا يقدر قدره إلا العارفون به في قوله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾(٢) فنحن اقرب جار وللجار حق مشروع يعرفه أهل الشريعة وكذلك قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(٣) فينبغي للإنسان أن يحضر هذا الجوار الإلهي عند الموت حتى يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من

---

(١) سورة آل عمران،الآية ١٢.
(٢) سورة الواقعة،الآية ٨٥.
(٣) سورة ق،الآية ١٦.

حيث ما شرع وهو قوله لنبيه ﷺ أن يقول: ﴿ قَـٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ (١) أي الحق الذي شرعته لنا فعاملنا به حتى لا ننكر شيئا منه مما يقتضيه الكرم فلو علم الناس ما في هاتين الآيتين من العناية بالعباد لكانوا على أحوال لا يمكن أن تذاع يقول تعالى: ﴿ قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (٢) وقال ﷺ في مثل هذا المقام (أفلا أكون عبدا شكورا) ثم قال تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ (٣) يعني من الجن والأنس ومن شاركهم من الأمهات والمولدات العلماء بالله فجعلهم جيران الملائكة لتصح الشفاعة من الملائكة فينا لحق الجوار.

أنه لا إله إلا هو الضمير في أنه يعود على الله من شهد الله فشهادتهم بتوحيده على قدر مراتبهم في ذلك فلذلك فصل بين شهادته لنفسه وشهادة العلماء له ثم قال : ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ (٤) أي بالعدل فيما فصل به بين الشهادتين ثم قال بنفسه لا إله إلا هو نظير الشهادة الأولى التى له فحصلت شهادة العالم له بالتوحيد بين شهادتين إلهيتين أحاطنا بها حتى لا يكون للشقاء سبيل إلى القائل بها.

ثم تمم بقوله العزيز ليعلم أن الشهادة الثالثة له مثل الأولى لاقتران العزة بها أي لا ينالها إلا هو لأنها منيعة الحي بالعزة ولو كانت هذه الشهادة من الخلق لم تكن منيعة الحي عن الله فدل إضافة العزة لها على شهادة الله لنفسه وقوله الحكيم لوجود هذا الترتيب في إعطاء السعادة لصاحب هذه الشهادة حيث جعلها بين شهادتين منسوبتين إلى الله من حيث الاسم الأول والآخر وشهادة الخلق بينهما.

فسبحان من قدر الأشياء مقاديرها وعجز العالم أن يقدروها حق قدرها فكيف أن يقدروا حق قدر من خلقها.

وهذا الكشف من مقام وراثة الرسول ﷺ من حيث رسالته من قوله: (ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وهم العلماء بالله من أهل الله الذين أقامهم

---

(١) سورة الأنبياء:الآية ١١٢.
(٢) سورة الإسراء:الآية ٨٤.
(٣) سورة آل عمران:الآية ١٨.
(٤) سورة آل عمران:الآية ١٨.

الحق مقام الرسل في الدعوة إلى الله بلسان عن نبوة مطلقة.

اعتنى بهم في أن وصفهم بها لا نبوة الشرائع بل نبوة حفظ لأمر مشروع على بصيرة من الحافظ لا عن تقليد.

السؤال التاسع عشر: أين مقام الأنبياء من الأولياء؟

الجواب: هو خصوص فيه وهو بالازاء أيضا إلا انه في المقام الثالث على ما نقدم من المراتب وكان ينبغي أن يكون السؤال عن هذا بتفصيل بين نبوة الشرائع والنبوة المطلقة فهم من الأولياء إذا كانوا أنبياء شريعة في الدرجة الثالثة وأن كانوا في النبوة اللغوية فهم في الدرجة الثانية.

وأعلم أن الأولياء هم الذين تولاهم الله بنصرته في مقام مجاهدتهم الأعداء الأربعة: الهوى، والنفس، والدنيا، والشيطان. والمعرفة بهؤلاء أركان المعرفة عند المحاسبي وإن كان سؤله عن مقام الأنبياء من الأولياء أي أنبياء الأولياء وهي النبوة التي قلنا إنها لم تنقطع فإنها ليست نبوة الشرائع.

وكذلك في السؤال عن مقام الرسل الذين هم أنبياء فلنقل في جوابه أن أنبياء الأولياء مقامهم من الحضرات الإلهية الفردانية والاسم الإلهي الذي تعبدهم الفرد وهم المسمون الأفراد فهذا هو مقام نبوة الولاية لا نبوة الشرائع.

وأما مقام الرسل الذين هو أنبياء فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به اتباعهم كمحمد ﷺ فيما قيل له ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] في النكاح بالهبة فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم.

ومنهم من لا يختصه الله بشيء دون أمته وكذلك الأولياء فيهم أنبياء أي خصوا بعلم لا يحصل إلا لنبي من العلم الإلهي ويكون حكمهم من الله فيما أخبرهم به حكم الملائكة.

ولهذا قال في نبي الشرائع ﴿ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾[2] اي ما هو ذوقك يا موسى

---

(١) سورة الأحزاب:الآية ٥٠.

(٢) سورة الكهف:الآية ٦٨.

مع كونه كليم الله فخرق السفينة وقتل الغلام حكما وأقام الجدار مكارم خلق عن حكم أمر الهي كخسف البلاد على يدي جبريل ومن كان من الملائكة.

ولهذا كان الأفراد من البشر بمنزلة المهمين من الملائكة وأنبياؤهم منهم بمنزلة لرسل من الأنبياء.

السؤال العشرون: وأي إسم منحه من أسمائه؟

الجواب: سؤالك هذا يحتمل أربعة أمور:

الواحد أن يكون الضمير المرفوع في منحه يعود على الله.

الثاني أن يعود على المقام.

الثالث على الاسم الإلهي.

الرابع أن يكون الضمير في أسمائه يعود على العبد فيكون الاسم اسم العبد لا اسم الله.

وكذلك الضمير المنصوب في منحه الذي هو المفعول الثاني هل هو ضمير اسم الهي أو هل هو المقام فإن الضمير المرفوع الله أو المقام فيكون الممنوح الاسم بلا شك وإن كان الضمير المرفوع الله أو الاسم الإلهي أو اسم العبد فيكون المقام هو الممنوح فليكن الضمير المرفوع الله فالممنوح الاسم الإلهي الذي يسمى به العبد في تخلقه أو إسم العبد وهو الأصل في القربة الإلهية.

فإن العبد لا يتصف بالقرب من الله إلا باسمه قال الله لأبي يزيد: تقرب إلى بما ليس لي. قال يا رب: وما ليس لك. قال الذلة والافتقار والسبب في ذلك أن أصل العبد أن يكون معلولا له لذاته وكل معلول فقير ذليل بلا شك لا شفاء يرجى له من هذه العلة.

فيكون القرب من الله قربا ذاتيا أصليا وأن كان الممنوح اسما إلهيا ليتخلق به العبد كالاسم الرحيم في موطنه والاسم الملك المتكبر في موطنه فذلك قرب يعرض له من الشارع الذي عينه له فإن للعبد أسماء يستحقها وأسماء تعرض له مثل

الأسماء الإلهية إذا تخلق بها العبد.

ولله أسماء يستحقها وأسماء عرضت له من تنزله لعقول عباده وهي الأسماء التي هي للعبد بحكم الاستحقاق فهل اتصاف الحق بها يكون تخلقا من الله بأسماء عبده أو تلك الصفات لله حقيقة جهلنا معناها بالنسبة إليه وعرفنا معناها بالنسبة إلينا فيكون العبد متخلقا بها وإن كان يستحقها من وجه معرفته بمعناها إذا انسبت إليه.

ومن كون الباري اتصف بها على طريقة مجهولة عندنا فلا نعرف كيف ننسبها إليه لجهلنا بذاته فتكون أصلا فيه عارضه فينا فلا نستحق شيئا لا من أسمائه ولا مما نعتقد فيها أنها أسماؤنا وهذا موضع حيرة ومزلة قدم إلا لمن كشف الله عن بصيرته.

ونحن بحمد الله وإن كنا قد علمناها فهي من العلوم التي لا تذاع أصلا ورأسا وبمعرفته بها دعا من دعا إلى الله على بصيرة وهو الشخص الذي هو على بينه من ربه ويتلوه شاهد منه يشهد له بصدق البينة التي هو عليها.

فالفطن يعلم ما سترناه بإعلام الله في قوله ويتلوه شاهد منه هل تلك الأسماء إذا نسبت إلى الله هل تنسب إليه تخلقا أو استحقاقا وإذا نسبت إلى العبد هل تنسب إليه تخلقا كسائر الأسماء الإلهية التي لا خلاف فيها عند العام والخاص.

أو تنسب إليه بطريق الاستحقاق فالشاهد المطلوب هنا أن عين العبد لا تستحق شيئا من حيث عينه لأنه ليس بحق أصلا والحق هو الذي يستحق ما يستحق فجميع الأسماء التي في العالم ويتخيل أنها حق للعبد حق لله فإذا أضيفت إليه وسمى بها على غير وجه الاستحقاق كانت كفرا وكان صاحبها كافرا قال الله تعالى :﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾(١) .

فكفروا المجموع هذا إذا كان الكفر شرعا فإن كان لغة ولسانا فهو إشارة إلى الأمناء من عباد الله الذين علموا أن الاستحقاق بجميع الأسماء الواقعة في الكون

---

(١) سورة آل عمران،الآية ١٨١.

الظاهرة الحكم إنما يستحقها الحق والعبد يتخلق بها ولنه ليس للعبد سوى عينه.

ولا يقال في الشيء أنه يستحق عينه فإن عينه هويته فلا حق ولا استحقاق وكل ما عرضة أو وقع عليه إسم من الأسماء إنما وقع على الأعيان من كونها مظاهر فما وقع اسم الأعلى وجود الحق في الأعيان والأعيان على أصلها لا استحقاق لها فهذا شرح قوله ويتلوه شاهد منه يشهد له بصدق النسبة أنه عين بلا حكم.

وكونه مظهرا حكما لا عينا فالوجود لله وما يوصف به من لية صفة كانت إنما المسمى بها هو مسمى الله فافهم لنه ما ثم مسمى وجودي إلا الله فهو المسمى بكل اسم والموصوف بكل صفة والمنعوت بكل نعت واما قوله ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1] من أن يكون له شريك في الأسماء كلها فالكل لسماء الله أسماء أفعاله او صفاته أو ذاته.

فما في الوجود إلا الله والأعيان معدومة في عين ما ظهر فيها وقد اندرج في هذا الفصل أن فهمت جميع ما نكرناه في تقسيم الضميرين المنصوب والمرفوع فالوجود له والعدم لك فهو لا يزال موجودا وأنت لا تزال معدما ووجوده إن كان لنفسه فهو ما جهلت منه وأن كان لك فهو ما علمت منه فهو العالم والمعلوم والذي يقصده لكثر الناس بقولهم أي اسم منح الله الرسول من لسمائه هو الاسم الذي يستدعيه تأييد دعوته وهو المعبر عنه بالسلطان والإعجاز أثره.

وإن منحه النبي فهو الاسم الذي يتأيد به في حصول الرتبة النبوية وصحتها وقد يكون لكل شخص اسم يمنحه بحسب ما تقتضيه رتبته من مقام نبوية أو رسالته غير أن الاسم الواهب هو الذي يعطي ذلك.

إلا إذا كان المقام مكتسبا فقد يعطيه الاسم الكريم أو الجواد أو السخى انتهى الجزء الحادي والثمانون.

---

(١) سورة الأنعام:الآية ١٠٠.

السؤال الحادي والعشرون: أي شيء حظوظ الأولياء نم أسمائه؟

الجواب: هنا تفصيل: هل يريد بالاسم الذي أوجب لهم هذه الحظوظ أو الاسم الذي يتولاهم فيها أو الاسم الذي تنتجه هذه الحظوظ؟ فأن أراد الاسم أو الأسماء التي أوجبت لهم هذه الحظوظ فالحظوظ على قسمين: حظوظ مكتسبة وحظوظ غير مكتسبة.

ولكل واحد من القسمين اسم يخصه من حيث ما يوجبها ومن حيث ما يتولاها ومن حيث ما تنتجه.

فما كان من الحظوظ المكتسبة فالأسماء التي توجبها هي الأسماء التي تعطيهم الأعمال التي اكتسبوها بها وهي مختلفة كل عمل بحسب اسمه فكل عامل إذا كان عارفا يعلم الاسم الذي يخص تلك الحركة العلمية من الأسماء الإلهية.

ويطول التفصيل فيها والأسماء التي تتولاهم في حال وجودها لهم فهي بحسب ما هو ذلك الحظ فالحظ يطلب بذاته من يتولاه من الأسماء والحظوظ مختلفة.

وكذلك الأسماء التي توجبها الحظوظ وتنتجها فهي بحسب الحظوظ أيضا فتختلف الأسماء باختلاف الحظوظ وعلى هذا النسق الكلام في الحظوظ التي هي غير مكتسبة من التفصيل.

السؤال الثاني والعشرون: وأي شيء علم المبدأ ؟

الجواب: سأل بلفظ في العامة يعطي البدء وفي الخاصة يعطى موجب النسخ في مذهب من يراه فلنتكلم على الأمرين معا ليقع الشرح باللسانين فيعم الجواب.

أعلم: أن علم البدء علم عزيز ولنه غير مقيد وأقرب ما تكون العبارة عنه

أن يقال البدء افتتاح وجود الممكنات على التتالي والتتابع لكون الذات الموجدة له اقتضت ذلك من غير تقييد بزمان.

إذ الزمان من جملة الممكنات الجسمانية فلا يعقل إلا ارتباط ممكن بواجب لذاته فكان في مقابلة وجود الحق أعيان ثابتة موصوفة بالعدم أزلا وهو الكون الذي لا شيء مع الله فيه إلا أن وجوده أفاض على هذه الأعيان على حسب ما اقتضته استعداداتها فتكونت لأعيانها لا له من غير بينية تعقل أو تتوهم وقعت في تصورها الحيرة من الطريقين: من طريق الكشف ومن طريق الدليل الفكري والنطق عما يشهده الكشف بإيضاح معناه يتعذر فإن الأمر غير متخيل فلا يقال ولا يدخل في قوالب الألفاظ بأوضح مما ذكرناه.

وسبب عزة ذلك الجهل بالسبب الأول وهو ذات الحق، ولما كانت سببا كانت إلها لمألوه لها حيث لا يعلم المألوه أنه مألوه فمن أصحابنا من قال إن البدء كان عن نسبة القهر.

وقال بعض أصحابنا بل كان عن نسبة القدرة والشرع يقول عن نسبة أمر والتخصيص في عين ممكن دون غيره من الممكنات المميزة عنده.

والذي وصل إليه علمنا من ذلك ووافقنا الأنبياء عليه أن البدء عن نسبة أمر فيه رائحة جبر إذ الخطاب لا يقع إلا على عين ثابتة معدومة عاقلة سميعة عالمة بما تسمع بسمع ما هو سمع وجود، ولا عقل وجود، ولا علم وجود. فالتبست عند هذا الخطاب بوجوده فكانت مظهرا له من اسمه الأول الظاهر وانسحبت هذه الحقيقة على هذه الطريقة على كل عين عين. إلى ما لا يتناهى.

فالبدء حالة مستصحبة قائمة لا تنقطع بهذا الاعتبار فإن معطى الوجود لا يقيده ترتيب الممكنات فالنسبة منه فالبدء مازال ولا يزال فكل شيء من الممكنات له عين الأولية في البدء ثم إذا انسبت الممكنات بعضها إلى بعض تعين التقدم والتأخر لا بالنسبة إليه سبحانه فوقف علماء النظر مع ترتيب الممكنات حين وقفنا نحن مع نسبتها إليه.

والعالم كله عندنا ليس له تقييد إلا بالله خاصة والله يتعالى عن الحد والتقييد فالمقيد به تابع له في هذا التنزيه فأولية الحق هي أوليته إذ لا أولية للحق بغير العالم لا يصح نسبتها ولا نعته بها بل هكذا جميع النسب الإسمائية كلها

فالعبد ملك إذ قد تسمى ... في عين حال بما تسمى
والملك عبد في عين حال ... إذا تسمى بما أسمى
فإنه بي ولست أعني ... عني لكوني أصم أعمى
عن كل عين سوى عياني ... لكونه أظهرته الإسما

هذه طريقة البدء وأما إذا أراد البداء وهو أن يظهر له مالم يكن ظهر هو مثل قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾[1] وهو قوله: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾[2] فيكون الحكم الإلهي بحسب ما يعطيه الحال وقد كان قرر الأمر بحال معين بشرط الدوام لذلك الحال في توهمنا.

فلما ارتفع الدوام الحالي الذي لو دام أوجب دوام ذلك الأمر بدا من جانب الحق حكم آخر اقتضاه الحال الذي بدأ من الكون فقابل البدأ بالبدأ فهذا معنى علم البدا له على الطريقة الأخرى قال تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾[3].

يقول ﷺ : (اتركوني ما تركتكم) الشرائع تنزل بقدر السؤال فلو تركوا السؤال لم ينزل هذا القدر الذي شرع ومعقول ما يفهم منه هذا علم البدأ وبعد أن علمت هذا فقد علمت علم الظهور وعلم الابتداء فكأنك علمت علم ظهور الابتداء أو ابتداء الظهور فإن كل نسبة منهما مرتبطة بالأخرى.

فإن كان ظهور الابتداء فما حضرة الإخفاء التي منها ظهر هذا الابتداء فلاشك أنه لم يكن يصح هذا الوصف إلا له ففيه خفي وبه ظهر فحالة ظهوره عن ذلك الخفاء هو المعبر عنه بالابتداء وإن كان ابتداء الظهور فهل له نسبة في القدم

---

(١) سورة محمد:الآية ٣١.
(٢) سورة التوبة:الآية ٩٤.
(٣) سورة الزمر:الآية ٤٧.

إذ لم يكن له حالة الظهور فما نسبة القدم إليه؟.

قلنا عينه الثابتة حال عدمه هي له نسبة أزلية لا أول لها وابتداء الظهور عبارة عما اتصفت به من الوجود الإلهي إذ كانت مظهرا للحق فهو المعبر عنه بابتداء الظهور فإن تعدد الأحكام على المحكوم عليه مع أحدية العين إنما ذلك راجع إلى نسب واعتبارات.

فعين الممكن لم تزل ولا تزال على حالها من الإمكان فلم يخرجها كونها مظهرا حتى انطلق عليها الاتصاف بالوجود عن حكم الإمكان فيها فإنه وصف ذاتي لها والأمور لا تتغير عن حقائقها باختلاف الحكم عليها لاختلاف النسب.

ألا ترى قوله: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾(١) وقوله ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) فنفى الشيئية عنه وأثبتها له والعين هي العين لا غيرها.

السؤال الثالث والعشرون: ما معنى قوله عليه السلام: كان الله ولا شيء معه؟

الجواب: لا تصحبه الشيئية، ولا تنطلق عليه، وكذلك هو ولاشيء معه. فإنه وصف ذاتي له سلب الشيئية عنه وسلب معية لكنه مع الأشياء وليست الأشياء معه لأن المعية تابعة للعلم فهو يعلمنا فهو معنا ونحن لا نعلمه فلسنا معه.

فاعلم أن لفظة ﴿ كَانَ ﴾ تعطي التقييد الزماني وليس المراد هنا به ذلك التقييد وإنما المراد به الكون الذي هو الوجود فتحقيق كان أنه حرف وجودي لا فعل يطلب الزمان ولهذا لم يرد ما يقوله علماء الرسوم من المتكلمين وهو قولهم وهو الآن على ما عليه كان.

فهذه زيادة مدرجة في الحديث ممن لا علم له بعلم كان ولا سيما في هذا الموضع ومنه كان الله عفوا غفورا وغير ذلك مما اقترنت به لفظة كان ولهذا سماها بعض النحاة هي وأخواتها حروفا تعمل عمل الأفعال.

---

(١) سورة مريم:الآية ٩.

(٢) سورة النحل:الآية ٤٠.

وهي عند سيبوية حرف وجودي وهذا هو الذي تعقله العرب وإن تصرفت تصرف الأفعال فليس من أشبه شيئا من وجه ما يشبهه من جميع الوجوه بخلاف الزيادة بقولهم وهو الآن فإن الآن تدل على الزمان وأصل وضعه لفظة تدل على الزمان الفاصل بين الزمانين والمستقبل.

ولهذا قالوا في الآن أنه حد الزمانين فلما كان مدلولها الزمان الوجودي لم يطلقه الشارع في وجود الحق وأطلق كان لأنه حرف وجودي وتخيل فيه الزمان لوجود التصرف من كان ويكون فهو كائن ومكون كقتل يقتل فهو قاتل ومقتول وكذلك كن بمنزلة أخرج.

فلما رأوا في الكون هذا التصرف الذي يلحق الأفعال الزمانية تخيلوا أن حكمها حكم الزمان فأدرجو الآن تتمة للخبر وليس منه فالمحقق لا يقول قط وهو الآن على ما عليه كان فإنه لم يردو يقول على الله ما لم يطلقه على نفسه لما فيه من الإخلال بالمعنى الذي يطلبه حقيقة وجود الحق خالق الزمان.

فمعنى ذلك الله موجود ولا شيء معه أي ما ثم من وجوده واجب لذاته غير الحق والممكن واجب الوجود به لأنه مظهره وهو ظاهر به والعين الممكنة مستورة بهذا الظاهر. فيها فاتصف هذا الظهور والظاهر بالإمكان حكم عليه به عين المظهر الذي هو الممكن فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عينا واندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكما فتدبر ما قلنا.

واعلم أن كلامنا في شرح ما ورد إنما هو على قول الولي إذا قال مثل هذا اللفظ أو نطق به من مقام ولايته من مقام الرتبة التي منها بعث رسولا فإن الرسول إذا قال مثل هذا اللفظ في المعرفة بالله من مقامة الاختصاصي فلا كلام لنا فيه.

ولا ينبغي لنا أن نشرح ما ليس بذوق لنا وإنما كلامنا فيه من لسان الولاية فنحن نترجم عنها بأعلى وجه يقتضيه حالها هذا غاية الولي في ذلك ولا شك أن المعية في هذا الخبر ثابتة والشيئية منفية والمعية تقتضي الكثرة والموجود الحق

هو عين وجوده في نسبته إلى نفسه وهو يته وهو عين المنعوت به مظهر فالعين واحدة في النسبتين.

فهذه المعية كيف تصح والعين واحدة فالشيئية هنا عين المظهر لا عينه وهو معها لأن الوجود يصحبها وليست لأنها لا تصحب الوجود.

وكيف تصحبه والوجوب لهذا الوجود ذاتي ولا ذوق للعين الممكنة في الوجوب الذاتي فهو يقتضيها فيصح أن يكون معها وهي لا تقتضيه فلا يصح أن تكون معه فلهذا نفى الشيء أن يكون مع هوية الحق لأن المعية نعت تمجيد ولا مجد لمن هو عديم الوجودي لذاته.

فإن الشيء لا يكون مع الشيء إلا بحكم الوعيد أو الوعد بالخير وهذا لا يتصور من الدون للعلى فالعالم لا يكون مع الله أبدا سواء اتصف بالوجود أو العدم والواجب الوجود الحق لذاته يصح له نعت المعية مع العالم عدما ووجودا.

السؤال الرابع والعشرون: ما بدء الأسماء؟

الجواب: إطلاق هذا اللفظ في الطريق يقتضي أمرين:

الواحد سؤال عن أول الأسماء

والثاني سؤال كما تبتدئ به الأسماء من الآثار

وهذان الأمران فرعان عن مدلول لفظ الأسماء ما هو. هل هو موجود أو عدم أو لا وجود ولا عدم ؟ وهي النسب فلا تقبل معنى الحدوث ولا القدم فإنه لا يقبل هذا الوصف إلا الوجود أو العدم فاعلم أن هذه الأسماء الإلهية التي بأيدينا هي أسماء الأسماء الإلهية التي سمى بها نفسه من كونه متكلما فنضع الشرح الذي كنا نوضح به مدلول تلك الأسماء على هذه الأسماء التي بأيدينا وهو المسمى بها من حيث الظاهر ومن حيث كلامه وكلامه علمه، وعلمه ذاته.

فهو مسمى بها من حيث ذاته والنسب لا تعقل للموصوف بالأحدية من جميع الوجوه إذا فلا تعقل النسب إلا بأن تعقل المظاهر المعبر عنها بالعالم فالنسب

على هذا تحدث بحدوث المظاهر لأن المظاهر من حيث هي أعيان لا تحدث ومن حيث هي مظاهر هي حادثة.

فالنسب حادثة فالأسماء تابعة ولا وجود لها مع كونها معقولة الحكم فإذا اثبت هذا فالقائل ما بدء الأسماء هو القائل ما بدء النسب والنسبة أمر معقول غير موجودين اثنين فإما أن تتكلم فيها من حيث نسبتها إلى الأول أو من حيث ما دل الأثر عليها.

فإن نظرنا فيها من حيث المسمى بها لا من حيث دلالة أثرها كان قوله ما بدء الأسماء معناه ما أول الأسماء فلنقل أول الأسماء. الواحد الأحد وهو اسم مركب تركيب بعلبك ورامهرمز والرحمن الرحيم لا نريد بذلك اسمين وإنما كان الواحد الأحد أول الأسماء لأن الاسم موضوع للدلالة وهي العلمية الدالة على عين الذات لا من حيث نسبة ما يوصف بها كالأسماء الجوامد للأشياء وليس أخص في العلمية من الواحد الأحد لأنه اسم ذاتي له يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة.

فإن قلت فالله أولى بالأولية من الواحد الأحد لأن الله ينعت بالواحد الواحد ولا ينعت بالله.

قلنا مدلول الله يطلب العالم بجميع ما فيه له كاسم الملك أو السلطان فهو اسم للمرتبة لا للذات والأحد اسم ذاتي لا يتوهم معه دلالة على غير العين فلهذا لم يصح أن يكون الله أول الأسماء فلم يبق إلا الواحد حيث لا يعقل منه إلا العين من غير تركيب ولو تسمى بالشيء لسميناه الشيء وكان أول الأسماء لكنه لم يرد في الأسماء الإلهية يا شيء ولا فرق بين مدلول الواحد والشيء فإنه دليل على ذات غير مركبة إذ لو كانت مركبة لم يصح اسم الواحد ولا الشيء عليه حقيقة فلا مثل له ولا شبه يتميز عنه شخصيته.

الواحد الأحد في ذاته لذاته.

ومع هذا فقد قررنا أن الأسماء عبارة عن نسب فما نسبة هذا الاسم الأول ولا أثر له منه يطلبه قلنا أما النسبة التي أوجبت له هذا الاسم فمعلومة وذلك أن في

مقابلة وجوده أعيانا ثابتة لا وجود لها إلا بطريق الاستفادة من جود الحق فتكون مظاهره في ذلك الاتصاف بالوجود وهي أعيان لذاتها ما هي أعيان لموجب ولا لعلة كما أن وجود الحق لذاته ولا لعلة وكما هو الغني لله تعالى على الإطلاق.

فالفقر لهذه الأعيان على الإطلاق إلى هذا الغنى الواجب الغني بذاته وهذه الأعيان وإن كانت بهذه المثابة فمنها أمثال وغير أمثال متميزة بأمر وغير متميزة بأمر يقع فيه الاشتراك فلا يصح على كل عين منها اسم الواحد الاحد لوجود الاشتراك والمثلية لهذا سمينا هذه الذات الغنية على الإطلاق بالواحد الأحد لأنه لا موجود إلا هي فهي عين الوجود في نفسها وفي مظاهرها.

وهذه نسبة لا عن أثر لها في كون الأعيان الممكنات أعيانا ولا في إمكانها وأما إذا كان قوله ما بدء الأسماء بمعنى ما تبتدي به الأسماء من الآثار في هذه الأعيان فيطلب هذا السؤال أمرين: الأمر الواحد ما يبتدئ به في كل عين عين والأمر الآخر ما يبتدئ به على الإطلاق في الجملة. ومعناه: ما أول اسم يطلب أن يظهر أثره في هذه الأعيان فأعلم أن ذلك الاسم هو الوهاب خاصة في الجملة وفي عين عين لا فرق وهو اسم أحدثته الهبات لهذه الأعيان من حيث فقرها فلما انطلق عليها اسم مظهر وقد كانت عرية عن هذا الاسم ولم يجب على الغنى أن يجعلها مظاهر له طلبت هذه النسبة الاسم الوهاب ولهذا ألا نجعله تعالى علة لشيء لأن العلة تطلب معلو لها كما يطلب المعلول علته والغني لا يتصف بالطلب إذا فلا يصح أن يكون علة والوهب ليس كذلك فإنه امتنان على الموهوب له وان كان الوهله ذاتيا فإنه لا يقدح في غناه عن كل شيء.

والذي يبتدئ به من الوهب إعطاء الوجود لكل عين حتى وصفها بما لا تقضيه عينها فأول ما يبدأ به من الأعيان ما هو أقرب منا مناسبة للأسماء التي تطلب التنزيه ثم بعد ذلك يظهر سلطان الأسماء التي تطلب التشبيه فالأسماء التي تطلب التنزيه هي الأسماء التي تطلب الذات لذاتها والأسماء التي تطلب التشبيه هي الأسماء التي تطلب الذات لكونها إلها فأسماء التنزيه كالغنى والأحد وما يصح أن ينفرد به وأسماء التشبيه كالرحيم والغفور.

وكل ما يمكن أن يتصف به العبد حقيقة من حيث ما هو مظهر لا من حيث عينه لأنه لو اتصف به من حيث عينه لكان له الغنى ولا غني له أصلا فإذا اتصفت هذه الأعيان التي هي المظاهر بمثل الغني وتسمت بالغني فيكون معنى ذلك الغني بالله عن غيرها من الأعيان من الأعيان لا أن العين غني بذاته وكذا كل اسم تنزيه فلها هذه الأسماء من حيث ما هي مظاهر.

فإن كان المسمى لسان الظاهر فيها فهو كونه إلها فهو أقرب نسبة إلى الذات من لسان المظهر إذا تسمى بالغنى فالمظاهر لا يزول عنه اسم الفقر مع وجود اسم الغني المقيد له والظاهر فيه إذا تسمى بالغنى يصح له لأنه يعطي جودا ومنه وهو الوهاب الذي عطي لينعم وقد يعطي ليعبد فلا يكون هذا عطاء تنزيه بل هو عطاء عوض ففيه طلب قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١)

فإعطاء هذا الخلق إعطاء طلب لا إعطاء هبة ومنة وإعطاء الوهب إعطاء إنعام لا لطلب شكر ولا عوض ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾(٢) وهو الخنثى ثم وصف نفسه في ذلك بأنه عليم قدير وهو وصف يرجع إليه ما طلب منهم في ذلك عوضا كما طلب في قوله:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٣) فمنزلة خلقهم له ما هو منزلة خلقهم لهم فخلقهم من أسماء التنزيه وخلقهم له من أسماء التشبيه وهذا القدر كاف في الغرض .

السؤال الخامس والعشرون: ما بدء الوحي؟

الجواب: أنزل المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال في نوم كان أو يقظة وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس مثل قوله: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾(٤) وفي حضرة الخيال كما أدرك رسول الله ﷺ العلم في صورة اللبن وكذا أول رؤيا قالت عائشة (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا

---

(١) سورة الذاريات:الآية ٥٦.
(٢) سورة الشورى:الآية ٤٩، ٥٠ .
(٣) سورة الذاريات:الآية ٥٦.
(٤) سورة مريم:الآية ١٧.

فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح). وهي التي أبقى الله على المسلمين وهي من أجزاء النبوة فما ارتفعت النبوة بالكلية.

ولهذا قلنا: إنما ارتفعت نبوة التشريع فهذا معنى لا نبي بعده وكذلك من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت به النبوة بلا شك.

فعلمنا ان قوله: لا نبي بعده أي لا مشرع خاصة لا أنه لا يكون بعده نبي فهذا مثل قوله إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر إلا مالك الروم والفرس وما زال الملك من الروم ولكن ارتفع هذا الاسم مع وجود الملك فيهم وتسمى ملكهم باسم آخر بعد هلاك قيصر وكسرى .

كذلك اسم النبي زال بعد رسول الله ﷺ فإنه زال التشريع المنزل من عند الله بالوحي بعده ﷺ فلا يشرع أحد بعده شرعا إلا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام فإنه بتقرير رسول الله ﷺ صح فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه ﷺ الذي يعطي المجتهد دليله وهو الذي أذن الله به فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله فإن ذلك كفر وافتراء على الله .

فإن قلت: هذا الذي بدئ به رسول الله ﷺ من أين نقول أنه بدء الوحي قلنا لا شك ولا خفاء عند المؤمنين والأولياء ان محمدا ﷺ خصه الله بالكمال في كل فضيلة فمن ذلك ان خصه بكمال الوحي وهو استيفاء أنواعه وضروبه وهو قوله عليه السلام ((أوتيت جوامع الكلم)) وبعث عامة.

فما بقي ضرب من الوحي إلا وقد نزل عليه به فلما كان بهذه المثابة وبدئ ﷺ بالرؤيا في وحيه ستة أشهر علمنا ان بدء الوحي الرؤيا وأنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة لكونها ستة أشهر وكانت نبوته ثلاثا وعشرين سنة فستة أشهر جزء من ستة وأربعين ولا يلزم ان يكون لكل نبي فقد يوحى لنبي لا من بدء الوحي الذي هو الرؤيا بل ضرب آخر من الوحي .

فلما بدئ بالرؤيا ﷺ قلنا: الرؤيا بدء الوحي بلا شك لأن الكمال الذي وصف

به نفسه ﷺ في المقام أعطى أن يكون بدء الوحي ما بدئ به رسول الله ﷺ وكذا ينبغي أن يكون فإن البدء عندنا هو ما يناسب الحس أولا ثم يرتقي إلى الأمور المجردة الخارجة عن الحس فلم تكن إلا الرؤيا نوما كان أو يقظة.

والوحي هنا تشريع الشرائع من كونه نبيا أو رسولا كيف ما كان وهذا كله إذا كان سؤاله عن الوحي المنزل على البشر فإن كان سؤاله عن بدء الوحي من حيث الوحي أو عن بدء الوحي في حق كل صنف ممن يوحى إليه كالملائكة وغير البشر من الجنس الحيواني مثل قوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾(١) وغير الجنس الحيواني مثل عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال. فإنه كان يوحى ومثل قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾(٢) واوحى في كل سماء أمرها ومثل قوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾(٣) وهي نفس كل مكلف ومـاثم إلا مكلف لقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾(٤) فدخل الملك بالتقوى في هذه الآية إذ لا نصيب له في الفجور وكذلك سائر نفوس ما عدا الإنس والجان. فالأنس والجن ألهمو الفجور والتقوى ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾(٥) فإن أراد بدء الوحي في كل صنف صنف وشخص شخص فهو الإلهام فإنه لا يخلو عنه موجود وهو الوحي.

وهنا عن بدء الوحي من حيث الوحي ومن حيث شخص شخص.

السؤال السادس والعشرون: ما بدء الروح ؟

الجواب: أهل الطريق يطلقون لفظ الروح على معان مختلفة يقولون: فلان فيه روح أي أمر رباني يحيى به من قام به يعني قلبه ويطلقون الروح على الذي سئل عنه رسول الله ﷺ ويطلقون الروح ويريدون به الروح الذي ينفخ فيه عند كمال تسوية الخلق والذي مدار الطريق عليه هو الروح الذي يجده أهل الله

---

(١) سورة النحل:الآية ٦٨.
(٢) سورة فصلت:الآية ١٢.
(٣) سورة الشمس:الآية ٧.
(٤) سورة الشمس:الآية ٨.
(٥) سورة الإسراء:الآية ٢٠.

عن الانقطاع إليه بالهم والعبادة.

فأكثر ما يقع عنه السؤال منهم غالبا فيكون قوله ما بدء الروح أي ما ابتداء حصوله في قلب العارف. فتقول: إن بدء الروح في نفوس أهله الذين أهلهم الله لتحصيله: أن نفس الرحمن إذا تحكمت في نفوسهم المجاهدات التي تعطيهم رؤية الأغيار عرية عن رؤية الله فيها ولنها حائلة وقاطعة بين الله وبين هذا العبد فيكون صاحب هذه المجاهدة صاحب قبض وهم وغم وحجب يريد رفعها فتهب عليه من نفس الرحمن في باطنه ما يؤديه إلى رؤية وجه الحق في هذه القواطع على زعمه.

وفي هذه الحجب والأشياء التي يجاهد نفسه في قطع ما يتعرض إليه منها في طريقة فيريه ذلك النفس وجه الحق في كل شيء وهو العين والحافظ عليه وجودها فلم يـر شيئا خارجا عن الحق فزال تعبه من حيث ما يريد قطعها ويتألم عند ذلك ألما شديدا حيث يتوهم عدم تلك المعرفة ثم يعقب ذلك سر وعظيم لوجود هذا النفس فيحي به معناه ويصير به روحا وهو قوله﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(١) ما هو تحت كسبك ولا تعلق لك خاطر بتحصيله (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء) من عبادنا فهذا العارف ممن شاء من عباده .

فيقال فيه عند ذلك لنه ذو روح ويقال فيه لنه حي وقد التحق بالأحياء وهو قوله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾(٢) ومن لم يجعل الله له نورا وهو هذا الروح ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(٣) فكان يجعل الله ولم يضفه إلى الاكتساب فإنه مجهول العين لعدم الذوق.

فهذا معنى بدء الروح الذي يجده العارفون في الطريق وهو مقصود السائلين وهو نور من حضرة الربوبية لا من غيرها وأصله من الروح الذي هو من

---

(١) سورة الشورى،الآية ٥٢.
(٢) سورة الأنعام،الآية ١٢٢.
(٣) سورة النور،الآية ٤٠.

أمر ربي أي من الروح الذي لم يوجد عن خلق فإن عالم الأمر كل موجود لا يكون عند سبب كوني يتقدمه ولكل موجود منه شرب وهو الوجه الخاص الذي لكل موجود عن سبب وعن غير سبب.

فعن هذا الروح يكون هذا الروح المسئول عنه الذي يجده أهل هذا الطريق.

السؤال السابع والعشرون: ما بدء السكينة؟

الجواب: مطالعة الأمر بطريق الإحاطة. من كل وجه. وما لم يكن ذلك فالسكينة لا تصح قال إبراهيم عليه السلام ﴿ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾(١) فجعل الطمأنينة بدء السكينة لما اختلفت عليه وجوه الأحياء فكانت تجانبه من كل ناحية. فلما أشهده الله الكيفية سكن عما كان يجده من القلق لتلك الجنبات التي للوجوه المختلفة قال بعضهم

إنما أجزع مما أتقي	فإذا حل فمالي والجزع
وكذا أطمع فيما ابتغي	فإذا فات فمالي والطمع

فحصول المطلوب أو اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب.

وكذلك على ما يليق به يكون ما يخاف منه فاعلم ذلك.

فإذا أكمل الإنسان شرائط الإيمان وأحكمها حصل من الحق تجل لقلب هذا المؤمن الذي هو بهذه الصفة يسمى ذلك التجلي ذوقا هو بدء جعل السكينة في قلبه لتكون تلك السكينة له بابا أو سلما إلى حصول أمر مغيب يقع له الإيمان به فيكون معه وجود السكون لما أعطاه الأمر الأول لكونه يصير أمرا معتادا مثل سكون من تعود الأسباب إلى الأسباب.

ولا يكون ذلك عن غيب أصلا بل عن ذوق وهو المعاينة فإن الإنسان إذا كان عنده قوت يومه سكنت نفسه لما يعطيه قلق يومه لمعاينة ما عنده بحصوله تحت ملكه فإن حصل الإيمان عنده بهذه المثابة تحت حكمه فهو صاحب سكينة

---

(١) سورة البقرة، الآيه ٦٢.

وإن كان الإنسان تحت حكم الإيمان نازعه العيان فلم تحصل سكينة.

وأعلم أن المعاني التي تتصف بها القلوب قد يجعل الله علامة على حصولها في نفوس من شاء من عباده أن يحصلها فيه علامات من خارج تسمى تلك العلامة باسم ذلك المعنى الذي يحصل في نفسه من الله وإنما يسميه به ليعلم أن تلك العلامة لحصول هذا المعنى نصبت مثل قوله تعالى في تابوت بني إسرائيل إن الله قد جعل فيه سكينة وهي صورة على شكل حيوان من الحيوانات اختلف الناس في أي صورة حيوان كانت ولا فائدة لنا في ذكر ما ذكروه في صورتها.

فكانت تلك الصورة إذا هفت أو ظهرت منها حركة خاصة بصروا فسكن قلبهم عند رؤية تلك العلامة من تلك الصورة التي سماها سكينة وإن السكينة المعلومة إنما حلها القلوب فلم يجعل لهذه الأمة علامة خارجة عنهم على حصولها فليس لهم علامة في قلوبهم سوى حصولها فهي الدليل على نفسها ما تحتاج إلى دليل من خارج كما كان في بني إسرائيل فبدء السكينة قد بيناه .

وأما السكينة فهي الأمر الذي تسكن له النفس لما وعدت به أو لما حصل في نفسه من طلب أمر ما وسميت سكينة لأنها إذا حصلت قطعت عنه وجود الهبوب إلى غير ما سكنت إليه النفس ومنه سمي السكين سكينا لكون صاحبه يقطع به ما يمكن قطعه به .

وهذا اللفظ مشتق من السكون وهو الثبوت وهو ضد الحركة فإن الحركة نقلة فالسكينة تعطي الثبوت على ما سكنت إليه النفس ولو سكنت إلى الحركة هنا حقيقتها، ولا يكون ذلك إلا عن مطالعة أو مشاهدة فتتنزل عليهم وهم مؤمنون فتنقلهم بنزولها عن رتبة ما كانوا به مؤمنين إلى مقام معاينة ذلك وهو تضاعف إيمانهم بالعيان ليزدادوا إيمانا على إيمانهم.

الا ترى إلى قوله تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾(1) إلا ان الأمنة هي السكينة لا غيرها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

---

(1) سورة الأنفال،الآية ١١.

السؤال الثامن والعشرون: ما العدل؟

الجواب: العدل هو الحق المخلوق بـه السموات والأرض ـفسهل ابـن عبـد الله وغيره يسميه العدل وأبو الحكم عبد السلام بـن برجـان يسميه الحق المخلوق بـه لأنه سمع الله يقول: ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[1] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2] وبالحق أنزلناه أي بما يجب لذلك المخلوق ممـا تقتضيـه حالـه خاصة بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[3] أي بين أنه أعطى كل شيء خلقه أي ما خلقه إلا بالحق وهو ما يجب له.

فالعلم على الحقيقة هو الله الذي علم ما تستحقه الأعيـان في حـال عدمـها وميز بعضها عن بعض بهذه النسبة الإحاطية ولولا ذلك لكانت نسبة الممكنـات في قضية العقل فيما يجب لها من الوجـود نسبة واحـدة وليـس الآمـر كذلك ولا وقـع كذلك بل علم سبحانه ما يتقيد من الممكنـات في وجـوده بـأمس لا يمكـن عنـده أن يوجده اليوم ولا في غد.

فإنه مـن تمـام خلقـه تعيين زمانـه وهـو القـدر وهي الأقدار أي مواقيت الإيجاد فهو سبحانه يخلـق مـن غـير حكـم قـدر عليـه في خلقـه والمخلوقـات تطلب الأقدار بذاتها فأعطى كل شيء خلقه من زمانه فيمن يتقيد وجوده بالزمان ومـن حاله فيمن يتقيد وجوده بالحال ومن صفته فيمن يتقيد وجوده بالصفة.

فإن قلت فيه: مختار صدقت.

وإن قلت حكيم: صدقت. وإن قلت لم يوجد هذه الأمور على هـذا الترتيب إلا بحسب ما أعطاه العلم: صدقت وإن قلـت ذاتـه اقتضت أن يكون خلـق كـل شيء على ما هو عليه ذلك الشيء في ذاته ولوازمه وأعراضـه لا تتبـدل ولا تتحـول ولا في الإمكان أن يكون ذلك اللازم أو العارض لغير ذلك الممكن: صدقت.

---

(١) سورة الدخان:الآية ٣٩.

(٢) سورة الحجر:الآية ٧.

(٣) سورة طه:الآية ٥٠.

فبعد أن أعلمتك صورة الأمر على ما هو عليه فقل ما تشاء فإن قولك من جملة من أعطى خلقه في ظهوره منك فهو من جملة الأعراض في حقك وله صفة ذاتية ولازمة وعرضية من حيث نفسه فاعلم ذلك.

وأما تحقيق هذا الاسم لهذه النسبة فاعلم أن العدل هو الميل يقال عدل عن الطريق إذا مال عنه وعدل إليه إذا مال إليه وسمى الميل إلى الحق عدلا كما سمى الميل عن الحق جورا بمعنى أن الله خلق الخلق بالعدل.

أي أن الذات لها استحقاق من حيث هويتها ولها استحقاق من حيث مرتبتها وهي الألوهية فلما كان الميل مما تستحقه الألوهية التي تطلب المظاهر لذاتها سمى ذلك عدلا أي ميلا من استحقاق ذاتي إلى استحقاق إلهي لطلب المألوه ذلك الذي يستحق .

ومن أعطى المستحق ما يستحقه سمى عدلا وهو الحق فما خلق الله الخلق إلا بالحق وهو إعطاؤه خلقه ما يستحقونه وليس وراء هذا البيان وبسط العبارة ما يزيد عليها في الوضوح .

السؤال التاسع والعشرون: ما فضل النبيين بعضهم على بعض وكذلك الأولياء؟

الجواب: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1] وقال في حق الناس ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[2] هذا عموم في الناس فدخل الأولياء في عموم هذه الآية وقال في حق المؤمنين والعلماء ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[3] .

فاختلف أصحابنا في مثل هذا فذهب ابن قسى إلى أن كل واحد منهم فاضل مفضول ففضل هذا بأمر ما وفضله المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر فهو فاضل بوجه ومفضول بوجه لمن فضل عليه فأدى إلى التساوي في الفضلية فصاحب هذا

---

(١) سورة الإسراء:الآية ٥٥.

(٢) سورة الزخرف:الآية ٣٢.

(٣) سورة المجادلة:الآية ١١.

القول ما حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحق فيه وذلك أن تنظر المراتب فإن كانت الفضيلة فتنظر أية مرتبة هي أعم من الأخرى وأعظم .

فالمتصف بها افضل ففضل أرباب المراتب بفضل المراتب فقد يزيد ويفضل بعض الناس غيره بشيء ما فيه فإن الفصل في هذا الوجه لا ينظر من حيث أنه زيادة ولكن ينظر من حيث اعتبار زيادات لها شرف في العرف والعقل كالعلم والنجارة والخياطة والعلم بالأحكام الشرعية والعلم بما ينبغي لجلال الله وكل واحد منهم لا يعلم على الآخر فيقال قد فضل النجار على الموحد بالدليل بالنجارة.

هذا لا يقال على جهة الفخر والمدح بل على جهة الزيادة ويقال فضل العالم بالله النجار على طريق الشرف والفخر فمثل هذا المفاضلة هي التي تعتبر وهي أن يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي المجد والشرف.

فهذا معنى قوله﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] بما يقتضيه الشرف ونحن نجمع إلى ذلك الزيادة فنقول فبقوله ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي جعلنا عند كل واحد من صفات المجد والشرف ما لم نجعل عند الآخر فقد زاد بعضهم على بعض في صفات الشرف والمراتب التي فضلوا بها بعضهم على بعض ما فيها مفاضلة عندنا لارتباطها بالأسماء الإلهية والحقائق الربانية.

ولا تصح مفاضلة بين الأسماء الإلهية لوجهين:

الواحد: أن الأسماء نسبتها إلى الذات نسبة واحدة فلا مفاضلة فيها فلو فضلت المراتب بعضها بعضا بحسب ما استندت إليه من الحقائق الإلهية لوقع الفضل في أسماء الله فيكون بعض الأسماء الإلهية افضل من بعض وهذا لا قائل به عقلا ولا شرعا ولا يدل عموم الاسم على فضله.

لأن الفضلية إنما تقع فيما من شأنه أن يقبل فلا يتعمل في القبول أو فيما يجوز أن يوصف به فلا يتصف به.

---

(١) سورة الإسراء:الآية ٥٥.

والوجه الآخر: أن الأسماء الإلهية راجعة إلى ذاته والذات واحدة والمفاضلة تطلب الكثرة والشيء لا يفضل نفسه فإذا المفاضلة لا تصح فمقول ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي أعطينا هذا أيضا ما لم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف.

فمنهم من كلم الله ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[1]

ومنهم من فضل بأن خلقه بيديه وأسجد له الملائكة ومنهم من فضل بالكلام القديم الإلهي بارتفاع الوسائط ومنهم من فضل بالخلة.

ومنهم من فضل بالصفوة وهو إسرائيل يعقوب.

فهذه كلها صفات شرف ومجد لا يقال أن خلقته أشرف من كلامه ولا أن كلامه أفضل من خلقه بيديه بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد فهي بالنسبة إلى كذا خالقة وبالنسبة إلى كذا مالكة وبالنسبة إلى كذا عالمة إلى ما نسبت من صفات الشرف والعين واحدة.

وأما المسألة الطفولية التي بين الناس واختلافهم في فضل الملائكة على البشر فلئي سألت عن ذلك رسول الله ﷺ في الواقعة. فقال لي لأن الملائكة أفضل فقلت له يا رسول الله. فإن سئلت ما الدليل على ذلك فما أقول؟ فأشار إلى أن قد علمتم أني أفضل الناس وقد صح عندكم وثبت وهو صحيح أني قلت عن الله تعالى أنه قال(من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) وكم ذاكر لله تعالى ذكره في ملأ أنا فيهم فذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ الذي أنا فيهم فما سررت بشيء سروري بهذه المسألة فإنه كان على قلبي منها كثيرا وان، تدبرت قوله تعالى((هو الذي يصلى عليكم وملائكته)) وهذا كله بلسان التفصيل.

وأما جهة الحقائق فلا مفاضلة ولا أفضل لارتباط الأشخاص بالمراتب

---

(١) سورة البقرة،الآية ٨٧.

وارتباط المراتب بالأسماء الإلهية وإن كان لها الابتهاج بذاتها وكما لها فابتهاجها بظهور آثارها في أعيان المظاهر أتم ابتهاجا لظهور سلطانها كما تعطي الإشارة في قول القائل المترجم عنها حيث نطق بلسانها من كناية نحن المنزل عن الله في كلامه وهي كناية تقتضي الكثرة.

نحن في مجلس السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور

فمجلس السرور لها حضرة الذات، وتمام السرور لها ما تعطيه حقائقها في المظاهر وهو قوله: بكم وذلك لكمال الوجود والمعرفة لا لكمال الذات إن عقلت.

السؤال الثلاثون: خلق الله الخلق في ظلمه؟

الجواب: هذا مثل قوله:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ﴾(١) فهذه أنوار فيك تدرك بها الأشياء فما أدركت إلا بما جعل فيك وما جعل فيك سوى أنت فله تعالى مما أنت الوجود وأنت من ذلك الوجود المدرك به المعدوم الموجود وما لا يتصف بالعدم ولا بالوجود وهو إدراك الافئدة مما ذكر.

فالممكنات على عدم تناهيها في ظلمة من ذاتها وعينها لا نعلم شيئا ما لم تكن مظهر الوجود وهو ما يستفيده الممكن منه وهو قوله تعالى:﴿ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(٢) فخلق هنا بمعنى قدر قال تعالى:﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾(٣) فقدرهم ولم يكونوا مظهرا لكن كانوا قابلين لتقديره فأول أثر الهي في الخلق التقدير قبل وجودهم وإن يتصفوا بكونهم مظاهر للحق .

فالتقدير الإلهي في حقهم كإحضار المهندس ما يريد إبرازه مما يخترعه في ذهنه من الأمور فأول أثر في تلك الصورة إنما هو ما تصوره المهندس على غير مثال وآية هذا المقام قوله﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾(٤) أي

---

(١) سورة النحل:الآية ٧٨.
(٢) سورة الزمر:الآية ٢٢.
(٣) سورة الفرقان:الآية ٢.
(٤) سورة الرعد:الآية ٢.

انتقالكم من وجود الدنيا إلى وجود الآخرة أقرب في العلم إن كنتم موقنين من انتقالكم من حال عدم إلى حال وجود فأنتم في الظلمة فيكم وأنتم في الوجود فيه.

غير أن لكم انتقالات في وجوده وظلمتكم تستصحبكم لا تفارقكم أبدا ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[1] ولم يقل نجعلهم في ظلمة بل زوال عين النور الذي هو الوجود هو عين كونكم مظلمين أي تبقى أعيانكم لا نور لها أي لا وجود لها ولو لم تكن الظلمة نسبة عدمية وهي كون ذواتكم العينية معدومة لكانت الظلمة من جملة الخلق فكانت الظلمة تستدعى أن تكون في ظلمة.

والكلام في تلك الظلمة كالكلام في الأولى ويتسلسل فإن قوله: خلق الله الخلق في ظلمة قد يريد بالخلق هنا المخلوقات والظلمة إذا كانت أمرا وجوديا فهي مخلوقة فتكون أيضا في ظلمة وإذا كان الخلق هنا مصدرا كأنه قال قدر الله التقدير في ظلمة أي في غير موجودين يعني تلك الأعيان.

وانظر في قوله تعالى:﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾[2] ثم إن الله تعالى في الوجود الأخروي إذا أراد الله بتبديل الأرض كان الخلق في الظلمة دون الجسر فالظلمة تصحبهم بين كل مقامين إذا أراد الله أن يوجدهم في عالم أخر أي ينشئهم نشأة أخرى لم تكن في أعيانهم فيعلمون بتغير الأحوال عليهم لأنهم تحت حكم قهار فيكونون في حال وجودهم مثل حالهم في العدم.

ولهذا نبه الحق سبحانه عقولنا بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾[3] أي قدرناه في حال شيئيته المتوجه عليها لأمره إلى شيئية أخرى لقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ ﴾[4].

يعني في حال عدمه أن نقوله له كن كلمة وجودية من التكوين فسماه شيئا

---

(١) سورة يس، الآية ٣٧.
(٢) سورة الزمر، الآية ٦.
(٣) سورة مريم، الآية ٦٧.
(٤) سورة النحل، الآية ٤٠.

في حال تكن فيه الشيئية المنفية بقوله ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[1] شيئا فلا بد أن يعقل العارف ما الشيئية الثابتة له في حال عدمه في قوله إنما قولنا لشيء وما الشيئية المنفية عنه في حال عدمه في قوله له: ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ فالظلمة التي خلق الله فيها الخلق نفى هذه الشيئية عنهم والنفي عدم محض لا وجود فيه.

وقد ذكر المفسرون معنى قوله. ﴿ ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾[2] وليس المقصود إلا ما ذكره صاحب السؤال، وأما الآية فمعلوم أمرها عند العلماء بالله في خلق مخصوص وهو الخلق في الرحم لا غير.

السؤال الحادى والثلاثون: فما قصتهم هناك يعنى قصة المخلوقين؟

الجواب: قصتهم هناك الانتظار لما يكسوهم الحق من حل نور الوجود لكل مخلوق نور على قدره ينفق منه وهو النور الذى يمشون فيه يوم القيامة فإن يوم القيامة ليس له ضوء جملة واحدة والناس لا يسعون فيه إلا فى أنوارهم ولا يمشى مع أحد منهم غيره فى نوره كما قال عليه السلام: « بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » وهو الجمع بين النورين بين نورهم المبطون فى أعيانهم الظاهر هناك وبين النور المبطون فى ظلمة الليل الذى ينوب عنه السراج فى نفى تلك الظلمة عن طريق الماشى والمسجد بيت الله يسعى إليه لمناجاته.

كذلك هذا النور لا يكون لهم إلا فى الوقت الذى يدعون فيه إلى رؤية ربهم الذى ناجوه هنا فيمشون فى ذلك الوقت فى النور الذى كان مبطونا فى الظلمة التى سعوا فيها فى صلاة الصبح والعشاء إلى المساجد وانتظارهم هو انتظار حال فإنهم غير موصوفين فى تلك الظلمة بالعلم لأن الاتصاف بالعلم تابع للوجود وهم غير موجودين بل هم فى شيئيتهم القابلة لقول التكوين.

ولما جعل الظلمة ظرفا للخلق كذلك قال هناك فأتى بما يدل على الظرف

---

(١) سورة مريم،الآية ٩.

(٢) سورة الزمر،الآية ٦.

فهم قابلون للتقدير وإن كان قوله فى ظلمة فى موضع الحال من الخالق فيكون المراد به العلماء الذى ما فوقه هواء وما تحته هواء الذى أثبته رسول الله ﷺ بهذه الصفة للحق تعالى حين قيل له لين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟.

فقال ﷺ «كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء » فنزه أن يكون تصريفه للأشياء على الأهواء فإنه لما كنى عن ذلك الوجود بما هو اسم للسحاب محل تصريف الأهواء نفى أن يكون فوق ذلك العماء هواء أو تحته هواء.

فله الثبوت الدائم لا على هواء ولا فى هواء فإن السؤال وقع بالاسم الرب ومعناه الثابت يقال رب بالمكان إذا أقام فيه وثبت فطابق الجواب ولم يصف الحق نفسه فى مخلوقاته إلا بقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾(١) وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ﴾(٢) فتخيل من لا فهم له تغير الأحوال عليه وهو يتعالى ويتقدس عن التغيير بل الحالات هى متغيرة ما هو يتغير بها فإنه الحاكم ولا حكم عليه.

فجاء الشارع بصفة الثبوت التى لا تقبل التغيير فلا تصرف آياته يد الأهواء لأن عماءه لا يقبل الأهواء وذلك العماء هو الأمر الذى ذكرنا انه يكون فى القديم قديماً وفى المحدث محدثاً وهو مثل قولك أو عين قولك لك فى الوجود.

إذا نسبته إلى الحق قلت قديم وإذا نسبته إلى الخلق قلت محدث فالعماء من حيث هو وصف للحق هو وصف إلهى ومن حيث هو وصف للعالم هو وصف كيانى فتختلف عليه الأوصاف لاختلاف أعيان الموصوفين.

قال تعالى فى كلامه القديم الأزلى: « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث» فى نفسه أو ليس بمحدث.

فإذا قلنا فيه: أنه صفة الحق التى يستحقها جلاله قلنا: بقدمها بلا شك فإنه يتعالى أن تقوم الصفات الحادثات به فكلام الحق قديم فى نفسه قديم بالنسبة إليه محدث ايضاً.

كما قال عند من أنزل عليه كما أنه ايضاً من وجوه قدمه نسبته إلى الحدوث بالنظر إلى من أنزل عليه فهو الذى ايضاً أوجب له صفة القدم إذ لو ارتفع الحدوث

---

(١) سورة الزمر،الآية ٦.

(٢) سورة الرعد،الآية ٢.

من المخلوق لم يصح نسبة القدم ولم تعقل فلا تعقل النسب التى لها أضداد إلا بأضدادها فقصة الخلق فى الظلمة التهيؤ والقبول فى الأعيان لظهور الحق فى ضوء الوجود لهذه الأعيان.

السؤال الثانى والثلاثون : وكيف صفة المقادير؟

الجواب: المقادير هى الصفات الذاتية للأشياء فلا صفة لها فهى الحدود المانعة من هو متصف بها أن تكون صفة لغيره.

وعندى فى حد الحد نظر فإن أراد بقوله له صفة المقادير المنع ويجعله صفة من حيث انك تعبر عنها بأمر هو عينها بعد علمك بهذا فقل: إن هذا صفة المقدار وإن أردت الحقيقة فلا صفة للمقادير لأن الشىء لا يكون صفة لنفسه فإن قلت فالصفات النفسية ما هى بأمر زائد على الذات.

قلنا صدقت: قال فإذا قد وصفت الشىء بنفسه قلت إن كان غير مركب فالوصف فيه عين إطلاق لفظ يكون شرحا للفظ آخر عند السامع يقع به الإفهام عنده وإن كان الشىء مركبا فذلك الوصف للمجموع وحكم الشىء من كونه مجموعا غير حكمه من كونه غير مجموع.

فأنت إنما ذكرت آحاد ذلك المجموع المعقول من هذه الجمعية أمرا أما هو عين كل مفرد من هذا المجموع فهذا الشىء الموصوف بصفاته النفسية إنما تلك أسماء آحاده .

ألا ترى الذات لا توصف رأسا فإنها لذاتها هى ذات ولذاتها لا تقبل الوصف ثم لما قلت الله من حيث المرتبة استحق أن يوصف من حيث هذا الاسم بما يطلبه هذا الاسم من الحقائق التى تعنيها المحدثات المعبر عنها بالأسماء فما ثم شىء يوصف بنفسه إلا من حيث شرح لفظ بلفظ آخر.

ولذا قسمنا الحدود إلى ثلاث مراتب: ذاتية، ورسمية، ولفظية. فالمقادير جمع مقدار والأقدار جمع قدر فلا يلتبس عليك المقادير بالأقدار.

فبعض المقادير محل تأثير الأقدار فاعلم حدود الأمور الذاتية عين مقاديرها فالوزن القدر، والموازين المقادير، وبها توزن الأشياء.

فالأمور لا تعلم بحدودها ومن لا حد له فذلك حده فلا علم .

السؤال الثالث والثلاثون: فما سبب علم القدر الذى طوى عن الرسل فمن دونهم:

الجواب: فى السؤال حذف وهو أن يقول : ما سبب طى علم القدر الذى طوى عن الرسل فمن دونهم فإن كان هذا الرجل يقول بفضل أفضل البشر على أفضل الملائكة فكأنه قال الذى طوى عن كل ما سوى الله.

وإن كان يرى أن أفضل الملائكة أفضل من أفضل البشر فقوله فمن دونهم لا يلزم أن من هو أفضل من الرسل طوى عنه علم القدر فقد يمكن عنده أن يكون من هو أعلى يعلم ذلك فبقى الجواب عما يقتضيه الأمر فى نفسه هل ثم من يعلم علم القدر أم لا؟.

قلنا لا ولكن قد يعلم سره وتحكمه فى الخلائق وقد أعلمنا به فعلمناه بحمد الله وأن مظاهر الحق فى أعيان الممكنات المعبر عنها بالعالم هى آثار القدر.وهى علامة على وجود الحق ولا دليل على الشىء من نفسه فلم يعلم الحق بغيره بل علم نفسه ونسبه الوجود إلى هذه الأعيان .

قد قلنا أن ذلك أثر القدم فنعلم القدر بأثره ونعلم الحق بوجوده وذلك لأن القدر نسبة مجهولة خاصة والحق وجود فيصح تعلق العلم بالحق ولا يصح تعلق العلم بالقدر فإن علمنا بظهور المظهر فى العين هو عين علمنا بالحق.

والقدر مرتبة بين الذات وبين الحق من حيث ظهوره، لا يعلم أصلا وحكمه فى المظاهر حكم الزمان فى عالم الأجسام فلهذا يطلقه أكثر المحققين على الأوقات المعقولة .

وقد أعلمناك أن الزمان نسبة معقولة غير موجودة ولا معدومة وهو فى الكائنات فالوقت أعز مقاما فى امتناع العلم به أو تصوره فلا ينال أبدا وقد كان

العزيز برسول الله عليه السلام كثير السؤال عن القدر إلى أن قال له الحق تعالى: ﴿يا عزيز لئن سألت عنه لأمحون اسمك من ديوان النبوة﴾.

ويقرب منه السؤال عن علل الأشياء فى تكويناتها فأفعال الحق لا ينبغى أن تعلل فإنه ما تم علة موجبة لتكوين شىء إلا عين وجود الذات وقبول عين الممكن لظهور الوجود.

فالأزل لا يقبل السؤال عن العلل وأن ذلك لا يصدر إلا من جاهل بالله فالسبب الذى لأجله طوى علم القدر هو أن له نسبة إلى ذات الحق ونسبة إلى المقادير فعز أن يعلم عز الذات وعز أن يجهل لنسبة المقادير فهو المعلوم والمجهول فأعطى التكليف فى العالم فاشتغل العالم بما كلفوا ونهوا عن طلب العلم بالقدر ولا يعلم إلا بتقريب الحق وشهوده شهودا خاصا لعلم هذا المسمى قدرا .

فأولياء الله وعباده لا يطلبون علمه للنهى الوارد عن طلبه فمن عصى الله وطلبه من الله وهو لا يعلم بالنظر الفكرى فلم يبق إلا أن يعلم بطريق الكشف الإلهى والحق لا يقرب من عصاه بمعصيته وطالب هذا العالم قد عصاه فى طلبه فلا ينال من طريق الكشف وما تم طريق آخر يعلم به علم القدر فلهذا كان مطويا عن الرسل فمن دونهم وأن نزع أحد إلى أن السائل اعتبر بسؤاله معنى الرسالة.

فمن حيث أنهم رسل طوى عنهم فى هذه المرتبة ومن دونهم من أرسل إليهم وذلك هو التكليف فسد الله باب العلم بالقدر فى حال الرسالة فإن علموه فما علموه من كونهم رسلا بل من كونهم من الراسخين فى العلم.

فقد ينال على هذا الولاء ما بيناه من أن مرتبته بين الذات والمظاهر فمن علم الله القدر ومن جهل الله جهل القدر والله سبحانه مجهول فالقدر مهول.

فمن المحال أن يعرف المألوه الله لأنه لا ذوق له فى الألوهة فإنه مألوه ولله ذوق فى المألوهية لكونه يطلبها فى المألوه كما يطلبه المألوه.

فمن هناك وصف الحق نفسه بما وصف به مظاهره من التعجب والضحك والنسيان وجميع الأوصاف التى لا تليق إلا بالممكنات.

فسر القدر عين تحكمه فى المقادير. كما أن الوزن متحكم فى الموزون والميزان نسبة رابطة بين الموزون والوزن بها يتعين مقدار الموزون ومقادير الموزونات على اختلافها فالحق وضع الميزان وقال: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] ويستحقه من أنزل إليه فكل شيء بقضائه أى بحكمه وقدره أى وزنه وهو تعيين وقت حالا كان وقته أو زمانا أو صفة أو ما كان.

فظهر أن سبب طى علم القدر سبب ذاتى والأشياء إذا اقتضت الأمور لذواتها لا للوازمها أو أعراضها لم يصح أن تتبدل ما دامت ذواتها والذوات لها الدوام فى نفسها لا لنفسها فوجود العلم بها محال.

السؤال الرابع والثلاثون: لأى شيء طوى؟

الجواب: هذا سؤال اختبار إن كان السائل عالما فإنه من المعلومات ما يعلل ومنها ما لا يعلل هذا فى المعلومات فكيف ما لا يعلم كيف يصح أن يعلل الجهل به وأما من يرى أن القدر معلوم لمن فوق مرتبة الرسل من الملائكة أو من شاء الله من خلقه الذى لا علم لنا بأجناس خلقه.

فيكون طيه حتى لا يشارك الحق فى علم حقائق الأشياء من طريق الإحاطة بها إذ لو علم أى معلوم كان بطريق الإحاطة من جميع وجوهه كما يعلمه الحق لما تميز علم الحق عن علم العبد بذلك الشيء ولا يلزمنا على هذا الاستواء فيما علم منه.

فإن الكلام فيما علم منه على ذلك فإن العبد جاهل بكيفية تعلق العلم مطلقا بمعلومه فلا يصح أن يقع الاشتراك مع الحق فى العلم بمعلوم ما ومن المعلومات العلم بالعلم وما من وجه من المعلومات إلا وللقدر فيه حكم لا يعلمه إلا الله فلو علم القدر علمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاستقل العبد فى العلم بكل

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢١.

شيء وما احتاج إلى الحق فى شيء وكان الغنى له على الإطلاق.

فلما كان الأمر بعلم القدر يؤدى إلى هذا طواه الله عن عباده فلا يعلم فكل شخص فى العالم على جهل من نفسه وعلم .

فمن حيث جهله يفتقر ويسأل ويخضع ويتضرع وبعلمه بجهله يقع منه هذا الوصف. هذا إذا اتفق أن يكون ممكنا العلم به وقد قررنا أنه محال لذاته كما يعلم أنه ليس للحق من الصفات النفسية سوى واحدة لأحديته وهى عين ذاته فليس له فصل مقوم يميز به عما وقع له من الاشتراك فيه مع غيره بل له الأحدية الذاتية التى لا تعلل ولا تكون علة فهى الوجود وما هى.

ومن الأسباب التى لأجلها طوى علم ذلك عن الإنسان لكون ذات الإنسان تقتضى البوح به لأنه أسنى بما يمدح به الإنسان ولا سيما الرسل فحاجتهم إليه أكد من جميع الناس لأن مقام الرسالة يقتضى ذلك وما ثم علم ولا آية أقرب دلالة على صدقهم من مثل هذا العلم .

قال رسول الله ﷺ فيما وصف به مما أوحى إليه به أنه لا شئ أحب إلى الله تعالى من أن يمدح ولا مدحة فوق المدحة بمثل هذا . ثم أن الله خلق آدم على صورته فلا شيء أحب إلى العبد من أن يمدح ويثنى عليه وأسنى ما يمدح به العبد العلم بالله وعلمه بالقدر علمه بالله.

فلو فتح للعبد الإنسانى العلم بالقدر وقد أمر بالغيرة فيه وطيه عمن لا ينبغى أن يظهر عليه وكان الإنسان وهو مجبول على حب المدح والرسالة تعطى الرغبة فى هداية الخلق يكتمون علم مثل هذا وغيره إذا كان عندهم إلا الجن والإنس فإن النشأة من هذه القوى العنصرية تقتضى لهم ذلك فمن كتم منهم فإنما يكتم على كره مما ينبغى أن يمدح به إذا بثه .

ولولا أن البهائم لم تعط لها قوة التوصيل لأعلمت بما تشاهده من الأمور الغيبية التى أمر الله من يعلمها بسترها مثل خوار الميت على نعشه وعذاب القبر وحياة الشهداء فكل دابة تسمعه وتصغى يوم الجمعة شفقا من الساعة.

ولكن لما كوشفت على مثل هذا أعطيت الخرس عن التوصيل فكتمها الأشياء اضطرارى لا اختيارى فطواه الله عن الثقلين لذلك فإنه من الأسرار المكتومة فهذا من الأسباب التى طوى لها علم القدر.

السؤال الخامس والثلاثون: متى ينكشف لهم سر القدر:

الجواب: سر القدر غير القدر وسره عين تحكمه فى الخلائق وانه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون الحق بصرهم فإذا كان بصرهم بصر الحق ونظروا للأشياء ببصر الحق حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه. إذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شىء قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [1] لكونها مظلمة تمدح بإدراك الأشياء فيها كيف يشاء من أنواع الصور.

والتصوير لا إله إلا هو العزيز أى المنيع الذى نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير ولا تصور الحكيم بما تعطيه الاستعدادات المسواة لقبول الصور فيعين لها من الصور ما شاء مما قد علم أنها مناسبة له.

قال رسول الله ﷺ عن ربه تعالى أنه قال : «ما تقرب أحد بأحب إلى من أداء ما افترضته عليه» لأنها عبودية اضطرار « ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل» وهى عبودية اختيار حتى أحبه إذ جعلها نوافل فاقتضت البعد من الله فلما الزم عبودية الاختيار نفسه لزوم عبودية الاضطرار أحبه فهو معنى قوله تعالى:«حتى أحبه» ثم قال: « فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به» الحديث.

فإذا كان الحق لهذه الحالة بصر العبد كيف يخفى عليه ما ليس يخفى فأعطته النوافل واللزوم عليها أحكام صفات الحق وأعطته الفرائض ان يكون كله نورا فينظر بذاته لا بصفته.

فذاته عين سمعه وبصره فذلك وجود الحق لا وجوده . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

---

(١) سورة آل عمران ،الآية ٥.

السؤال السادس والسابع والثلاثون : أين ينكشف لهم، ولمن ينكشف منهم؟

الجواب : فى حال الانفعال عنهم والاتحاد بهم وذلك أن من المظاهر من يعلم أنه مظهر ومن المظاهر من لا يعلم أنه مظهر يتخيل أنه عن الحق أجنبى.

وعلامة من يعلم أنه مظهر أن تكون له مظاهر حيث شاء من الكون كقضيب البان فإنه كان له مظاهر فيما شاء من الكون لا حيث ما شاء من الكون وأن من الراجل من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء ومن كان له الظهور حيث شاء .

من الكون كان له الظهور فيما شاء من الكون فتكون الصورة الواحدة تظهر فى أماكن مختلفة وتكون الصور الكثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة فى عين المدرك لها.

فإذا حصل الإنسان فى المكان الذى يعرف فيه تجلى الحق فى الصور المختلفة للشخص الواحد أو الأشخاص الكثيرين فمعرفته بتلك الحيثية لا تكون إلا ذوقا ومن عرف مثل هذا ذوقا كان متمكنا من الإنصاف بمثل هذه الصفة.

وهذا هو علم سر القدر الذى ينكشف لهم إذا كانوا فى هذا المنزل وبهذه القوة.

السؤال الثامن والثلاثون : ما الإذن فى الطاعة والمعصية من ربنا ؟

الجواب : قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[1] فالإذن الذى تشترك فيه الطاعة والمعصية هو الإذن الإلهى فى كون المأذون فيه فعلا لا من طريق الحكم لأن حكمه فى الأشياء بالطاعة والمعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة فلا يكون مرادا فلا يكون الحكم مأمورا به والمحكوم به وعليه هو المراد والمأثور به.

فلا يصح الإذن فى الطاعة والمعصية من حيث أنها طاعة ومعصية قال تعالى :﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأعراف،الآية ٢٨.
(٢) سورة النساء : الآية ٧٨.

من حيث أنها فعل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فأنكر عليهم أن تكون السيئة من عند محمد ﷺ كما قال فى موسى: « يطيروا بموسى ومن معه» فقال لهم وما أصابك من سيئة فمن نفسك لا من محمد فاحتجاجنا فى مسئلتنا إنما هو بقوله:« قل كل من عند الله» فأضاف الكل إلى الله والكل خير وهو بيده والشر ليس إليه فأوهم السائل المسئول بلفظ الطاعة والمعصية ليرى ما عنده من العلم فإنه سؤال ابتلاء منه لمدعى علم الحقائق من طريق الكشف .

وقد قررنا هذا الفصل فى كتاب المعرفة لنا .

السؤال التاسع والثلاثون: وما العقل إلا كثر الذى قسمت العقول منه لجميع خلقه؟

الجواب : لما كان فى نفس الأمر يقتضى أن تكون مراتب المعلومات من الممكنات ثلاثا :

مرتبة للمعانى المجردة عن المواد التى من شأنها أن تدرك بالعقول بطريق الأدلة والبداية .

ومرتبة من شأنها أن تدرك بالحواس وهى المحسوسات.

ومرتبة من شأنها أن تدرك بالعقل أو الحواس وهى المتخيلات وهى تشكل المعانى فى الصور المحسوسة تصورها القوة المصورة الخادمة للعقل يقتضى ذلك أمر يسمى الطبيعة فيما ينشأ منها من الأجسام الإنسانية والجنية.

فلما أن شاء الله أن يوضح للمكلفين من عباده أسباب سعادتهم على ألسنة رسله من البشر إليهم بوساطة الروح العلوى المنزل بذلك على قلوب بعض البشر المسمين رسلا وأنبياء أجرى المعانى فى المخاطبات مجرى المحسوسات فى الصور التى تقبل التجزى والانقسام والقلة والكثرة وجعل محل ذلك حضرة الخيال. فحصروا المعانى فى الخطاب فتلقتها بالتشبيه العقول كما تتلقى بالمحسوسات التى شبهت بها هذه المعانى التى ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها أن تكون متحيزة أو منقسمة أو قليلة أو كثيرة أو ذات حد ومقدار وكيف وكم.

وجعل لنا الدليل على قبول ما أتى به من هذا القبيل فى هذه الصور ما يراه النائم فى نومه من العلم فى صورة اللبن فيشربه حتى يرى الرى يخرج من أظفاره فقيل له: ما أولته يا رسول الله يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت.

فقال العلم. ومعلوم أن العلم ليس بجسم يسمى لبنا ولا هو لبن وإنما هو معنى مجرد عن الصور التى من شأنها أن تدركها الحواس فكان منها ما قال الشارع فى تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب فمن الناس منن حصل له من العقل الممثل فى الصور التى من شأنها أن تكال القفيز، والقفيزين ، والأكثر، والأقل، والمد والمدين والأكثر من ذلك والأقل.

ليبين بهذا تفاضل الناس فى العقول لأنه المشهود عندنا لانا نرى أشخاصا كلهم يتصفون بأنهم عقلاء ذووا أحلام فمنهم من يدرك عقله غوامض الأسرار والمعانى ويحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكيم على خمسين وجها ومائة أو أكثر واقل من المعانى الغامضة والعلوم العالية المتعلقة بالجناب الإلهى أو الروحانى أو الطبائع أو العلم الرياضى أو الميزان المنطقى وعقل شخص ينزل عن هذه الدرجة إلى ما هو اقل وآخر ينزل دون هذا الأقل .

وعقل آخر يعلو فوق هذا الأكبر. فلما شاهدنا تفاوت العقول احتجنا أن نقسمها على الأشخاص تقسيم الذوات التى تقبل الكثرة والقلة ويسمى المعنى القابل لهذه القسمة المعنوية الممثلة العقل الأكثر أى الذى قسمت منه هذه العقول التى فى العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت.

وصورة تكوين العقول من هذا العقل الأكبر فى تحقيق الأمر بطريق التمثيل والتشبيه الأقرب إلى المناسب بالسراج الأول فتوقد منه جميع الفتائل فتتعدد السرج بعدد الفتائل وتقبل الفتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها.

ففتيلة طبيعية فى غاية النظافة صافية الدهن وافرة الجسم يكون قبولها أعظم فى اتساع النور، وفى كمية جسم النور، واكبر من فتيلة زلت عن هذه فى الصفة من النظافة والصفاء فكان التفاوت بين الأنوار بحسب استعدادات الفتائل

ومع هذا فلم ينقص من السراج الأول شيء بل هو على كماله. كما كان وكل سراج من هذه السرج يضاهيه ويقول لنا مثله وبأى شيء فضل على وأنا يؤخذ منى كما يؤخذ منه ويصول ويقول وما يرى فضله عليه من وجه أنه الأصل وله التقدم.

والثانى أنه فى غير مادة ولا واسطة بينه وبين ربه وما عداه فلم يظهر له وجود إلا به وبالمواد التى قبلت الاشتعال منه فظهرت أعيان العقول هذا كله غاب عنها بل ما لها فيه ذوق كيف يدرك من لا وجود له إلا بين أب وأم حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة.

وإذا كانت العقول تعجز عن إدراك العقل الأول التى ظهرت عنه فعجزها عن إدراك خالق العقل الأول وهو الله تعالى أعظم فإنه أول ما خلق الله العقل. وهو الذى ظهرت منه هذه العقول بوساطة هذه النفوس الطبيعية فهو أول الآباء وسماه الله فى كتابه العزيز الروح وأضافه إليه فقال فى حق النفوس الطبيعية وحق هذا الروح وحق هذه الأرواح الجزئية التى لكل نفس طبيعية « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » وهو هذا العقل الأكبر.

ولهذا يقال فيه العقل الغريزى معناه الذى اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها الذى هو عبارة عن تسويتها وتعديلها لقبول هذا الأمر.

واعلم: أن أصل كل متكثر الواحد، فالأجسام ترجع إلى جسم واحد، والأنفس ترجع إلى نفس واحدة، والعقول ترجع إلى عقل واحد.ولكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته بل بنسب.

إذا تأملت ما ذكرناه وجدته كذلك فيكون كأن ذلك الواحد انقسم إلى هذه الكثرة لا أنه انقسم فى نفسه إما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس والعقول والأصل المرجوع إليه.

وإما لكونه فى قوته أن تكون منه هذه الكثرة من غير أن ينقص منه من حيث جسميته كالجسوم التى يتولد عنها الحيوان بماء أو ريح فذلك الماء أو الريح ليس هو من حد هذا الجسم الذى تكون عنه ما تكون.

السؤال الأربعون : ما صفة آدم عليه السلام ؟

الجواب : إن شئت صفته الحضرة الإلهية، وإن شئت مجموع الأسماء الإلهية، وإن شئت قول ﷺ:« أن الله خلق آدم على صورته» فهذه صفته فإنه لما جمع له فى خلقه بين يديه علمنا انه قد اعطاه صفة الكمال فخلقه كاملا جامعا.

ولهذا قبل الأسماء كلها. فإنه مجموع العالم من حيث حقائقه فهو عالم مستقل وما عداه فإنه جزء من العالم ونسبة الإنسان إلى الحق من جهة باطنه اكمل فى هذه الدار الدنيا.

وأما فى النشأة الآخرة فإن نسبته إلى الحق من جهة الظاهر والباطن وأما الملك فإن نسبته من جهة الظاهر إلى الحق أتم ولا باطن للملك ولكن إلى الحق من حيث هو مسمى الله لا من حيث ذاته .

فإنه من حيث ذاته هو لذاته ومن حيث مسمى الله يطلب العالم فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة وهى كونه إلها ربا ولهذا لا كلام له فيه إلا فى هذه النسب والإضافات وسمى بآدم لحكم ظاهره عليه فإنه ما عرف منه سوى ظاهره كما انه ما عرف من الحق سوى الاسم الظاهر وهو المرتبة الإلهية.

فالذات مجهولة وكذلك كان آدم عند العالم من الملائكة فمن دونهم مجهول الباطن وإنما حكموا عليه بالفساد أى بالإفساد من ظاهر نشأته لما رأوها قامت من طبائع مختلفة متضادة متنافرة فعلموا انه لا بد أن يظهر اثر هذه الأصول على من هو على هذه النشأة فلو علموا باطنه وهو حقيقة ما خلقه الله عليه من الصور لرأوا الملائكة جزءا من خلقه فجهلوا اسماءه الإلهية التى نالها بهذه الجمعية لما كشف له عنه فأبصر ذاته .

فعلم مستنده فى كل شىء ومن كل شىء فعالم كله تفصيل آدم وآدم هو الكتاب الجامع فهو للعالم كالروح من الجسد فالإنسان روح العالم والعالم الجسد فبالمجموع يكون العالم كله هو الإنسان الكبير والإنسان فيه.

وإذا نظرت فى العالم وحده دون الإنسان وجدته كالجسم المستوى بغير روح

وكمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح والإنسان منفوخ فى جسم العالم فهو المقصود من العالم واتخذ الله الملائكة رسلا إليه ولهذا سماهم ملائكة أى رسلا من الملائكة وهى الرسالة .

فإن أخذت الشرف بكمال الصورة قلت الإنسان أكمل وإن أخذت الشرف بالعلم بالله من جانب الحق لا من طريق النظر فالأفضل والأشرف من شرفه الله بقوله هذا أفضل عندى فإنه لا تحجير عليه فى أن يفضل من شاء من عباده.

فإن العلم بالله الذى يقع به الشرف لا حد له ينتهى إليه.

السؤال الحادى والأربعون : ما توليته ؟

الجواب : إن الله تولاه بثلاث:

منها : توليته فى خلقه بيديه .

ومنها : بما علمه من الأسماء التى ما تولى بها ملائكته.

ومنها:الخلافة وهى قوله: « أنى جاعل فى الأرض خليفة » فإن كان قوله : « خليفة » لقوله : «وفى الأرض إله» فهو نائب الحق فى أرضه وعليه يقع الكلام.

وإن أراد بالخلافة لنه يخلف من كان فيها لما فقد فما نحن بصدد ذلك وكان المقصود النيابة عن الحق بقوله خليفته لقولهم : "من يفسد فيها ويسفك الدماء: وهذا لا يقع إلا ممن له حكم ولا حكم إلا لمن له مرتبة التقدم وإنفاذا لأوامر فأما مقصود السائل فإنه يريد الخلافة التى هى بمعنى النيابة عن الله فى خلقته فأقامه بالاسم الظاهر وأعطاه علم الأسماء من حيث ما هى عليه من الخواص التى تكون عنها الانفعالات فيتصرف بها فى العالم تصرفها.

فإنه لكل اسم خاصة من الفعل فى الكون يعلمها من يعلم علم الحروف وترتيبها من حيث ما هى مرقومة ومن حيث ما هى متلفظ بها ومن حيث ما هى متوهمة فى الخيال.

فمنها : ما له آثر فى العالم الأعلى، وتنزيل الروحانيات بها إذا ذكرت أو كتبت فى عالم الحس.

ومنها : ما له أثر في العالم الجبروتي من الجن الروحاني.

ومنها : ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل وفي حس كل ذي حس .

ومنها : ماله أثر في الجانب الأحمى الأعلى. الذي هو موضع النسب ولا يعرف هذا التأثير الواحد وأسماءه إلا الأنبياء والمرسلون سلام الله عليهم وهي أسماء التشريع والعمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النسبي وهو جناب عزيز لا يشعر به جعله الحق سبحانه موضع أسراره ومجلى تجلياته.

وهو الذي يعطي النزول، والاستواء، والمعية، والفرح، والضحك، والمقدار وما يفهم منه من الآلات التي لا تكون إلا لذوات المقادير والكميات والكيفيات وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ ﴾[1] فجاء بالهوية بما ينبغي أن يظهر به في السموات من الألوهية بالإسم الذي يخصها وفي الأرض إله بالاسم الذي ينبغي أن يظهر به في الأرض من كونه إلها فكان آدم نائبا عن هذا الاسم.

وهذا الاسم هو باطنه وهو المعلم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض.

حيث كانت خلافته فيها وهكذا هو كل خليفة فيها.

ولهذا قال : "جعلكم خلائف في الأرض" أي يخلف بعضنا بعضا فيها في تلك المرتبة مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها وذلك لاختلاف الزمان واختلاف الأحوال. فيعطي هذا الحال والزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان والحال الذي كان قبله والذي يكون بعده.

ولهذا اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار فآية كل خليفة ورسول من نسبة ما هو الظاهر، والغالب على ذلك الزمان وأحوال علمائه اي شيء كان من طب، أو سحر، أو فصاحة وماشا كل هذا وهو قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ ﴾ يقول للخلفاء : ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾[2] وهاتان الصفتان لا تكونان إلا لمن بيده الحكم والأمر والنهي .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٦٥ .

فهذا النسق يقوى أنه أراد خلافة السلطنة والملك وهى التولية الإلهية وأعظم تأثيراتها الفعل بالهمة من حيث أن النفس ناطقة لا من حيث الحرف والصوت المعتاد فى الكلام اللفظى .

فإن الهمة من غير نطق النفس بالنطق الذى يليق بها وإن لم يشبه نطق اللسان لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه عند جماعة أصحابنا .

وأوقعهم فى هذا الإشكال حكم النيابة عن الله الذى إذا أراد شيئا وهو المعبر فينا بالهمة أن يقول له كن فيكون وهو المعبر عنه فينا بالنطق أو الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب إليه.

ذلك فما اكتفى سبحانه فى حق نفسه بالإرادة حتى قرن معها القول وحينئذ وجد التكوين ولا يمكن أن يكون النائب عنه وهو الخليفة بأبلغ فى التكوين ممن استخلفه فلهذا لم يقتصروا على الهمة دون نطق النفس .

وأما نحن فنقول بهذا فى موطنه وهو صحيح غير أن الذات غاب عنهم ما تستحقه لكون المرتبة لا تعقل دونها فكان كون المرتبة غنما هو عن الذات بلا شك لأن الذات تطلبها طلبا ذاتيا لا طلبا يتوقف على همة وقول بل عين همتها وقولها هو عين ذاتها .

فكون الألوهة لها هو ما يكون عن ذات الخليفة من حيث أنها ذات خليفة فهى الذات الخلافية لا ذات الخلق التى هى نشأة جسمه وروحه ومع هذا فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلا فى موازين العلوم، وشرعا.

فأما فى العقل فأصحاب الموازين يعرفون ذلك .

وأما فى الشرع فإنه قوله غنما قولنا فهذا الضمير الذى هو النون من قولنا عين وجود ذاته تعالى وكناية عنه فهذا أمر واحد وقوله إذا أردناه أمر ثان وقوله أن نقول له كن أمر ثالث فذات مريده قائلة يكون عنها التكوين بلا شك.

فالاقتدار الإلهى على التكوين لم يقم إلا من اعتبار ثلاثة أمور شرعا وكذلك

هو الإنتاج فى العلوم بترتيب المقدمات وإن كانت مقدمة مركبة من محمول وموضوع فلا بد أن يكون أحد الأربعة يتكرر فيكون فى المعنى ثلاثة وفى التركيب أربعة فوقع التكوين عن الفردية وهى الثلاثة لقوة نسبة الفردية إلى الأحدية.

فبقوة الواحد ظهرت الأكوان فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور فالوجود المنسوب إلى كل مخلوق هو وجود الحق إذ لا وجود للممكن لكن أعيان الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود فتدبر ما ذكرناه فى هذه التولية التى سال عنها سمينا وابن سمى أبينا محمد بن على الترمذى فى كتاب ختم الأولياء له .

وهى هذه المسائل التى أذكرها فى هذا الباب .

السؤال الثانى والأربعون : ما فطرته يعنى فطرة آدم أو الإنسان؟

الجواب : إن أراد فطرته من كونه إنسانا فله جواب ، أو من كونه خليفة فله جواب ، أو من كونه إنسانا خليفة فله جواب ، أو من كونه لا إنسان ولا خليفة فله جواب ، وهو أعلاها نسبة .

فإنه إذا كان حقا مطلقا فليس بإنسان ولا خليفة كما ورد فى الخبر : "كنت سمعه وبصره" فأين الإنسانية هنا إذ لا أجنبية وأين الخلافة هنا.

وهو الأمر بنفسه فأثبتك ومحاك وأضلك وهداك أى حيرك فيما بين لك فما تبينت إلا الحيرة فعلمت أن الأمر حيرة فعين الهدى متعلقة الضلال فقال أنت وما أنت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما رمى إلا محمد فما رمى إلا الله فأين محمد فمحاه واثبته ثم محاه فهو مثبت بين محوين محو أزلى وهو قوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ﴾ [1] ومحو أبدى وهو قوله ﴿ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [2] وإثباته قوله إذ رميت.

فإثبات محمد فى هذه الآية مثل الآن الذى هو الوجود الدائم بين الزمانين بين الزمان الماضى وهو نفى عدم محقق وبين الزمان المستقبل وهو عدم محض وكذلك ما وقع الحس والبصر الأعلى رمى محمد فجعله وسطا بين محوين مثبتا

---

(١) سورة الأنفال : الآية ١٧ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ١٧ .

فأشبه الآن الذى هو عين الوجود والوجود إنما هو وجود الله لا وجوده فهو سبحانه الثابت الوجود فى الماضى والحال والاستقبال فزال عنه التقييد المتوهم فسبحان اللطيف الخبير.

ولهذا قال : ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ [1] فجاء بالخبرة أى قلنا هذا اختبار للمؤمنين فى إيمانهم لنا فى ذلك من تناقص الأمور الذى يزلزل إيمان من فى إيمانه نقص عما يستحقه الإيمان من مرتبة الكمال الذى فى أعطى كل شئ خلقه.

فهذا الجواب عن الوجه الرابع الذى هو أصعب الوجوه قد بان .

فأما فطرته من حيث ما هو إنسان ففطرته العالم الكبير.

وأما فطرته من حيث ما هو خليفة ففطرته الأسماء الإلهية .

وأما فطرته من حيث ما هو إنسان خليفة ففطرته ذات منسوب إليها مرتبة لا تعقل المرتبة دونها ولا تعقل هى دون المرتبة قال تعالى : ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [2] وهو قوله: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [3] والفطر الشق وقال تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [4] وهو الفطرة.

كما أنه لا تبديل لكلمات الله وهو قوله : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ أى قولنا واحد لا يقبل التبديل وقال ﷺ : "كل مولود يولد على الفطرة" فالألف واللازم هنا للعهد أى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقد تكون الألف واللام لجنس الفطر كلها لأن الناس أى هذا الإنسان لما كان مجموع العالم ففطرته جامعة لفطر العالم.

ففطرة أدم فطر جميع العالم فهو يعلم ربه من حيث كعلم نوع من العالم من حيث هو عالم ذلك النوع بربه من حيث فطرته وفطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلى الإلهى الذى يكون له عند إيجاده ففيه استعداد كل موجود من العالم .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ١٧ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٤٦ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ .

(٤) سورة الروم: الآية ٣٠.

فهو العابد بكل شرع والمسبح بكل لسان والقابل لكل تجلى إذا وفى حقيقة إنسانيته وعلم نفسه فإنه لا يعلم ربه إلا من علم نفسه فإن حجبة شيء منه عند درك كله فهو الجانى على نفسه وليس بإنسان كامل ولهذا قال رسول الله ﷺ : "كل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية" يعنى بالكمال معرفتهم بهم ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم فكانت فطرة آدم علمه به فعلم جميع الفطر.

ولهذا قال : "وعلم آدم الأسماء كلها" وكل يقتضى الإحاطة والعموم الذى يراد به فى ذلك الصنف .

وأما الأسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها إلا هو لأنه لا تعلق لها بالأكوان ، وهو قوله عليه السلام فى دعائه: "أو استأثرت به فى علم غيبك" يعنى من الأسماء الإلهية وإن كان معقول الأسماء مما يطلب الكون ولكن الكون لا نهاية بتكوينه فلا نهاية لأسمائه فوقع الإيثار فى الموضع الذى لا يصح وجوده إذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال .

وأما الذات من حيث هى فلا اسم لها إذ ليست محل أثر ولا معلومة لأحد ولاثم اسم يدل عليها معرى عن نسبة ولا بتمكين فإن الأسماء للتعريف والتمييز وهو باب ممنوع لكل ما سوى الله فلا يعلم الله إلا الله .

فالأسماء بناولنا ومدارها علينا، وظهورها فينا، وأحكامها عندنا، وغاياتها إلينا، وعباراتها عنا وبداياتها منا .

فلولاها لما كنا ... ولولانا لما كانت
بها بنا وما بنا ... كما بانت وما بانت
فإن خفيت لقد جلت ... وإن ظهرت لقد زانت

السؤال الثالث والأربعون : ما الفطرة ؟

الجواب: النور الذى تشق به ظلمة الممكنات، ويقع به الفصل بين الصور.
فيقال : هذا ليس هذا إذ قد يقال هذا عين هذا من حيث ما يقع به الاشتراك.

فالحمد لله فاطر السموات والأرض هو قوله : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والعالم كله سماء وأرض ليس غير ذلك وبالنور ظهرت قوله : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [1] والله مظهرها فهو نورها.

فظهور المظاهر هو الله فهو فاطر السموات والأرض ففطر السماء والأرض به فهو فطرتها والفطرة التى فطر الناس عليها فكل مولود يولد على الفطرة: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [2] فما فطرهم إلا عليه ولا فطرهم إلا به فبه تميزت الأشياء وانفصلت وتعينت .

والأشياء فى ظهورها الإلهى لا شىء فالوجود وجوده والعبيد عبيده فهم العبيد من حيث أعيانهم وهم الحق من حيث وجودهم.

فما تميز وجودهم من أعيانهم إلا بالفطرة التى فصلت بين العين ووجودها وهو من أغمض ما يتعلق به علم العلماء بالله كشفه عسير ، وزمانه يسير .

السؤال الرابع والأربعون : لم سماه بشرا ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [3] على جهة التشريف الإلهى فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه بحسب ما يليق بجلاله فسماه بشرا لذلك. إذ اليد بمعنى القدرة لاشرف فيها "أعلى من شرف عليه واليد بمعنى النعمة مثل ذلك فإن النعمة والقدرة عمت جميع الموجودات فلا بد أن يكون لقوله بيدى أمر معقول له خصوص وصف بخلاف هذين وهو المفهوم من لسان العرب الذى نزل القرآن بلغتهم.

فإذا قال صاحب اللسان : إنه فعل هذا بيده فالمفهوم منه رفع الوسائط فكانت نسبة آدم فى الجسوم الإنسانية نسبة العقل الأول فى العقول ولما كانت الأجسام مركبة طلبت اليدين لوجود التركيب ولم ينكر ذلك فى العقل الأول

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٠٥ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .
(٣) سورة ص : الآية ٧٥ .

لكونه غير مركب فاجتمعا فى رفع الوسائط وليس بعد رفع الوسائط فى التكوين مع ذكر اليدين إلا أمر من أجله سمى بشرا وسرت هذه الحقيقة فى البنين فلم يوجد أحد منهم إلا عن مباشرة .

ألا ترى وجود عيسى عليه السلام لما تمثل لها الروح بشرا سويا فجعله واسطه بينه تعالى وبين مريم فى إيجاد عيسى تنبيها على المباشرة بقوله : "بشرا سويا" قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾[1] وبشرة الشىء ظاهره والبشرى إظهار علامة حصولها فى البشرة فقوله : "للشىء كن" بالحرفين الكاف والنون بمنزلة اليدين فى خلق آدم . فأقام القول للشىء مقام المباشرة، وأقام الكاف والنون مقام اليدين، وأقام الواو المحذوفة لاجتماع الساكنين مقام الجامع بين اليدين فى خلق آدم واخفى ذكره كما خفيت الواو من كن غير أن خفاءها فى كن لأمر عارض وخفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل وهو قوله : "ما شهدتهم خلق السموات والأرض" وهو حال الفعل لأنه ليس فى حقائق ما سوى الله ما يعطى ذلك المشهد فلا فعل لأحد سوى الله ولا فعل عن اختيار واقع فى الوجود .

فالاختيارات المعلومة فى العالم من عين الجبر. فهم المجبورون فى اختيارهم والفعل الحقيقى لا جبر فهي ولا اختيار لأن الذات تقتضيه فتحقق ذلك فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة لظهور الوجود المقيد سمى الوجود المقيد بشرا واختص به الإنسان لأنه أكمل الموجودات خلقا وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال فى الوجود.

فالإنسان أتم المظاهر فاستحق اسم البشر دون غيره من الأعيان . وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] فسمى المكلم هنا بشرا بهذه الضروب كلها من الكلام لما يباشره من الأمور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح التى له من حيث

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٥١ .

روحانيته فإن ارتقى عن درجة البشرية كلمة الله من حيث ما كلم الأرواح إذ كانت الأرواح أقوى فى التشبه لكونها لا تقبل التحيز والانقسام.

وتتجلى فى الصور من غير أن يكون لها باطن وظاهر فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها وهى عين ذاتها والبشر من نشأته ليس كذلك فإنه على صورة العالم كله ففيه ما يقتضى المباشرة والتحيز والانقسام وهو مسمى البشر وفيه ما لا يطلب ذلك وهو روحه المنفوخ فيه .

وعلى بشريته توجهت اليدان فظهرت الشفيعة فى اليدين فى نشأته فلا يسمع كلام الحق من كونه بشر إلا بهذه الضروب التى ذكرها -أو بأحدها- فإذا زال فى نظره عن بشريته وتحقق بمشاهدة روحه كلمة الله بما يكلم به الأرواح المجردة عن المواد مثل قوله تعالى فى حق محمد ﷺ وفى حق الأعرابى : "فأجره حتى يسمع كلام الله" وما تلاه عليه غير لسان محمد ﷺ.

فأقام محمد ﷺ فى هذه الصورة مقام الروح الأمين الذى نزل بكلام الله على قلب محمد ﷺ وهو قوله : ﴿أو يرسل رسولا﴾(١) يعنى لذلك البشر فيوحى إليه بإذنه ما يشاء الله تعالى مما أمره أن يوحى به إليه فقوله:﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾(٢) يريد هنا إلهاما بعلامة يعلم بها أن ربه كلمه حتى لا يلتبس عليه الأمر:﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾(٣) يريد إسماعه إياه لحجاب الحروف المقطعة والأصوات كما سمع الأعرابى القرآن المتلو الذى هو كلام الله أو حجاب الآذان أيضا من السامع أو حجاب بشريته مطلقا فيكلمه فى الأشياء كما كلم موسى من جانب الطور الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ فوقع الحد بالجهة وتعين البقعة لشغله بطلب النار الذى تقتضيه بشريته فنودى فى حاجته لافتقاره إليها .

والله قد أخبر : أن الناس فقراء إلى الله فتسمى الله فى هذه الآية باسم كل ما يفتقر إليه غيره إلهية أن يفتقر إلى غير الله فتجلى الله له فى عين صورة حاجته

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٥١ :
(٢) سورة الشورى ، الآية ٥١ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

فلما جاء إليها ناداه منها فكان فى الحقيقة فقره إلى الله والحجاب وقع بالصورة التى وقع فيها التجلى فلولا ما ناداه ما عرفه .

وفى مثل هذا يقع التجلى الإلهى فى الآخرة الذى يقع فيه الإنكار ، وقوله أنه على أى عليم بما تقتضيه المراتب التى ذكرها وأنزلها منزلتها وقوله حكيم يريد بإنزال ما علمه منزلته ولو بدل الأمر لما عجز عن ذلك .

ولكن كونه عليا حكيما يقضى بأن لا يكون الأمر إلا كما وقع ولما أخبر نبيه بهذه المراتب كلها التى تطلبها البشرية.

قال له : وكذلك أى ومثل ذلك أوحينا ﴿ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[١] يعنى الروح الأمين الذى نزل به على قلبك الذى هو روح القدس أى الطاهر عن تقييد البشر.

فقد علمت معنى البشر الذى أردنا أن نبينه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربى.

السؤال الخامس والأربعون : بأى شىء نال التقدمه على الملائكة ؟

الجواب : أن الله قد بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[٢] يعنى الأسماء الإلهية التى توجهت على إيجاد الملائكة والملائكة لا تعرفها ثم أقام المسمين بهذه الأسماء وهى التجليات الإلهية التى هى للأسماء كالمواد الصورية للأرواح فقال للملائكة : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[٣] يعنى الصور التى تجلى فيها الحق : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[٤] فى قولكم نسبح بحمدك ، وهل سبحتمونى بهذه الأسماء التى تقتضيها هذه التجليات التى أتجلاها لعبادى وإن كنتم صادقين فى قولكم ونقدس لك ذواتنا عن الجهل بك فهل قدستم ذواتكم من جهلكم بهذه التجليات وما لها من الأسماء التى ينبغى أن تسبحونى بها.

---

(١) سورة الشورى : الآية ٥٢ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٣١ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٣١ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٣١ .

فقالت الملائكة : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[1] فمن علمهم بالله لنهم ما أضافوا التعليم إلا إليه تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] بما لا يعلم الحكيم بترتيب الأشياء مراتبها فأعطيت هذه الخليقة ما لم تعطنا مما غاب عنا .

فلولا أن رتبة نشأته تعطى ذلك ما أعطت الحكمة أن يكون له هذا العلم الذى خصصته به دوننا وهو بشر فقال لآدم أنبئهم بأسماء هؤلاء الذين عرضناهم عليهم فأنبأ أدم الملائكة بأسماء تلك التجليات .

وكانت على عدد ما فى نشأة آدم من الحقائق الإلهية التى تقتضيها اليدان الإلهية مما ليس من ذلك فى غيره من الملائكة شىء فكان هؤلاء المسمون المعروضة على الملائكة تجليات إلهية فى صورة ما فى آدم من الحقائق فأولئك هم عالم آدم كلهم .

فلما علمهم آدم -عليه السلام- قال لهم الله ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات . وهو ما علا من علم الغيوب والأرض وهو ما فى الطبيعة من الأسرار وأعلم ما تبدون أى ما هو من الأمور ظاهر وما تكتمون أى ما تخفونه على لنه باطن مستور فأعلمتكم لنه أمر نسبى بل هو ظاهر لمن يعلمه .

ثم قال لهم بعد التعليم اسجدوا لآدم سجود المتعلمين للمعلم من أجل ما علمهم فلآدم هنا لام العلة والسبب أى من أجل آدم فالسجود لله من أجل أدم سجود شكر لما علمهم الله من العلم وبما خلقه فى آدم عليه السلام فعلموا ما لم يكونوا يعلمون.

فنال التقدمة عليهم بكونه علمهم فهو أستاذهم فى هذه المسالة وبعده فما ظهرت هذه الحقيقة فى أحد من البشر إلا فى محمد ﷺ فقال عن نفسه : " إنه أوتى جوامع الكلم" وهو قوله فى حق آدم -عليه السلام- الأسماء كلها ، وكلها بمنزلة الجوامع والكلم بمنزلة الأسماء ونال التقدمة بها وبالصورة التى خلقه الله عليها .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٢ .
(٢)سورة البقرة : الآية ٣٢ .

قال عليه السلام : "إن الله خلق آدم على صورته " بالنشأة من أجل اليدين وجعله بالخلافة على صورته وهى المنزلة فأعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق فلا بد أن يكون له التقدمة على من سواه ، وكذلك الأمر الذى أعطاه هنا يتقدم على جميع الأمور كلها.

السؤال السادس والأربعون : كم عدد الأخلاق التى منحه عطاء ؟

الجواب : ثلاثمائة خلق ، وهى التى ذكر النبى ﷺ : " أن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة " ولهذا قال فى الثلاثمائة أنهم على قلب آدم عليه السلام يعنى هذه الأخلاق التى منح الله آدم .

فمن كملت نشأته من بنيه قبل هذه الثلاثمائة من الخلق ، ومن لم يكمل كمال آدم فله منها على قدر ما أعطى من الكمال.

فمنهم الكامل والأكمل وهذه الأخلاق خارجه عن الاكتساب. لا تكتسب بعمل بل يعطيها الله اختصاصاً، ولا يصح التخلق بها لأنه لا أثر لها فى الكون وإنما هى إعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها . لا يكون شىء من تلك التجليات إلا لمن له هذه الأخلاق فناهيك من أخلاق لا تعلق لها لمن كان عليها واتصف بها إلا بالله خاصة ليس بينها وبين المخلوقين نسب أصلاً فقول النبى ﷺ : "من تخلق بواحد منها " أراد من اتصف بشىء منها أى من قامت به فإن الأخلاق على أقسام ثلاثة:

منها أخلاق لا يمكن التخلق بها إلا مع الكون كالرحيم .

وأخلاق يتخلق بها مع الكون ومع الله كالغفور فإنه يقتضى الستر لما يتعلق بالله من كونه غيور أو يتعلق بالكون .

وأخلاق لا يتخلق بها إلا مع الله خاصة وهى هذه الثلثمائة ولها من الجنات جنة مخصوصة لا ينالها إلا أهل هذه الأخلاق وتجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات.

ولكن هذه الأخلاق هى لهم كالخلوق الذى يتطيب به الإنسان فإنه وجود الريح من الطيب لا تعمل فيه للمتطيب به فإنه يقتضى تلك الريح لذاته والتخلق

تعمل فى تحصيل الخلق وهذا ليس كذلك فالثناء على الطيب لا على من قام به فكذلك هذا الخلق إذا رؤى على عبد قد اتصف به لم يقع منه ثناء عليه أصلا وإنما يقع الثناء على الخلق خاصة فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الأخلاق الثلثمائة .

فإن الكرم خلق من أخلاق الله ولكن إذا تخلق به العبد أثنى عليه بأنه كريم وكذلك الرحمة يقال فيه رحيم وهذه الأخلاق لا ينطلق على من أتصف بها اسم فاعل جملة واحدة لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها .

وسبب ذلك لأنه لا تعلق لها بالكون إلا بحكم الاشتراك كالغفور ولا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب ويعطيها الاسم الوهاب من عين المنة لا غير .

السؤال السابع والأربعون : كم خزائن الأخلاق ؟

الجواب : على عدد أصناف الموجودات وأعيان أشخاصها فهى غير متناهية من حيث ما هى أشخاص ومتناهية من حيث ما هى خزائن .

وما سميت خزائن وإلا لكون الأخلاق مخزونة فيها اختزانا وجوديا وإنما جعلت خزائن لما تتضمنه فى حكم من اتصف بها من الصفات التى لا نهاية لوجودها وهى خزائن فى خزائن وأصلها الذى ترجع إليه الجامع للكل ثلاث خزائن :

خزانة تحوى على ما تقتضيه الذوات من حيث ما هى ذوات .

وخزانة تحوى على ما تقتضيه النسب الموجبة للأسماء من حيث ما هى نسب .

وخزانة تحوى على ما تقتضيه الأفعال من حيث لنها لفعال لا من حيث المفعولات، ولا الانفعالات ولا الفاعلية .

وكل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح إلى خزائن وتلك الخزائن إلى خزائن وهكذا إلى غير نهاية فهى تدخل تحت الكم بوجه ولا تدخل تحت الحكم بوجه فما حصل منها فى الوجود حصره الكم .

السؤال الثامن والأربعون : إن لله مائة وسبعة عشر خلقا ما تلك الخلائق ؟

الجواب : أن هذه الأخلاق مخصوصة بالأنبياء -عليهم السلام- ليس لمن دونهم فيها ذوق ولكن لمن دونهم تعريفاتها فتكون عن تلك التعريفات أذواق ومشارب لا يحصيها إلا الله علما وعددا .

فمن هذه الأخلاق : خلق الجمع الدال على التفريق والجمع الذى يتضمن التفريق والفرق الذى يتضمن الجمع ويظهر هذا الخلق من حضرة العزة والإبانة والحكمة والكرم .

ومن هذه الأخلاق : خلق النور المستور وهو من أعز المعارف إذ لا يتمكن فى النور أن يكون مستورا فإنه لذاته يحرق الحجب ويهتك الأستار فما هذا الستر الذى لا يحجبه إلا أن ذلك الحجاب هو أنت كما قال العارف.

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه

ومن هذه الأخلاق . خلق اليد وهر القوة وهو مخصوص بالقلوب وأصحابها وهو على مراتب .

ومن هذه الأخلاق : خلق إعدام الأسباب فى عين وجودها وهو على مراتب وقفت منها فى الأندلس على مائة مرتبة لا توجد فى الكمال إلا فى روحانية ذلك الإقليم فإنه لكل جزء من الأرض روحانية علوية تنظر إليه ولتلك الروحانية حقيقة إلهية تمدها وتلك الحقيقة هى المسماة خلقا إلهيا .

وأما بقية الأخلاق : فلها مراتب دون هذه التى ذكرناها فى الإحاطة والعموم ولكل خلق من هذه الأخلاق درجة فى الجنة لا ينالها إلا من له هذا الخلق وهذه الأربع التى ذكرناها للرسل ومنها للأنبياء ومنها للأولياء ومنها للمؤمنين .

وكل طبقة من هؤلاء الأربع على منازل بعددهم .

فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى .

ومنها ما تختص به تلك الطبقة وذلك أن كل أمر يطلب الحق ففيه يقع

الاشتراك وكل أمر يطلب الخلق فهو يختص بذلك النوع من الخلق يقتصر عليه ومن الباقى أربعة عشر خلقا لا يعلمها إلا الله .

والباقى من الأخلاق تعينها أسماء الإحصاء وهى أسماء لا يعرفها إلا ولى أو من سمعها من رسول الله ﷺ من الصحابة وما من طريق النقل فلا يحصل بها علم .

وأما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه وما بقى فيعلمه أهل الجنة وهم فى العلم بها على طبقات وأعنى بأهل الجنة الذين هم أهلها فإنه لله سبحانه أهل هم أهله لا يصلحون لغيره كما ورد فى الخبر : " أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته" وللجنة أهل هم أهلها لا يصلحون إلا لها . لا يصلحون لله وان جمعتهم حضرة الزيارة ولكن هم فيها بالعرض وللنار أهل هم أهلها لا يصلحون لله ولا للجنة ولكل أهل فيما هم فيه نعيم بما هو فيه ولكن بعد نفوذ أمر سلطان الحكم العدل القاضى إلى أجل مسمى .

وكل طائفة لها شرب وذوق فى هذه الأخلاق المذكورة فى هذا الباب فانقسمت هذه الأخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث كل خلق منها يدعوهم إلى ما يقتضيه أمره وشأنه من نار أو جنان أو حضور عنده حيث لا أين ولا كيف.

وللمعانى المجردة منها أخلاق ، ولعالم الحس منها أخلاق ، ولعالم الخيال منها أخلاق فجنة محسوسة لمعنى دون حس ، وجنة معنوية لحس دون معنى وحضور مع الحق معنوى لحس دون معنى ، وحضور مع الحق محسوس لمعنى ونار محسوسة لمعنى دون حس ونار معنوية لحس دون معنى .

وتتفاضل مشارب هؤلاء الطبقات فيها فمنهم التام والأتم والكامل والأكمل فسبحان من بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون فى كل حضرة فإنه كلما أثبتناه من أعيان أكوان فى نار وجنان فليس إلا الحق إذ هى مظاهرة فالنعيم به لا يصح أصلا فى غير مظهر فإنه فناء ليس فيه لذة .

فإذا تجلى فى المظاهر وقعت اللذات والآلام وسرت فى العالم ويرحم الله من قال :

فــــهل سمعتــــم بصــــب ســــليم طــــرف ســــقيم

منعــــم بعــــذاب معــــذب بنعيــــم

فبه النعيم، وبه العذاب . فلا يوجد النعيم أبدا إلا فى مركب وكذلك العذاب، وأما النعيم والعذاب البسيط فلا حكم له فى الوجود فإنه معقول غير موجود فأهل المظاهر هم أهل النعيم والعذاب وأهل أحدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب.

قال أبو يزيد "ضحكت زمانا ، وبكيت زمانا ، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكى".

وقيل له كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح لى ولا مساء وإنما المساء والصباح لمن تقيد بالصفة ولا صفة لى.

السؤال التاسع والأربعون والموفى خمسين : كم للرسل سوى محمد ﷺ منها وكم لمحمد ﷺ منها ؟

الجواب : كلها إلا اثنين وهم فيها على قدر ما نزل فى كتبهم وصحفهم إلا محمدا ﷺ فإنه جمعها كلها بل جمعت له عناية أزلية قال تعالى﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ ﴾[1] فيما لهم به من هذه الأخلاق.

فاعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافا وجعل فى كل صنف خيارا .

أو اختار من الخيار خواص وهم المؤمنون .

واختار من المؤمنين خواص وهم الأولياء .

واختار من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الأنبياء .

واختار من الخلاصة نقاوة هم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم .

واختار من النقاوة شرذمة قليلة هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم.

واصطفى واحدا من خلقه هو منهم وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمدا أقام عليه قبة الوجود جعله أعلى المظاهر وأسناه .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

صح له المقام تعيينا وتعريفا فعلمه قبل وجود طينة البشر وهو محمد رسول الله ﷺ لا يكاثر ، ولا يقاوم هو السيد ومن سواه سوقة قال عن نفسه : " أنا سيد الناس ولا فخر" بالراء والزاى روايتان أى أقولها غير متبجح بباطل أى أقولها ولا أقصد الافتخار على من بقى من العالم فإنى وإن كنت أعلى المظاهر الإنسانية فأنا أشد الخلق تحققا بعينى فليس الرجل من تحقق بربه وإنما الرجل من تحقق بعينه.

لما علم أن الله أوجده له تعالى لا لنفسه وما فاز بهذه الدرجة ذوقا إلى محمد ﷺ وكشفا إلا الرسل، ورسخوا علماء هذه الأمة المحمدية، ومن سواهم فلا قدم لهم فى هذا الأمر وما سوى من ذكرنا ما علم أن الله أوجده له تعالى بل يقولون إنما أوجد العالم للعالم فرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا. وهو غنى عن العالمين.

هذا مذهب جماعة من العلماء بالله وقالت طائفة من العارفين : أن الله أوجد الأنس له تعالى والجن وأوجد ما عدا هذين الصنفين للإنسان.

وقد روى فى ذلك خبر إلهى عن موسى ﷺ : "أن الله أنزل فى التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تهتك ما خلقت من أجلى فيما خلقت من أجلك " وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] وتقتضى المعرفة بالله أن الله خلق العالم وتعرف إليهم لكمال مرتبة الوجود ومرتبة العلم بالله لا لنفسه سبحانه وهذه الوجوه كلها لها نسب صحيحة ولكن بعضها أحق من بعض وأعلاها ما ذهبنا إليه ثم يلى ذلك خلقه لكمال الوجود وكمال العلم بالله وما يفى فنازل عن هاتين المرتبتين.

واعلم أن كل خلق ينسب إلى جناب الحضرة الإلهية فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق فإما أن يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق أو يكون متعلقة مظهر آخر يقتضيه فى عين ممكن ما من الممكنات لا يكون إلا هكذا .

وأما الحق من حيث هو لنفسه فلا خلق فمن عرف النسب فقد عرف الله

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

ومن جهل النسب فقد جهل الله ومن عرف أن النسب تطلبها الممكنات فقد عرف العالم ومن عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق من طريق السلب فلا يقبل النسب ولا تقبله وإذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم وإذا قبل النسب كان عين العالم قال تعالى : " واعبد ربك " نسبة خاصة حتى يأتيك اليقين فتعلم من عبده ومن العابد والمعبود .

قال تعالى : ﴿ مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾(٢) ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾(٣) ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ .. أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾(٤) ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٥) ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾(٦) لا تعبد انت فإن عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت وإن عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته إلى المرتبة الإلهية عبدت وإن عبدته عيناً من غير مظهر ولا هور بل هو هو لا انت ولنت أنت لا هو.

فهو قوله فاعبده فقد عبدته وتلك المعرفة التى ما فوقها معرفة فإنها معرفة لا يشد معروفها فسبحان من علا فى نزوله، ونزل فى علوه، ثم لم يكن واحدا منهما ، ولم يكن إلا هما لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

السؤال الحادى والخمسون : أين خزائن المنن ؟

الجواب : فى الاختيار المتوهم المنسوب إليه وإليك فأنت مجبور فى اختيارك فأين الاختيار وهو ليس بمجبور وأمره واحد فأين الاختيار ولو شاء الله فما شاء وإن يشأ يذهبكم وليس بمحل للحوادث بل الأعيان محل الحوادث وهو عين الحوادث عليها فإنها مجال ظهوره : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾(٧) والذكر كلامه وهو الذى حدث عندهم .

وكلامه علمه وعلمه ذاته فهو الذى حدث عندهم فهو خزائن المنن والمنن

(١) سورة هود : الآية ٥٦ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .
(٣) سورة طه : الآية ٥٠ .
(٤) سورة الشورى : الآية : ٥٣ .
(٥) سورة الشورى : الآية : ٥٢ .
(٦) سورة هود : الآية : ١٢٣ .
(٧) سورة الشعراء : الآية : ٥ .

ظهور ما حدث عندهم فيهم وهو لا أين له فلا أينية لخزائن المنن، ولما كانت المنن متعددة طلب عين كل نسبة منه خزانة فلهذا تعددت الخزائن بتعدد المنن وإن كانت واحدة ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [1] أنكم مؤمنون فهذه مستتان منه الهدى ومنه الإيمان وجميع نعمه الظاهرة والباطنة مننه .

وإذا كان هو عين المنة فأنت الخزانة فالعالم خزائن المنن الإلهية ففينا اختزن مننه سبحانه فما هو لنا بأين ونحن له أين فمن لا أينية له هو نحن فأعياننا أين لظهوره .

فحقيقة المكان لا تقبل المكان ودع عنك من يقول المتمكن فى المكان مكان لمكانه وفرض بين التمكن والمكان حركتين متضادتين تعطى حقيقة المكانية لكل واحد منهما .

وهذا من قائله توهم من أجل ما ذهب إليه والحقيقة هى ما قررناه من أن المكان لا يقبل المكان فلا أين للأين لمن هو أين له وهذا كله فى المظاهر الطبيعية.

وأما فى المعانى المجردة عن المواد فهى المظاهر القدسية للأسماء التى لا تقبل نسب التشبيه . فالعلم بها أن لا علم .

كما روى عن الصديق أنه قال فى مثل ما ذكرناه : العجز عن درك الإدراك فانقلب التنزيه عن الأين لمن يقبل التشبيه فلا تشبيه فى العالم ولا تنزيه فإن الشيء لا يتنزه عن نفسه، ولا يشبه بنفسه فقد تبينت الرتب وعلم ما معنى النسب والحمد لله وحده أن علم عبده .

السؤال الثانى والخمسون : أين خزائن سعى الأعمال ؟

الجواب : ذوات العمال. فإن أراد تجسد هذا السعى فخزانته الخيال وإن أراد أين يختزن ففى سدرة المنتهى. فإن أراد ما لها من الخزائن الإلهية لخزانة الاسم الحفيظ العليم.

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٧ .

واعلم أن خزائن هذا السعى خمس خزائن لا سادسة لها، وعباد الله رجلان: عامل ومعمول به .

فالمعمول به ليس هو مقصودنا فى هذا الباب من هذا الفصل وإنما مقصودنا سعى الأعمال، حيث نسبتها إلى العاملين والعاملون ثلاثا : عامل هو حق، وعامل بحق، وعامل هو خلق، وكل له سعى فى العمل بحسب ما أضيف إليه.

فإن الله قد نسب الهرولة إليه وهى ضرب من السعى سريع وقد قال : "إن الله لا يمل حتى تملوا" ثبت هذا فى الحديث الصحيح.

فأما سعى العمل الذى هو حق فالعمل يطلب الأجر بنفسه ليجود به على عامله والعامل هنا ما يعطى حقيقته قبول الأجر ولا بد من الأجر فيكون إذا الأجر الثناء لا غير . فإنه يقبل الثناء هذا العامل الذى هو حق ، ولا يقبل القصور، ولا الحور ، ولا الولدان، ولا التجليات .

فإن كان العمل مما يتضمن الحسن والقبح أو لا حسن ولا قبح . فلا يضاف العمل إلى هذا العامل من حيث ما هو محكوم عليه بحسن أو قبح أولا حسن ولا قبح بل يضاف إليه معرى عن الحكم بنفى أو إثبات وصاحبه أكمل الناس نعيما فى الجنة ولذة وأرفعهم درجة وماله من الجنات نم حيث هذا العمل سوى جنة عدن والعمل يطلب نصيبه فى جميع الجنان من حيث ما هو عمل لا غير فيعود به على صاحبه بل يكون له مركبا إلى كل درجة فى جميع الجنات وهو المراد بقوله تعالى عنه: ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ (١) إلى هنا وقوله: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾(٢) ليس هم هؤلاء بل العاملون بحق ، وبخلق إلا أن يريد بقوله : ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾(٣) الثناء فهو لهم فإن لفظة نعم وبئس للمدح والذم .

والعامل هنا حق والثناء له حق ونعم كلمة محمدة ومدح فيكون بهذا التأويل تمام الآية له والتبوء فى الجنات للعمل لاله فالمحل الذى ظهر فيه العمل

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٧١ .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٧٤ .
(٣) سورة الزمر ، الآية ٧٤ .

وهو أنت هو الذى يتبوأ من الجنة بعناية عمله الظاهر فيه ما شاء إذ الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس والمتخيل .

فلهذا أبيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق فخزائن هذا السعى كلها أنوار مباحها ومندوبها وواجبها ومحظورها ومكروهها فى حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف منهم وهو عند علماء الرسوم الذين لهم الكشف الأتم فى معرفة الشرائع.

أعنى هذا الذى ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ما تصرف إلا فيما حسنه الشرع وقبله ولكن أكثر الناس لا يعلمون وأما سعى من كان عمله بحق فيقرب من هذا أنه لما شاهد ذاته عاملة وهو من أهل إياك نعبد وإياك نستعين ومن أهل لا حول ولا قوة إلا بالله نقص عن ذلك الأول.

فكان صاحب كشف فى عمله لأخذ الحق بناصيته فى جميع ما يتصرف فيه فامتلأت خزائنه الخمسة عندنا والستة عند أبى حنيفة نورا خالصا ونورا غير خالص ونورا مزيلا لظلمة كانت قبله فكان ممتزج الأحوال.

فلولا عناية هذا الحضور والكشف فى حال السعى لما تم له هذا السعد الذى حصل له من إزالة ظلمته فهذان الصنفان من أصحاب الأعمال فى النور فلهم أجرهم ونورهم .

وأما من كان سعى عامله خلق فترفع له خزائن الواجبات أعنى الفرائض فى العمل والترك والمندوبات فى العمل والترك ممتلئة نورا مشوبا بكون دون أنوار من ذكرناهم وترفع لهم خزائن المباحات فارغة فى العمل والترك إلا من ترك المباح أو عمله لكونه مباحا ففيها نور يليق بهذا النوع فكأنه نور من وراء حجاب مثل ضوء الشمس من خلف السحاب الرقيق.

فإن نظر إلى تضمن ذلك المباح ترك محظور أو مكروه ولم يخطر له ترك واجب أو مندوب فإن نوره يكون أتم قليلا وأضوأ من النور الأول المعرى عن هذا الخاطر. فإن خطر له أن ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب من واجب

يوجبه على نفسه كمن نـذر صيام يوم لا بعينـه ولـه إن شاء أن يصومـه فـى هـذا اليوم. وهو صوم واجب ولكن لا فى هذا اليوم.

ولا بد وإن صامه فى هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه فقد أدى واجبا فإن نوره فى خزانته هذه بين النورين المتقدمين وترفع لـه خزائـن المحظورات فـى العمل والترك والمكروهات فى العمل والترك.

أما خزائن المحظورات ظلمة محضة وأما خزائن المكروهات فسدفة فإن كان حصره فى وقت المحظور الإيمان به لنه فى محظور وكذلك فى المكروه فيكون خزائن المحظور ممتلئة سدفة وخزائن المكوره كالأسفار والشفق وما ثم عامل فى المؤمنين أو الموحدين إلا هؤلاء خاصة.

وأما من سوى المؤمن أو الموحد فلا كلام لنا معه فى هذا الفصل من حيث قصد السائل وأما من حيث سعى الأعمال فإن لكل عامل مدخلا فى هذا الفصل بحسب سعيه من معطل ومشرك وكافر وجاحد ومنافق، وماثم شقى سوى هؤلاء الخمسة .

وفى الكلام على مناهجهم تفصيل يطول وكل يجرى فى طلقة إلى أجل مسمى وما منهم إلا من يقول : لنا من الأشياء فلا بد لى من الرحمة فإن قائلها ليس من صفته التقييد إذ لو تقيد لخرج عنه ما لا يمكن أن يكون إلا به فمن المحال خروج شىء عنه فمن المحال تقييده فمنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن التى نكرناها فالكل طامع والمطموع فيه واسع ان ربك واسع المغفرة .

أترى هذه السعة الربانية تضيق عن شىء هى لم تضق عن الممكنات إذ كانت فى الشر المحض فيكف تضيق عن الممكنات إذ هى فى الشر المشوب هو أعلم بمن اتقى فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة فسأكتبها للنين يتقون ممن لم يتق فيخصه برحمته المطلقة وهى رحمة الامتنان .

ولا تتقيد بحصر فهذا جواب خزائن سعى الأعمال على الإنجاز والبيان .

السؤال الثالث والخمسون : من أين تعطى الأنبياء ؟

الجواب : الأنبياء على نوعين : أنبياء تشريع ، وأنبياء لا تشريع لهم .

وأنبياء التشريع على قسمين : أنبياء تشريع فى خاصتهم كقوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[1] وأنبياء تشريع فى غيرهم وهم الرسل عليهم السلام أما الأنبياء الذين هم الرسل فمن حضرة الملك الذى هو ملك الملك.

وأما الأنبياء غير المرسلين فمن حضرة الاختصاص وأما الأنبياء الذين لا يوحى إليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فمن حضرة الكرم والكل من عين المنة والرحمة وهو الجامع .

فأما الدائرة العظمى العامة التى هى النبوة المطلقة فمن أعطيها من حيث إطلاقها فلا يعرف أحد ما لديه وما أتحفه به ربه وهو أيضا لا يعرف قدر ذلك لأنه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه .

وأما من أعطى منها من باب الرحمة به وتولى الحق بضرب من العطف عليه تعليمه فتعرف إليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء أن يعرفه كخضر الذى قال فيه : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾[2] أى رحمناه فأعطيناه هذا العلم الذى ظهر به وإن أراد تعالى أنه أعطاه رحمة من عنده جعلها فيه ليرحم بها نفسه وعباده فيكون فى حق الغلام رحمة أن حال بينه وبين ما كان يكتسبه لو عاش من الآثام إذ قد كان طبع كافرا .

وأما رحمته بالملك الغاصب حتى لا يتحمل وزر غضبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين فالرحمة إنما تنظر من جانب الرحيم بها لا من جانب صاحب الغرض فإنه جاهل بما ينفعه كالطبيب يقطع رجل صاحب إلا كانت رحمة به لبقاء نفسه فالرحمة عامة من الرحيم الراحم .

ولم أر أحدا أعطى النبوة المطلقة التى لا تشريع لها إن ما عرفته فهذا لا يبعد فإنى رأيت من أولياء الله تعالى ما لا أحصيهم عددا أنفعنا الله بهم.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٣ .
(٢) سورة الكهف ، الآية ٦٥ .

وأما من أعطى النبوة المقيدة بالشرع الخاص به فما على الأرض منهم اليوم أحد ولا يراهم أحد إلا فى الموافقة وهى المبشرات وأما النبوة المقيدة بالشرائع ففى الزمان منهم اليوم الياس وإن الياس لمن المرسلين وإدريس وعيسى واختلف فى الخضر بين النبوة والولاية فقيل هو نبى وقيل ولى .

السؤال الرابع والخمسون : أين خزائن المحدثين من الأولياء ؟

الجواب : فى حضرة الحق من الحضرات الإلهية وفى المظاهر الإلهية مما وقعت عليه العين أو بعض الحواس من صامت معتاد وناطق.

تحدثنى فى ناطق ثم صامت   وغمز عيون ثم كسر حواجب

قال رسول الله ﷺ فى هذا الفصل . إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده. قولوا ربنا ولك الحمد" فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده .

فهذا من حديث الله مع خلقه وقال تعالى : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[1] فكلم الله الأعرابى بلسان رسوله ﷺ فإن رسول الله ﷺ هو الذى تلا عليه القرآن، والقرآن كلام الله قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾[2] لأنه حدث عندهم وإن كان قديما فى نفس الأمر من حيث أنه كلام الله وقال ﷺ فى عمر: أنه من المحدثين أن يكون فى هذه الأمة منهم أحد وأريد حديثه تعالى مع أوليائه مع الأنبياء والرسل فإن الأذواق تختلف باختلاف المراتب .

فنحن لا نتكلم إلا فيما لو أدعيناه لم ينكر علينا لأن باب الولاية مفتوح ولهذا سأل عن خزائن المحدثين من الأولياء فأكمل المحدثين من فهم عن الله ما حدثه به فى كل شيء وهم أهل السماع المطلق من الحق فإن أجابوه به فهو حديث وإن أجابوه بهم فهى محادثة وإن سمعوا حديثه به فليس بحديث فى حقهم وإنما هو خطاب أو كلام .

وأهل الحقائق يمنعون المحادثة ولا يمنعون المناجاة فإن الحق لا يحدث عنده

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢ .

شيء فهو سبحانه يحدث من شاء من عباده ولا يحدثه منهم أحد لكن يناجونه ويسامرونه كالمتهجدين هم أهل المسامرة فالعالم خزائن المحدثين من الأولياء إذا سمعوا بهم .

فالمحدثون أنزل الدرجات فى مقامات الأولياء وهم عند العامة فى الرتبة العليا لأن علومهم ليست عن ذوق وإنما هى علوم نقل أو علوم فكر لا غير .

فأما حديث الله فى الصوامت فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال أى يفهم من حاله كذا وكذا حتى أنه لو نطق لنطق بما فهمه هذا الفاهم منه .

قال القوم فى مثل هذا : قالت الأرض للوتد لم تشقنى ؟ قال الوتد لها : سلى من يدقنى . فهذا عندهم حديث حال وعليه خرجوا قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (١) وقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ (٢) إبانة حال .

وأما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان يسمعه المقيد بأذنه فى عالم الحس لا فى الخيال كما يسمع نطق المتكلم من الناس والصوت من أصحاب الأصوات، فما عندنا فى الوجود صامت أصلا بل الكل ناطق بالثناء على الله كما أنه ليس عندنا فى الوجود ناطق أصلا من حيث عينه بل كل عين سوى الله صامتة لا نطق لها.

إلا أنها لما كانت مظاهر . كان النطق للظاهر قالت الجلود أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء فالكلام فى المظاهر هو الأصل والصمت فيها عرض يعرض فى حق المحجوب والصمت فى الأعيان هو الأصل والكلام المسموع منها عرض يعرض فى حق المحجوب فلأصحاب الحرف والصوت عذر عند هؤلاء، ولمنكر الصوت والحرف عذر أيضا عندهم .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

السؤال الخامس والخمسون: ما الحديث؟

الجواب: ما يتلقاه السامع إذا سمعه بـه لا بربـه. فذلـك هـو الحديـث لا غـير فإن سمعه بربه فليس ذلك بحديث ومعنى قوله سمعه بربـه قـول الله تعـالى: كنـت سمعه الذي يسمع به.

فأعلم أن وصفه بأنه سميع هو عينه لا أمر زائد واعلم أن تحقيـق هـذا أنـه لكل اسم إلهي نسبة كلام والإنسان محل لاختلاف الأحوال عليه عقلا وحسا.

وذلك إن الألوهية تعطي ذلك لذاتـها فإنـها بالنسبة إلى العالم بـهذه الصفـة قـال تعـالى:﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١) فكـل حـال في الكون فهو عين شأن إلهي.

وقد تقرر في العلم الإلهي أنه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة لشخص مرتين وكل تجل له كلام. فذلك الكلام لهذا الحال. من هذا التجلي هو المعبر عنه بالحديث فالحديث لا يزال أبدا غير أنه مـن النـاس مـن يفـهم أنه حديث ومن الناس من لا يعرف ذلك بل يقول ظـهر لي كـذا وكـذا ولا يعـرف أن ذلـك مـن حديـث الحق معـه في نفسه حـرم عـين الفـهم عـن الله فيمـا يحسـب أنـه خاطر.

والذين قسموا الخواطر أربعـة فذلـك التقسـيم لا يقـع في الحديـث فـإن الحديث حديث في كل قسم وإنما الأقسام وقعت في الـذوات الـتي فـهم منـها مـا أريـد بالحديث فيقال:خاطر شيطاني وهو حديث رباني وقول إلهي لما أراده الحق قـال له كن فكان فناجاه الاسم البعيد كمـا يتلقـاه مـن الحديـث الإلهـي في الخـاطر الملكـي الاسم القريب كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر النفسي الأسم المريد.

كما يتلقـاه مـن الحديـث الإلهـي في الخـاطر الربـاني الاسـم الحفيـظ فـهذه

---

(١) سورة الرحمن:الآية ٢٩.

الخواطر كلها من الحديث الإلهي الذي لا يشعر به إلا رجال الله فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث فمن رزق الفهم عنه تعالى وعرفه فذلك المحدث وهو من أهل الحديث.

وعلم أن كل ما سمعه حديث بلا شك وإن أختلف ألقابه كالسمر والمناجاة والمناغاة والإشارات. فالكلام كله حادث قديم حادث في السمع قديم في المسمع فافهم.

السؤال السادس والخمسون: ما الوحي؟

الجواب: ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة. فإن العبارة تجوز منها إلى المعنى المقصود بها ولهذا سميت عبارة بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذات المشار إليه.

والوحي هو المفهوم الأول والإفهام الأول ولا أعجل من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه فإن لم تحصل لك هذه النكتة فلست صاحب وحي .

ألا ترى: أن الوحي هو السرعة ولا سرعة أسرع مما ذكرناه فهذا الضرب من الكلام يسمى وحيا ولما كان بهذه المثابة وأنه نجل ذاتي لهذا ورد في الخبر: (إن الله إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان صعقت الملائكة ولما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل) وهو حجاب موسى فإنه كان ناظرا إليه طاعة لأمر الله فلاح له عند تدكدك الجبل الأمر الذي جعل الجبل دكا فخر موسى صعقا حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال القائل ربكم.

قالت الملائكة:الحق قالت الحقيقة وهو العلي الكبير هذه النسبة من حيث هو يته فالوحي ما يسرع أثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع ولا يعرف هذا إلا العارفون بالشؤون الإلهية فإنها عين الوحي الإلهي في العالم وهم لا يشعرون فافهم.

وقد يكون الوحي إسراع الروح الإلهي الأمر بالإيمان بما يقع به الإخبار والمفطور عليه كل شيء مما لا كسب له فيه من الوحي أيضا كالمولود يتلقى ثدي

امه ذلك من اثر الوحي الإلهي إليه كما قال: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾(٢)

فلولا ما فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر ولهذا لا يتصور المخالف إذا كان وحيا فإن سلطانه أقوى من أن يقاوم ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾(٣) وكذا فعلت ولم تخالف مع أن الحالة تؤذن أنها ألقته في الهلاك ولم تخالف ولا ترددت ولا حكمت عليها البشرية بأن القاءه في اليم في تابوت من أخطر الأشياء.

فدل على أن الوحي أقوى سلطانا في نفس الموحى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه قال تعالى﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٤) وحبل الوريد من ذاته فيا أيها الولي إذا زعمت أن الله أوحى إليك فانظر في نفسك في التردد أو المخالفة فإن وجدت لذلك أثرا بتدبير أو تفصيل أو تفكر فلست صاحب وحي فإن حكم عليكم وأعماك وأصمك وحال بين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك. فذلك هو الوحي وانت عند ذلك صاحب وحي وعلمت عند ذلك أن رفعتك وعلو منصبك أن تلحق بمن تقول أنه دونك من حيوان ونبات وجماد فإن كل ما سوى مجموع الإنسان مفطور على العلم بالله إلا مجموع الإنسان والجان .

فإنه من حيث تفصيله مفطورا على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات من ملك، ونبات، وحيوان، وجماد فما من شيء من شعر وجلد ولحم وعصب ودم وروح ونفس وظفر وناب إلا وهو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي الذي تجلى له فيه وهو من حيث مجموعتيه وما لجمعيته من الحكم جاهل بالله حتى ينظر ويفكر و يرجع إلى نفسه فيعلم أن له صانعا صنعه وخالقا خلقه.

---

(١) سورة البقرة:الآية ١٥٤.
(٢) سورة النحل:الآية ٦٨.
(٣) سورة القصص:الآية ٧.
(٤) سورة ق:الآية ١٦.

فلو أسمعه الله نطق جلده أو يده أو لسانه أو رجله لسمعه ناطقا بمعرفته بربه مسبحا لجلاله ومقدسا﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١] ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾[٢] فالإنسان من حيث تفصيله عالم بالله ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم أي يعلم بما في تفصيله فهو العالم الجاهل﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[٣].

فالإنسان من حيث تفصيله صاحب وحي ومن حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي .

السؤال السابع والخمسون: ما الفرق بين النبيين والمحدثين ؟

الجواب: التكليف. فإن النبوة لابد فيها من علم التكليف ولا تكليف في حديث المحدثين جملة ورأسا هذا أن أراد أنبياء الشرائع. فإن أراد أصحاب النبوة المطلقة فالمحدثون أصحاب جزء منها فالنبي الذي لا شرع له فيما يوحى إليه به هو رأس الأولياء وجامع المقامات مقامات ما نقضيه الأسماء الإلهية مما لا شرع فيه من شرائع أنبياء التشريع الذين يأخذونه بوساطة الروح الأمين من عين الملك.

والمحدث ما له سوى الحديث وما ينتجه من الأحوال والأعمال والمقامات فكل نبي محدث وما كل محدث نبي وهؤلاء هم أنباء الأولياء وأما الأنبياء الذين لهم الشرائع فلابد من تنزل الأرواح على قلوبهم بالأمر والنهي وما عدا ما ينزلون به من الأمر والنهي مثل العلوم الإلهية والاختبارات عن الكوائن والأمور الغائبة فذلك خارج عن نبوة الشرائع وهو من أحوال الأنبياء على العموم وينالـه المحدث فإن ظهر من أصحاب النبوة المطلقة حكم من الأحكام الظاهرة من أنبياء الشرائع من قتل أو أخذ مال أو فعل من الأفعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر.

فاعلم أن هذا النبي الذي ماله شرع ليس ذلك من شرع نزل إليه وخوطب

---

(١) سورة النور،الآية ٢٤.
(٢) سورة فصلت،الآية ٢١.
(٣) سورة السجدة،الآية ١٧.

به لا يزال تابعا لرسول قد شرع .

وإنما اتفق أنه أخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر في حق هذا الرسول يعارض حكم الرسول الآخر.

فإذا اجتمع هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة مع رسول من الرسل كالخضر مع موسى عليه السلام فحكم في قتل الغلام بما حكم وأنكر عليه موسى قتل نفس زكية في ظاهر الشرع بغير نفس مما لم يكن ذلك حكمة في شرعه فقال له جئت شيئا نكرا أي ينكره شرعي وقال له الخضر ما فعلته عن أمرى يعني في كل ما جرى منه فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع الرسول الذي اتبعه.

ومن شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه فحكم بعلمه في الغلام أنه كافر فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث أنه صاحب شرع منزل وإنما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله ﷺ فعلى هذا الحد تصدر الأحكام من أنبياء الأولياء.

فإن قيل هذا يجوز في زمان وجود الرسل واليوم فما ثم شرع إلا واحد فهل يتصور أن تحكم أنبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد ﷺ .

قلنا :لا نعم فأما قولنا لا فإنه لا يجوز أن يحكم برأيه.

وأما قولنا: نعم فإنه يجوز للشافعي أن يحكم بما يخالف به حكم الحنفي وكلاهما شرع محمد ﷺ فإنه قرر الحكمين فخالفت شرعه بشرعه فإذا اتفق أن تخبر أنبياء الأولياء فيما يعلمهم الحق من أحكام شرع رسول الله ﷺ او يشهدون الرسول ﷺ فيخبرهم بالحكم في أمر يرى خلافه أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة لحديث رووه صح عندهم من طريق النقل فوقفت عليه أنبياء الأولياء.

وعلمت من طريقها الذي ذكرناه أن شرع محمد يخالف هذا الحكم وأن ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح وجب عليهم إمضاء الحكم بخلافه ضرورة كما يجب على صاحب النظر إذا لم يقم له دليل على صحة ذلك الحديث

وقام لغيره دليل على صحته وكلاهما قد وفى الاجتهاد حقه فيحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده.

وكل ذلك شرع واحد فمثل هذا يظهر من أنبياء الأولياء بتعريف الله أنه شرع هذا الرسول فيتخيل الأجنبى فيه أنه يدعى النبوة وأنه ينسخ بذلك شرع رسول الله ﷺ فيكفروه.

وقد رأينا هذا كثيرا في زماننا ونقلناه من علماء وقتنا فنحن نعذرهم لأنه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظنون وهؤلاء علماء بالأحكام غير ظانين بحمد الله فلو وفوا النظر حقه لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه ولا ينقضه إذا حكم به الحاكم.

غير أنهم ﷺ لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من المدعى صاحب الغرض فسدوه وقالوا: أن الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب ونعم ما فعلوه.

ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم بالأجر التام عند الله . ولكن إذا لم يقطعوا بأن ذلك مخطئ في مخالفتهم فإن قطعوا فلا عذر لهم فإن أقل الأحوال أن ينزلوهم منزلة أهل الكتاب لا نصدقهم ولا نكذبهم فإنه ما دل لهم دليل على صدقهم ولا كذبهم بل ينبغي أن يجروا عليهم الحكم الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم لهم فيما ادعوه.

فإن صدقوا فلهم وأن كذبوا فعليهم. فعلى هذا تجري الأحكام من أنبياء الأولياء لا أنهم أرباب شرائع بل اتباع ولابد ولا سيما في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد ﷺ والمحدثون ليست لهم هذه الرتبة بل رتبتهم الحديث لا غير.

ناظرون في كل شيء آخذون من عين كل شيء من كون كل شيء مظهر حق غير أنهم لا يتعدون حدود الله جملة.

فإن صدر منهم ما هو في الظاهر تعد لحد من حدود الله فذلك الحد هو بالنسبة إليه مباح لا معصية فيه وأنت لا تعلم وهو على بينه من ربه في ذلك فما

أتى محرما من هذه صفته فإنه ممن قيل له اعمل ما شئت فما عمل إلا ما أبيح له عمله فإنه أمر لا على جهة الوعيد مثل قوله: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١) فهذا وعيد.

وإنما قولنا فيمن قيل له اعمل ما شئت فقد غفرت لك فعمل على كشف وتحقيق وهذا ثابت في شرعنا بلا شك فأهل الحديث أيضا لهم في مثل هذا قدم ولكن ليس هم مخصوصين به بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الأولياء.

وقد عرفت صفة المحدثين فيما قبل وصفة النبيين فقف عند ذلك. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

السؤال الثامن والخمسون: أين مكانهم منهم ؟

الجواب: مكان التابع من المتبوع وهو المشي على الأثر. قال شيخنا محمد بن قائد: رأيت في دخولي عليه أثر قدم أمامي فغرت فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن ما بي فاعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين - عليهم السلام - فأي ولي رأى قدما أمامه فتلك قدم النبي الذي هو له وارث.

وأما قدم محمد ﷺ فلا يطأ أثره أحد ﷺ كما لا يكون أحد على قلبه فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها كل من يراها فتلك قدم النبي الذي هو له وارث ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير.

ولهذا قيل له: قدم نبيك ولم يقل له هذه قدم محمد ﷺ فإن كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه فهو من أهل الحديث والكمال وإن كان فهم منه قدم محمد ﷺ فذلك صدع أصاب عين فهمه.

ولهذا قال السائل أين مكانهم منهم ولم يقل منه والمكان هنا يعني به المكان. وحكى عن عبد القادر الجيلي إنه قال حين قيل له هذا الشيخ كنت في المخدع ومن عندي خرجت له النوالة يعني الخلعة التي أعطى لأنه سئل عنه فقال ما رأيته في الحضرة.

---

(١) سورة فصلت،الآية ٤٠.

فقيل ذلك لعبد القادر فلذلك قال كنت في المخدع وسمى النوالة وكان كما قال وإنما قال في المخدع ولم يسم مكان صونه وعينه بهذا الاسم ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم بأنه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النفاسة عليه فإن حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر فستر عنه مقام عبد القادر خداعا فهم ذلك عبد القادر فقال كنت في المخدع.

وقوله إن من عنده خرجت النوالة يدل على أن عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة وعلى يديه استفادها وجهل ذلك محمد بن قائد فإن الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبد القادر فيما يحكي لنا من أحواله وأحوالهم وكان يقول هذا عن نفسه فيسلم له حاله فإن شاهده يشهد له بصدق دعواه فإنه كان صاحب حال مؤثرة ربانية مدة حياته لم يكن صاحب مقام وما انتقل إلى حال وما انتقل إلى حال أبي السعود وأن كان تلميذه إلا عند موته وهي الحال الكبرى وكانت هذه الحال مستصحبة لأبي السعود طول حياته فكان عبدا محضا لم تشب عبوديته ربوبية فاعلم ذلك.

ثم لتعلم أن مكان كل واحد من نبيه الذي هو وارثه إنما مكانه منه على الحال التي أثمر له طريقه.

فإنه لا يرث أحد نبيا على الكمال إذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولا مثله أو نبي شريعة تخصه يأخذ عمن يأخذ عنه وليس الأمر كذلك إلا أن الروح الذي يلقي على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث في صورة حالة مشوبة في ظاهرها بصورة ذلك الملك وتسمى تلك الروحانية باسم ذلك الملك وتخاطب هذا الوارث ويخاطبها هذا الوارث بقدر حاله وينطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح .

وربما بعض الورثة يتخيل أنه عين الروح الذي كان يلقي على ذلك النبي

وأنه الروح عينه والصور مختلفة وليس الأمر كذلك والخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح وتتعين المرتبة بالصورة فمعرفة الإنسان بنفسه ومرتبته لا تعلم إلا من الصورة.

ومن هنا يتخيل من لا تمكن له في المعارف الإلهية ذوقا أنه نبي أو قد نال درجة أنبياء الشرائع ولهذا قال بعض السادة من رجال الله جعلك الله محدثا صوفيا ولا جعلك صوفيا محدثا فإن الغالب أن تكون بحكم الأصل المتقدم إلا أن يعصم الله فمعرفة المكان الذي لنا من الأنبياء واجب علينا العلم به لئلا نكون ممن لبس عليه في ذلك ولا سيما والله يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1].

ولو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ولو كان رجلا لظهر في صورة ملك للالتباس المطلوب الذي هو صورة عملهم ليعلم أنه أتي عليهم إلا منهم فما جنوا إلا ثمرة أعمالهم هذا هو الحق .

السؤال التاسع والخمسون: أين سائر الأولياء؟

الجواب: في النور خلف حجاب السبحات الوجهية من الأنوار، والظلم في نور ممتزج بينهما كنور الأسحار وهو السدفة وأما المؤمنون فإنهم في النور العام المبطون في ظلم الحجب ومنه تخلص الأولياء إلى هذا النور الممتزج والأكابر أحرقتهم أنوار السبحات وخواص الأكابر أحرقم نور البصر.

فالأولياء لا يتجاوز علمهم الصفات الذاتية من حيث ما هي منسوبة إلى الحق الموصوف بها لا من حيث ما دلت عليها دلائل الآثار. فهم يعرفون العالم من الله ويعرفون الله بالله ومن دونهم يعرفون الله من العالم وأما العالم فلا يعرفه من نفسه إلا الأكابر الرجال النين لا يعرفون الأشياء أو المعلومات إلا من نفوسها وأعيانها فلا يتخذون دليلا على الشيء أو المعلوم سوى نفس ذلك المعلوم .

وذلك لارتفاع المناسبات ولسريان الأحدية في كل معلوم فكما أنه لا مناسبة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩ .

بين الله وبين خلقه كذلك لا مناسبة بين أعيان العالم والمظاهر فلا يعرفون شيئا بشيء ولا معلوما بمعلوم غيره وسائر الأولياء ما لهم هذه المرتبة وكيف يعرف الشيء بغيره ولا يجتمع الدليل والمدلول فإن أحدهما إذا انتفى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة فذلك المدلول إنما عرفته حين ظهر لك بنفسه.

وأما حين نظرك في الدليل على زعمك فلا علم لك إلا بذات الدليل لأن ذاته عرفتك بذاته لا بما جعلته دليلا عليه. فإن المدلول في حين علمك بالدليل لست بعالم به فهذا الذي جعل لأكابر الرجال لا يتخذون أمر الأمر وإنما يتخذون كل أمر لنفسه وعينه فيعلمون هؤلاء الله بالله والعالم بالعالم والأسماء بالأسماء فلا فكر لهم في استنباط شيء كما لسائر الأولياء فلهم الشهود الدائم فأينية سائر الأولياء في الأدلة فلا يشهدون مدلولا أبدا وعلى هذا جرت أحكامهم.

وأما أينيتهم في القيامة فهم الذين لا يخافون ولا يحزنهم الفزع الأكبر لأنهم ما لهم تبع وهم في أنفسهم آمنون فتغبطهم الأنبياء في ذلك الموطن خاصة وأما أينيتهم في الكثيب يوم الزور الأعظم فلهم الكراسي عليها يقعدون والمنابر والأسرة والمراتب لغيرهم ولكن من حيث هم رسل وأنبياء ومؤمنون.

وأما الأكابر في العلم بالله فإن لهم قوة على التحول في رقايق لتحول التجلي في الصور فيبعثون لكل تجل في صورة رقيقة صورية من ذواتهم تشاهد ما يشاهده أهل الجمع وهم في تلك الحال في قصورهم ينعمون في صور أجسامهم الطبيعية ومع الله من حيث كونه أحدى الذات بحقايقهم وفي الكثيب عند الرؤية برقايقهم المعنوية التي أوجدوها لصور التجلي ومن سواهم فحالهم إذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب وإذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان فتفقدهم جواريهم وولدانهم وأكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم.

السؤال الستون: ما خوض الوقوف؟

الجواب: دخول بعضهم في بعض طلبا للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم وكربه.

فمنهم الخائض في طلب من يشفع له.

ومنهم الخائض في طلب من يتكرم عليه لينقذه من هول ذلك اليوم.

ومنهم الخائض في طلب من يشهد له ومنهم الخائض في طلب من يشهد له.

ومنهم الخائض في طلب الخصم لطلب الخصم لطلب القصاص.

ومنهم الخائض ليختفي ويستتر من خصمائه.

ومنهم الخائض ليستتر حياء من معارفه.

وعلى هذا كان يعمل شيخنا أبو عمران موسى بن عمران الميرتلي قلت له يوما: لم تقلل من معارفك؟ فقال: ربما لا أكون هناك بذاك فأستحي من معارفي فإذا لم أر من اعرف هان على بعض الحال.

ومنهم الخائض ليعرف بمنزلته لما هو من المكانة عند ربه ليغيظ بهم الكفار وأمثال هذا خوض الوقوف إذا تأملت .

وأما الطائفة التي كانت تخوض في آيات الله وكانوا بها يستهزؤن فإن الله يخوض بهم في غمرات أعمالهم كما كانوا في الدنيا في خوضهم يلعبون يكونون في الآخرة في خوضهم يحزنون﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾[1] فهذا خوضهم في الدنيا وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون.

الصورة بالصورة فهذا خوضهم في الوقوف قال تعالى يوصينا ويحذرنا ممن هذه صفته:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[2] إنكم إذن مثلهم إذا أقمتم معهم وهم بهذه المثابة وإن لم تخض معهم قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾[3] ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) سورة المطففين:الآية ٢٩-٣٢.

(٢) سورة الأنعام:الآية ٦٨.

(٣) سورة النساء:الآية ٩٧.

إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَإِيَّىَ فَاعْبُدُونِ ﴾[١] فهؤلاء في الوقوف يخاض بهم حيث يكرهون كما خاضوا هنا حيث يكره الحق منهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

السؤال الحادي والستون: كيف صار أمره كلمح البصر؟

الجواب: الضمير في أمره يعود على الوقوف فاعلم أن الكيفيات لا تقال ولكن تقال بضرب من التشبيه. فإن أمره واحدة أي كلمة واحدة مثل لمح البصر فإن اللمحة الواحدة من البصر. نعم من أحكام المرئيات من حيث الرائي إلى الفلك الأطلس جميع ما يحوي عليه ما أدركه البصر في تلك اللمحة من الذوات والأعراض القائمة بها من الأكوان والألوان وفي العبادات كل مصل والخلق كله مصل من حيث دعى يناجي ربه في الآن الواحد.

كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك بالمقدار الزماني خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهو يوم ذي المعارج ويوم الرب من يوم ذي المعارج مثل نصف خمس الخمس فالأيام وإن اختلفت مقاديرها وعدها اليوم الشمس فإن أمر الله فيها مثل لمح البصر للإفهام والتوصيل.

وربما هو في القله من هذا المقدار بل مقداره الزمان الفرد المتوهم الذي هو يوم الشان فالشان بالنظر إلى الحق واحد منه وبالنظر إلى قوابل العالم كله شؤون لولا الوجود حصرها لقلنا إنها لا نهاية لها فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد وعظم بحيث لا يمكن أن يحصره عدد من حيث العالم وإنما يحصيه من أحاط بكل شيء علما أحصى كل شيء عددا فكما صارت الخمسون ألف سنة كيوم واحد وفي يوم واحد كذلك صار أمره كلمح البصر.

وسبب ذلك أن الذي يصدر منه الأمر لا يتقيد فهو في كل مأمور بحيث أمر فينفذه الأمر بحكمه دفعة واحدة وهذا إذا لم يبعد في المحدثات وجوده بهذه السعة فما ظنك بالأمر الحق فإن الهواء حكمه في كل شيء من العالم الطبيعي أسرع من لمح البصر وهو واحد كالإنسان الواحد.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٥٦ .

وكذلك الروح الأمرى في العقول وفي الأجسام الطبيعية فمثل هذا لا يستبعده إلا من لا علم له بالأمور والحقائق ولا سيما وإن أعاد الضمير في سؤاله من أمره على الضمير المذكور في سورة القمر﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾[١] وهو الذي أراد والله أعلم مع إنه يسوغ أن يعود على الوقوف وعلى الخوض.

فإن الزمان الواحد يجمع الخائضين في خوضهم والله الهادي من شاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

السؤال الثاني والستون: أمر الساعة كلمح البصر أو هو أقرب ؟

الجواب: سميت الساعة ساعة لأنها تسعى إلينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات وبقطع الأنفاس فمن مات وصلت إليه ساعته وقامت قيامته إلى يوم الساعة الكبرى التي هي لساعات الأنفاس كالسنة لمجموع الأيام التي تعنيها الفصول باختلاف أحكامها.

فأمر الساعة وشأنها في العالم أقرب من لمح البصر فإن عين وصولها عين حكمها وعين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم وعين نفوذه عين تمامه وعين تمامه عين عمارة الدارين. فريق في الجنة وفريق في السعير، ولا يعرف هذا القرب إلا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي وما يجده العالم به من الأمور الواسعة في النفس الفرد والطرفة ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال فيعرف هذا القرب وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا ومن وقف على حكاية الجوهري رأي عجبا وهو من هذا الباب.

فإن قلت وما حكاية الجوهري؟ قلنا. ذكر عن نفسه أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن وكانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل فرأى وهو في الماء مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين وأولدها أولاد غاب عني عددهم ثم رد إلى نفسه وهو في الماء ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعته.

---

(١) سورة القمر:الآية ٥٠.

فلما كان بعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم.

وقيل لها متى تزوج فقالت منذ ست سنين وهؤلاء أولاده مني[١].

فخرج في الحس ما وقع في الخيال وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول فالله قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم وغير ذلك من القوى التي في عامة الناس.

فاختص الله أولياءه بقوى لها مثل هذه الأحكام فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار.

وفي معراج رسول الله ﷺ ما فيه كفاية في هذا الباب مع بعد هذه المسافات التي قطعها في الزمان القليل .

السؤال الثالث والستون : ما كلام الله تعالى لعامة أهل الوقوف؟

الجواب: يقول لهم ما جئتم به فيقع في أسماع السامعين ذلك مختلفا باختلاف أحوالهم فتختلف أحوالهم بأسماعهم بل تختلف أسماعهم بحسب أحوالهم في الموقف، ولا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع الآخر وهو السؤال عن النفس الذي قبض فيه ولا يكون هذا الكلام إلا لأهل الوقوف خاصة الذين هم في هول ذلك اليوم.

وأما المتصرفون فيه كالأنبياء والرسل والدعاة إلى الله وكالمستريحين من أهل المنابر الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وكالمصونين في سرادقات الجلال خلف حجاب الأنس فهؤلاء كلهم وأمثالهم ما هم من أهل الوقوف فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كل واحد منهم.

---

(١) هذا لا دليل عليه من الشرع لا من الكتاب ولا من السنة.

السؤال الرابع والستون: ما كلامه للموحدين؟

الجواب: يقول : لهم في ماذا وحدتموني؟ وبماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي؟.

فإن كنتم وحدتموني في المظاهر فانتم القائلون بالحلول، والقائلون بالحلول غير موحدين.

لأنه أثبت أمرين: حال ومحل.

وإن كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والأفعال فما وحدتموني فإن العقول لا تبلغ إليها والخبر من عندي فما جاءكم بها.

وإن كنتم وحدتموني في الألوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية من كونها عينا واحدة مختلفة النسب فبماذا وحدتموني هل بعقولكم أو بي وكيفما كان فما وحدتموني لأن وحدانيتى ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي فإن توحيدكم اياي بي هو توحيدي لا توحيد وبعقولكم كيف يحكم على بأمر من خلقته ونصبته.

وبعد أن ادعيتم توحيدي بأي وجه كان أوفى أي وجه كان فما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ إن كان اقتضاه وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد.

وإن كان اقتضاه أمري ما هو غيري فعلى يدي من وصلكم أن رأيتموه مني فمن الذي رآه منكم وإن لم تروه مني فأين التوحيد؟ يا أيها الموحدون كيف يصح لكم هذا المقام وانتم المظاهر لعيني وانا الظاهر والظاهر يناقض الهوية فأين التوحيد؟.

لا توحيد في المعلومات فإن المعلومات انا وأعيانكم والمحالات والنسب فلا توحيد في المعلومات.

فإن قلتم في الوجود فلا توحيد فإن الوجود عين كل موجود واختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل ولا نسبة

متعلم فأين التوحيد؟ وما ثم إلا المعلومات أو الموجودات فإن قلت لا معلوم ولا مجهول ولا موجود ولا معدوم وهو عين التوحيد.

قلنا: بنفس ما علمت أن في تقسيم المعلومات من يقبل هذا الوصف فقد دخل تحت قسم المعلومات فأين التوحيد؟.

فيا أيها الموحدون استدركوا الغلط فما ثم إلا الله والكثرة في ثم وما هم سواه فأين التوحيد؟.

فإن قلتم: التوحيد المطلوب في عين الكثرة.

قلنا: فذلك توحيد الجمع فأين التوحيد فإن التوحيد لا يضاف إليه استعدوا أيها الموحدون للجواب عن هذا الكلام إذا وقع السؤال فإن كان أهل الشرك لا يغفر لهم فبحقيقة ما نالوا ذلك لأنه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك فشاهدوا الأمر على ما هو عليه.

فإن قلت: فمن أين جاءهم الشقاء وهم بهذه المثابة وإن عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم.

قلنا :لأنهم عينوا الشريك فأشقاهم توحيد التعيين فلو لم يعينوا لسعدوا ولكن هم أرجى من الموحدين لدرجة العلم جعلنا الله ممن وحده بتوحيد نفسه جل علاه.

السؤال الخامس والستون: ما كلامه للرسل؟

الجواب: ما قاله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾(١) فعلموا أنهم لما وجهو ادعوا إلى الله تعالى أممهم ظاهراً أو باطنا بدعوة واحدة.

فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ لا علم لنا جوابا ومن هنا لم يصح جميع فروع أحكام الشريعة من المنافق لأنه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره وصحت فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه فعلمنا أن المقصود للشرع الباطن ولكن بشرط مخصوص وهو أنه يعم الإيمان

---

(١) سورة المائدة: الآية : ١٠٩.

جميع فروع الأحكام وأصولها فإن آمن ببعض وكفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك الإيمان وهو الكافر حقا فيقول الله تعالى للرسل ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ﴾[١] إذا كان كلامه لهم في حق ما كلفهم من الدعوة إليه.

فإن أراد السائل ما كلامه للرسل فيما يختص بذواتهم من كونهم عبيدا مقربين فيكلمهم بما يكلم به المقربين من عباده فكلامه للرسل المقربين ممن اعتقدتم القربة هل اعتقدتم أن اقترابكم إلينا أو إلى سعادتكم أو إلى معرفة ذواتكم أو إلى معرفتي.

فإن اعتقدتم اقترابكم إلينا فقد حددتموني وأنا لا حد لي وهذا اللسان الذي أذكره في هذا الفصل إنما هو كلام الحق لمن دعا إلى الله على بصيرة.

كما قال: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[٢] فهذا لسان من اتبعه في دعوته إلى الله نيابة عنه فكأنه رسول الله ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة من حيث دعا الرسول، لأنهم ورثة.

وإنما قلنا هذا لأن كلامه للرسل لا يعرفه إلا الرسل ولا ذوق لنا فيه، ولو عرفنا به ما عرفناه ولو عرفناه لكنا رسلا مثلهم، ولا حظ لنا في رسالتهم ولا في نبوتهم وكلامنا لا يكون إلا عن ذوق.

فالجواب عن هذا السؤال إذا أراد الرسل ترك الجواب فأردنا أن نقيد أصحابنا في أن نتكلم في كلامه تعالى للرسل الذين هم الورثة رسل الله لما أدعو إلى الله على بصيرة. وشرك رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله على بصيرة بينه وبين من اتبعه .

فاعلموا من أين نتكلم وفيمن نتكلم، وعمن نبين ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول : فيقول فقد حددتموني وأنا لا حد لي فنقول هذا الذي تقول لسان العلم وأنت خاطبتنا بلسان الإيمان فآمنا فقلت:(من تقرب إلي شبرا تقربت إليه

---

(١) سورة القصص، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا) فما حددناك إلا بحدك فأنت حددت نفسك بنا وحددتنا بك وإلا فمن أين لنا أن نحد ذواتنا فكيف أن نحدك وجعلت الإيمان بما ذكرناه قربة إليه فهذا كلامك ولسان الإيمان ونحن لا جراءة لنا على أن نقول ما قلته عن نفسك .

فيقول صدقتم هذا لسان الإيمان فتقول طائفة منهم اقتربنا إلى سعادتنا فيقول سعادتكم قائمة بكم وما برحت معكم في حال طلبكم القربة إليها فإن لم تعلموا ذلك فقد جهلتم وأن علمتموه فما صدقتم إذ فلا قربة.

فإن قالت طائفة إنما اعتقدنا القربة إلى معرفة ذواتنا فيقول لهم الشيء لا يجهل نفسه لكنه لا يعرف أنه يعرف نفسه لأن معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود فطلبكم القربة من معرفة من هو معروف لا يصح.

فإن قالت طائفة ولابد أن تقول إنما اعتقدنا القربة من معرفتك فيقول لهم كيف يعرف من ليس كمثله شيء.

فلو كان شيئا لجمعتهما الشيئية فيقع التماثل فيها إذا فلا شيئية له فليس هو شيئا ولا هو لا شيء فإن لاشيء صفة المعدوم فيماثله المعدوم في أنه لا شيء وهو لا يماثل فليس مثله شيء وليس مثله لا شيء.

ومن هو بهذه المثابة كيف يعرف فبطل اقترابكم إلى معرفتي فبطل أن يكونوا من المقربين فيقولون: لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم فيقول: أنتم رسل وحقيقة الرسول أن يكون بين مرسل ومرسل إليه وهو حامل إليهم رسالة ليعلموا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة.

فالرسول لما كانت مرتبته البينية كان أقرب من المرسل إليهم إلى الاسم الذي أرسله وكان المرسل إليهم أقرب إلى الاسم القابل لما جاء به الرسول من الرسول.

فالكل من المقربين فإن لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين وكان المرسل إليهم غير متصفين بالقربة فكانوا من المبعدين.

السؤال السادس والستون: إلى أين يأوون يوم القيامة من العرصة ؟

الجواب: إلى ساق العرش، ويوم القيامة له مواطن كثيرة، فالرسل يأوون يوم القيامة من العرصة في كل موطن إلى الموضع الذي يكون فيه تجلى الحكم الإلهي الذي يليق بذلك الموطن.

فموطن للسؤال، وموطن للموازين، وموطن لأخذ الكتب ومواطن للصراط، وموطن للحوض. فمواطن القيامة تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه وتعالى كالوزعة بين يدي الملك. وأقربهم منزلة من هو أدني من قاب قوسين وهو التقاء قطري الدائرة ثم يأوون في السؤال العام إلى لا علم لنا في السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب.

وللحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة فيأوون إلا الاسم الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص.

السؤال السابع والستون: كيف مراتب الأنبياء والأولياء يوم الزيارة؟

الجواب: أن الناس إذا جمعهم الله يوم الزيارة في جنة عدن على كثيب المسك الأبيض نصب لهم منابر، وأسرة، وكراسي ،ومراتب.

فالأنبياء على رتبتين: أنبياء شرائع، وأنبياء أتباع. فأنبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل والأنبياء الأتباع في الرتبة الثالثة.

والرتبة الثالثة تنقسم قسمين: قسم يسمى أنبياء، وقسم يسمى أولياء والرتبة للأولياء بالاسم العام فإذا كان يوم الزيارة فكل نبي أخذ معرفة ربه من ربه إيمانا لم يشبها بنظر فكري فإنه يشاهد ربه بعين إيمانه والولي التابع له في إيمانه بربه يراه بمرآة نبيه.

فإن كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره واتخذ ذلك قربة من حيث إيمانه فله يوم الزيارة رؤيتان: رؤية علم، ورؤية إيمان، وكذلك إن كان النبي له في معرفته بربه نظر فكرى له رؤيتان رؤية علم ورؤية إيمان.

فإن كان الولي من أولياء الفترات ولم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الإلهية التي جاءت بها الرسل وكانت معرفتهم ربهم إما عن نظر وإما عن تجل إلهي لقلبه أو كلاهما فمثل. هؤلاء يكونون بما هم أهل نظر في مرتبة أهل النظر في الرؤية وإن كانت معرفتهم عن كشف إلهي فإن لهؤلاء صفا على حدة يتميزون به عن سائر الخلق.

والجامع لهذا الباب: أن الرؤية يوم الزيارة تابعة للاعتقادات في الدنيا فمن اعتقد في ربه ما أعطاه النظر ما أعطاه الكشف، وما أعطاه تقليد رسوله. فإنه يرى ربه في صورة وجه كل اعتقاد ربط عليه إلا أنه في تقليد نبيه يراه بصورة نبيه من حيث ما اعلمه ذلك الرسول مما أوحى به إليه في معرفته بربه.

فلمثل هذا ثلاث تجليات بثلاثة أعين في الآن الواحد، وكذلك حكم صاحب النظر وحده أو صاحب الكشف وحده أو صاحب التقليد وحده. فتتميز مراتب الأولياء الاتباع في الزيارة بتقديم الأنبياء عليهم والطبقتان اللتان ليستا بأنبياء ولا أتباع فهم أولياء الله لا يحكم عليهم مقام يتميزون عن الجميع بالنسب الصحيح إلى ربهم غير أن أصحاب النظر منهم في الرتبة دون أصحاب الكشف.

فبين الحق وبينهم في الرؤية حجاب فكرهم كلما أرادوا أن يرفعوا ذلك الحجاب لم يستطيعوا كأتباع الأنبياء كلما هموا برفع حجب الأنبياء عنهم حتى يروه دون هذه الواسطة لم يستطيعوا ذلك فلا تكون الرؤية الخالصة من الشوب إلا للأنبياء الرسل أهل الشرائع ولأهل الكشف خاصة ومن حصل له هذا المقام مع كونه تابعا أو صاحب نظر جمع له على قدر ما عنده ولو كان على ألف طريق.

وأما الرجال الذين صوبوا اعتقاد كل معتقد بما وصله إليه وعلمه وقرره فإنه يوم الزيارة يرى ربه بعين كل اعتقاد فالنا صح نفسه ينبغي له أن يبحث في دنياه على جميع المقالات في ذلك ويعلم من أين أثبت كل واحد ذو مقالة مقالته.

فإذا ثبت عنده من وجهها الخاص بها الذي به صحت عنده وقال بها في حق ذلك المعتقد ولم ينكرها ولا ردها فإنه يجني ثمرتها يوم الزيارة كانت تلك العقيدة ما كانت وهذا هو العلم الإلهي الواسع.

والأصل في صحة ما ذكرناه: أن كل ناظر في الله تحت حكم إسم من أسماء الله فذلك الاسم وهو المتجلى له وهو المعطي له ذلك الاعتقاد بتجليه له من حيث لا يشعر والأسماء الإلهية كلها نسبتها إلى الحق صحيحة فرؤيته في كل اعتقاد مع الاختلاف صحيحة ليس فيها من الخطأ شيء.

هذا يعطيه الكشف الأتم فلم يخرج عن الله نظر ناظر ولا يصح أن يخرج وإنما الناس حجبوا عن الحق بالحق لوضوح الحق فهذه الطائفة التي هي بهذه المثابة من العلم بالله صف يوم الزيارة بمعزل إذا انصرفوا من الزيارة يتخيل كل صاحب اعتقاد أنه منهم لأنه يرى صورة اعتقاده فيها كصورته فهو محبوب لجميع الطوائف من يكون بهذه الصفة وكذلك كان في الدنيا وهذا القول الذي ذكرناه لا يعرفه إلا الفحول من أهل الكشف والوجود.

وأما أصحاب النظر العقلي فلا يشمون منه رائحة فاجعل بالك لما ذكرناه وأعمل عليه تعطي الألوهية، حقها وتكون ممن أنصف ربه. في العلم به فإن الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد أو تضبطه صورة دون غيرها.

ومن هنا تعرف عموم السعادة لجميع خلق الله واتساع الرحمة التي وسعت كل شيء انتهى الجزء الخامس والثمانون .

السؤال الثامن والستون: ما حظوظ الأنبياء من النظر إليه؟

الجواب: لا أدري فإني لست نبي. فذوق الأنبياء لا يعلمه سواهم إن أراد الأنبياء الذين خصهم الله بالتشريع العام والخاص بهم فإن أراد أنبياء الأولياء فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله.

فإن حصل على الجميع فحظه ما للجميع فهو في النعيم العام فيلتذ بلذة كل معتقد فما أعمها من لذة، وإن حصل على البعض فلذاته بحسب ما حصل له وإن أنفرد بأمر واحد فحظه ما انفرد به من غير مزيد فافهم ما ذكرناه .

السؤال التاسع والستون: ما حظوظ المحدثين من النظر إليه ؟

الجواب: الحجاب الأقرب. فإذا شاهد ربه حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثل ما يحصل لهم من الكلام إلا أن المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق بأن التجلى يتنوع عليهم في المشهد الواحد وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فإنه مخصوص بالمحدثين .

السؤال السبعون: ما حظوظ سائر الأولياء من النظر إليه؟

الجواب: الأولياء على مراتب فتختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم.

فولى حظه من النظر إليه لذة عقلية.

وولى حظه من ذلك لذة نفسية.

وولي حظه من ذلك لذة حسية.

وولي حظه من ذلك لذة خيالية وولي حظه من ذلك لذة غير مكيفة.

وولى حظه من ذلك لذة ينقال تكييفها .

وولي حظة من ذلك لذة لا ينقال تكييفها.

فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

السؤال الحادي والسبعون: ما حظوظ العامة من النظر إليه؟

الجواب: حظوظ العامة من النظر إليه على قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء على طبقاتهم.

فمنهم من ألقى إليه عالمه ما عنده.

ومنهم من ألقى إليه عالمه على قدر ما علم من عقله وقبوله فإن الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها فإنها أقسام أصلها المزاج الذي ركبه الله

---

(١) سورة آل عمران: الآية : ١٦٣ .

عليه وهو السبب في اختلاف نظر العلماء بأفكارهم في المعقولات فيكون حظهم فيما تخيل لهم.

فالعامة حظوظهم خيالية لا يقدرون على التجريد عن المواد في كل ما يتلذون به من المعاني في الدنيا والبرزخ والآخرة بل قليل من العلماء من يتصور التجريد الكلي عن المواد.

ولهذا لكثر الشريعة جاءت على فهم العامة وتأتي فيها تلويحات للخاصة مثل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[(١)] ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[(٢)].

السؤال الثاني والسبعون: أن الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل أهل الجنان عن نعيمهم اشتغالا بالنظر إليه؟

الجواب: ذلك للباس الرائي صورة ما رأى وسبب ذلك أن المقام عظيم في قلب كل طائفة وأنه أعظم مما هم فيه من نعيم الأكوان في الجنان.

فإذا دعوا إلى الزيارة وبقى الأزواج الجنانيون من الحور والولدان وأشجار الجنان وأنهارها وجميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور والمراكب وغير ذلك والكل حيوان فإنها الدار الحيوان.

فإذا دعى صاحب المنزل ذكرا كان أو أنثى من الثقلين بقى أهل ذلك المنزل مترقبين ما يأتون به إليهم من الخلع الإلهية التي أورثهم النظر إليه وبأي صورة يرجعون إليهم من ذلك المقام الأعظم إذا كان ذلك مشاهدة الملك .

فإذا وردوا عليهم من الزيارة إذا قال الجليل للائكته ردوهم إلى قصورهم وقد غشيهم من نور الرؤية ما غشاهم مما لا مناسبة بين ذلك وبين الجمال والبهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة مع تعظيم المقام الذي مشوا إليه في قلوب أهل المنزل.

ثم إنهم إذا رجعوا إليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية أشرق الجنان

---

(١) سورة الشورى، الآية : ١١ .
(٢) سورة الصافات، الآية : ١٨٠ .

بأنوارهم على مقدارهم بصورة ما رأوه فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم ولا كانوا عليه.

فهذا هو السبب في ذهولهم وحظ كل شخص من ربه على مقدار علمه وعقده في درجات العقائد واختلافاتها وكثرتها وقلتها كما قد تقرر قبل في هذه الفصول.

فاعلم ذلك والله الهادي وفي سوق الجنة علم ما أشرنا إليه.

السؤال الثالث والسبعون: ما المقام المحمود؟

الجواب: هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها وإليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات وهو لرسول الله ﷺ ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض.

قال ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة وكان قد أقيم فيه آدم ﷺ لما سجدت له الملائكة فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا وهو لمحمد ﷺ في الآخرة وهو كمال الحضرة الإلهية. وإنما ظهر به أولا أبو البشر لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد ﷺ وهو الأب الأعظم في الجسمية والمقرب عند الله .

وأول هذه النشأة الترابية الإنسانية فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة إذ كان جامعا للقبضتين قبضة الوفاق وقبضة الخلاف فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة فكانت مخالفته نهي الله من تحرك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره فإن المقام يقتضي له ذلك.

وسألت شيخنا أبا العباس عن ذلك فقال: ما عصى من آدم عليه السلام إلا ما كان من أولاده المخالفين في ظهره، وكانت العاقبة لمحمد ﷺ في الدار الآخرة. فظهر في المقام المحمود، ومنه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة عند الله تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك، ورسول، ونبي، وولي ومؤمن، وحيوان، ونبات، وجماد، فيشفع رسول الله ﷺ عند ربه لهؤلاء أن يشفعوا فكان محمودا بكل لسان وبكل كلام فله أول الشفاعة ووسطها وآخرها يقول الله شفعت الملائكة وشفع

النبيون وشفع المؤمنون وبقى أرحم الراحمين فيقتضي سياق الكلام أن يكون ارحم الراحمين يشفع أيضا فلابد ممن يشفع عنده وما ثم إلا الله.

فاعلم أن الله يشفع من حيث أسماؤه فيشفع اسمه أرحم الراحمين عند اسمه القهار والشديد العقاب ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وقد نبه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾(١) فالمتقي إنما هو جليس الاسم الإلهي الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد فسمى جليسه متقيا منه فيحشره الله من هذا الاسم الى الاسم الإلهي الذي يعطيه الأمان مما كان خائفا منه وهو الرحمن.

فقال:﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾(٢) أي يأمنون مما كانوا يخافون منه.

ولهذا يقول في الشفاعة وبقى أرحم الراحمين فبهذه النسبة تنسب الشفاعة إلى الحق من الحق من حيث آثار أسمائه وهذا هو مأخذ العارفين من الأولياء فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد ﷺ فهذا الذي عبر عنه بالمقام المحمود.

قال ﷺ في هذا المقام:(فأحمده بمحامد لا اعلمها الآن) وهذا يدلك أن علوم الأنبياء والأولياء أذواق لا عن فكر ونظر فإن المواطن يقتضي هنالك بآثاره أسماء إلهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا فلهذا قال : لا أعلمها الآن وهذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوصل إلى الله فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة وهو شفاعته في الجميع.

ألا تراه ﷺ يقول: (في الوسيلة أنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد وأرجو أن اكون أنا) فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة فجعل الشفاعة ثواب السائل ولهذا سمى المقام المحمود الوسيلة وكان ثوابهم في السؤال أن يشفعوا وهذا هو منصب إلهي جامع من عين ملك الملك قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ

(١) سورة مريم: الآية : ٨٥ .
(٢) سورة مريم: الآية : ٨٥ .

تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[1] وقال: ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾[2] فكان المرجع اليه فكذلك ترجع المقامات كلها والأسماء إلى هذا المقام المحمود.

قال ﷺ : (اوتيت جوامع الكلام).

السؤال الرابع والسبعون: بأي شيء ناله؟

الجواب: قال ﷺ (لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من امتي)لعلمه بمواطن الآخرة أكثر من علم غيره من الأنبياء.

فاعلم: إنه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها وهو الجامع لها لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم. لأن المحامد من صفة الكلام، ولما كان بعثه عاما كانت شريعته جامعة الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها التي تصح أن تشرع.

واعلم: أن جنات الأعمال ما بين الثمانين إلى السبعين لا تزيد ولا تنقص والإيمان بضع وسبعون بابا أدنى ذلك إماطة الأذى عن الطريق وأرفعه قول لا إله إلا الله قال تعالى في حق العاملين:﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾[3]فلم يحجر بهذا لمن عمل بكل عمل فإن الإنسان في الدنيا أي عمل عمله من الأعمال أعمال الإيمان لا يحجر عليه إذا شاء عمله فلما ظهر ﷺ بجميع شعب الإيمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فإنه الذي سنها لأمته فله اجر من عمل بها.

ولا يخلو واحد من الأمة أن يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه ﷺ من حيث العمل بها فيتبوأ من الجنة حيث يشاء وهذا لا يصلح إلا لمحمد ﷺ فإنه عنه ظهرت السنن الإلهية فبهذا نال المقام المحمود وبجوامع الكلم وبالبعثة العامة.

---

(١) سورة الشورى، الآية : ٥٣ .
(٢) سورة هود، الآية : ١٢٣ .
(٣) سورة الزمر، الآية : ٧٤ .

فإنه بالعناية الآخروية صحت لـه هـذه المقامـات في الدنيـا وباتصافـه بـهذه الأحوال في الدنيا تلك المقامات الأخروية فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصـح الوجود عنه .

السؤال الخامس والسبعون: كم بين حظ محمدﷺ وحظوظ الأنبياء عليهم السلام؟

الجواب: أما بينه وبـين الجميـع فحـظ واحـد وهـو عـين الجمعيـة لـما تفـرق فيهم.

وأما بينه وبين كل واحد منهم فثمانية وسبعون حظا ومقاما إلا آدم فإنـه ما بينه وبين رسول الله ﷺ إلا مـا بـين الظاهر والبـاطن فكان في الدنيـا محمـد ﷺ بـاطن آدم عليـه السلام وآدم عليـه السلام ظـاهر محمـد ﷺ وبـهما كـان الظـاهر والبـاطن وهـو في الآخـرة فـهذا بـين حـظ محمـد ﷺوبـين حظـوظ الأنبيـاء عليـهم السلام.

واكثر أصحابنا يمنعون معرفة التوقيـت في ذلـك وهـو غلـط منـهم وفي هـذا الفصل تفصيل عظيـم تبلـغ فصول التفصيـل فيـه إلى مائـة ألـف تفصيـل وأربعـة وعشرين ألف تفصيل بعدد الأنبياء عليـهم السلام لأنـه يحتـاج إلى تعيـين كـل نـبي ومعرفة ما بين حـظ محمـد ﷺ وبـين ذلـك النـبي والحظـوظ محصورة مـن حيـث العمال في تسعة وسبعين.

وقد يكون للنبي من ذلك أمر واحد، ولآخر أمران ولآخر عشر العـدد وتسعة وثمنه وأقل من ذلك وأكثر، والمجموع لا يكون إلا لرسـول ﷺ ولهذا لم يبعـث عامـا سوى محمد ﷺ وما سواه فبعثه خاص:(لكل جعلنا منكم شـرعة ومنـهاجا) ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[1].

السؤال السادس والسبعون: ما لواء الحمد؟

الجـواب: لـواء الحمـد هـو حمـد الحمـد وهـو أتم المحـامد وأسـناها وأعلاهـا مرتبـة لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لأنه علامـة على مرتبـة الملـك، ووجـود الملـك

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٤٨ .

كذلك حمد المحامد تجتمع إليه المحامد كلها. فإنه الحمد الصحيح الذي لا يدخله احتمال ولا يدخل فيه شك ولا ريب لنه حمد لأنه لذاته يدل فهو لواء في نفسه.

الا ترى لو قلت في شخص لنه كريم أو يقول عن نفسه ذلك الشخص لنه كريم يمكن لن يضدق هذا الثناء، ويمكن أن لا يصدق فإذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان والإحسان شهد العطاء بذاته بكرم المعطي فلا يدخل في ذلك احتمال.

فهذا معنى حمد الحمد فهو المعبر عنه بلواء الحمد وسمى لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد، فلا يخرج عنه حمد. لأن به يقع الحمد من كل حامد وهو عاقبة العاقبة فافهم.

ولما كان يجمع ألوان المحامد كلها لهذا عم ظله جميع الحامدين..

قال ﷺ:(آدم فمن دونه تحت لوائي) وإنما قال فمن دونه. لأن الحمد لا يكون إلا بالأسماء وآدم عالم بجميع الأسماء كلها فلم يبق إلا أن يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة لأنه لابد لن يكون مثنيا باسم ما من تلك الأسماء.

ولما كانت الدولة في الآخرة لمحمد ﷺ المؤتى جوامع الكلم وهو الأصل فإنه ﷺ أعلم بمقامه فعلمه وآدم بين الماء والطين لم يكن بعد فكان آدم لما علمه الله الأسماء في المقام الثاني من مقام محمد ﷺ .

فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه بجوامع الكلم والأسماء كلها من الكلم ولم تكن في الظاهر لمحمد ﷺ عين فتظهر بالأسماء لأنه صاحبها فظهر ذلك في أول موجود من البشر وهو آدم فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد ﷺ لأنه تقدم عليه بوجود الطينة .

فمتى ظهر محمد ﷺ كان احق بولايته واو لنه فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه.

وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم فهم في الآخرة تحته فتظهر

في هذه المرتبة خلافة رسول الله ﷺ على الجميع.

السؤال السابع والسبعون: بأي شيء يثني على ربه حتى يستوجب لواء الحمد؟

الجواب: بالقرآن. وهو الجامع للمحامد كلها ولهذا سمى قرآنا أي جامعا وهو قوله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(١) وما لنزلت على أحد قبله ولا ينبغي أن تنزل إلا على من له هذا المقام فإنه سبحانه لا ينبغي أن يحمد إلا بما شرع إن يحمد به من حيث ما شرعه لا من حيث ما تطلبه الصفة الحمدية من الكمال.

فذلك هو الثناء الإلهي ولو حمد بما تعطيه الصفة لكان حمدا عرفيا عقليا ولا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله.

السؤال الثامن والسبعون: ماذا يقدم إلى ربه من العبودية؟

الجواب: العبودة وهو انتساب العبد إليه ثم بعد ذلك تكون العبودية وهو انتسابه إلى المظهر الإلهي.

فبالعبودية يمتثل الأمر دون مخالفة وهو إذا يقول له كن فيكون من غير تردد فإنه ماثم إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين.

فإذا حصلت مظهرا وقيل لها افعل أو لا تفعل فإن خالفت فمن كونها مظهرا وإن امتثلت ولم تتوقف فمن حيث عينها ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) فبهذه العبودية يتقدم إلى الله في ذلك اليوم.

ألا تراه يسجد من غير أن يؤمر بالسجود لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين ولم يكن له محل إلا عين محمد ﷺ فيكون السجود في ذاته لأمر الحق له بتكوينه فسجد به محمد ﷺ من غي أمر إلهي ورد عليه بالسجود فيقال: له أرفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية :(٢:٤) .
(٢) سورة النحل: الآية : ٤٠ .

ثم بعد ذلك في موطن آخر يؤمر الخلق بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص فذلك سجود العبودية. فالعارفون بالله في هذه الدار يعبدون ربهم من حيث العبودة فما لهم نسبة إلا إليه سبحانه ومن سواهم فإنهم ينسبون إلى العبودية فيقال قد قاموا بين يديه في مقام العبودية. فهذا الذي يقدمه من العبودية إلى ربه وكل محقق بهذه المثابة يوم القيامة.

السؤال التاسع والسبعون: بأي شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم؟

الجواب: يختمه بالعبودية وهو انتسابه إلى العبودية كما قررنا وهي الدرجة الثانية فإن هذا المقام ما هو سوى درجتين: درجة العبودة وهي العظمى المقدمة.

ودرجة العبودية وهي الختام.

لأنه ما أمر بما يقتضيه أمر العبودة إلا بعد وجوده فأمر ونهي بوساطة هذا التركيب فأطاع وعصى وأناب وآمن وكفر ووحد وأشرك وصدق وكذب.

ولما وفى حق الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال وأوامر سيده ونواهيه ناوله مفاتح الكرم برد ما قدم إليه.

السؤال الثمانون: ما مفاتيح الكرم؟

الجواب: سؤالات السائلين منا ومنه وبنا وبه.

فأما منا وبنا فسؤال ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه وصورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بأنه بهذه المثابة وغيرك ممن هو مثلك بجهله ولا يعرفه فتكرم عليك بأن عرفك كيف أنت وما تستحقه ذاتك أن توفى به بما لا يمكن انفكاكها عنه.

وأما منه وبه فإن السائل بما هو عارض له أي عرض له ذلك بعد تكوينه وذلك أنه لما كان مظهرا للحق وكان الحق منه هو الظاهر فسأل من جعله مظهرا بلسان الظاهر فيه.

فهذا سؤال عارض عرض له بعد أن لم يكن فعبر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم أي من كرم الله تعالى أن سأل نفسه بنفسه وأضاف ذلك إلى عبده .

فهو بمنزلة ما هو الأمر عليه بأنه يخلق في عباده طاعته ويثني عليهم بأنهم أطاعوا الله ورسوله وما بأيديهم من الطاعة شيء غير أنهم محل لها.

سأل إبليس الاجتماع بمحمد ﷺ فلما أذن له قيل له أصدقه وحفت به الملائكة وهو في مقام الصغار والذلة بين يدي محمد ﷺ فقال له: يا محمد إن الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية شيء وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء فصدقه فصدقه قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾(١) وقال ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾(٢) وقال ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾(٣) وقال ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾(٤) مع هذا عليهم فقال ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٥).

يا ليت شعري ومن خلق التوبة فيهم والعبادة والحمد، والسباحة، و الركوع، والسجود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحفظ لحدود الله إلا الله فمن كرمه أنه أثنى عليهم بخلق هذه الصفات والأفعال فيهم ومنهم.

ثم أثنى عليهم بأن أضاف ذلك كله إليهم إذ كانوا محلا لهذه الصفات المحمودة شرعا أليس هذا كله مفاتيح الكرم فإنه يفتح بها من العطايا الإلهية ما لا عين رأت ولا أذن شمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾(٦) يا ليت شعري ومن أقامهم من المضاجع حين نوم غيرهم إلا هو يدعون ربهم خوفا وطمعا يا ليت شعري ومن انطق ألسنتهم بالدعاء ومن

---

(١) سورة القصص، الآية : ٥٦ .
(٢) سورة الشمس، الآية : ٨.
(٣) سورة النساء، الآية : ٧٨.
(٤) سورة هود، الآية : ٥٦.
(٥) سورة التوبة، الآية ١١٢.
(٦) سورة لسجدة، الآية : ١٦.

خوفهم وطمعهم الا هو. أترى ذلك من نفوسهم لا والله إلا من مفاتيح كرمه فتح بها عليهم ومما رزقناهم ينفقون فما رزقهم التجافي عن المضاجع وعن دار الغرور، ومما رزقهم الدعاء والابتهال، ومما رزقهم الخوف منه والطمع فيه.

فأنفقوا ذلك كله عليه فقبله منهم فلا تعلم نفس عالمة ما أخفى لهم أي لهؤلاء الذين هم بهذه المثابة من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فكانت هذه الأعمال عين مفاتيح الكرم لشاهده ما أخفى لهم فيهم وفي هذه الأعمال من قرة أعين فكل ما هو في خزائن الكرم فإن مفاتيحه تتضمنه فهو فيها مجمل وهو في الخزائن مفصل .

فإذا فتح بالأعمال تميزت الرتب وعرفت النسب وجاءت كل حقيقة تطلب حقها وكل علم يطلب معلومة .

السؤال الحادي والثمانون: على من توزع عطايا ربنا ؟

الجواب: على من حسن السيرة من الولاة وكل شخص والي بالولاية العامة وهي تولية القلب على القوى المعنوية والحسية في نفسه والولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من أهل وولد. ومملوك وملك فتوزع العطايا على قدر الولاية وقدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم.

فإن كان الوالي من العلماء بالله الذين يكون الحق سمعهم وبصرهم فليس له حظ في هذه العطايا فإنها عطايا غني لفقراء وإنما يعطي من هذه صفته عطاء غني لغني ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتي.

فأخذ هذا المعطي له من الاسم الله لا من الاسم الرب فما أعظم الغفلة على قلوب العباد هيهات متى تبلغ البشر درجة من لا يوصف بالغفلة وهم الملأ الأعلى الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون في غير ليل ولا نهار يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وكفى بالبشرية نقصا.

وأعلم: أن العطايا تختلف باختلاف المستحقين.

فمنهم من يكون عطاؤه هو ومنهم من يكون عطائه معرفته بنفسه.

ومنهم من يكون عطاؤه ما هو منه .

فإن كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي فلا يلزمه إلا شكر إيجاد العين حيث كان مظهرا له جل وتعالى وإن كان يقول بالاستحقاق العرضى وهو يري أنه تعالى جعل له استحقاقا فهذا يتضاعف عليه الشكر. فإنه دون الأول في المرتبة وإن كان المستحق يرى الاستحقاق للظاهر في مظهر ما من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر ولا يرى أن عينه تستحق شيئا.

فهذا لا يجب عليه شكر إلا أن أوجبه على نفسه كإيجاب الحق على نفسه في مثل قوله﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١] فتتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم في العلم والعمل والحال والزمان والمكان والقصد وملازمة العمل ومغبته.

قد علم كل اناس مشربهم قال فرعون لموسى وهارون﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾[٢] وهو الذي يستحقه فالرب هو القاسم العطايا.

السؤال الثاني والثمانون: كم أجزاء النبوة.

الجواب: أجزاء النبوة على قد رأي الكتب المنزلة والصحف والأخبار الإلهية من العدد الموضوع في العالم من آدم إلى آخر نبي يموت مما وصل إلينا ومما لم يصل على أن القرآن يجمع ذلك كله.

فإن النبي ﷺ يقول: (فيمن حفظ القرآن النبوة أدرجت بين جنبيه) فهي وإن كانت مجموعة في القرآن فهي مفصلة معينة في أي الكتب المنزلة مفسرة في الصحف متميزة في الأخبار الإلهية الخارجة عن قبيل الصحف والكتب.

ويجمع النبوة كلها أم الكتاب ومفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق وإن كان التشريع قد انقطع فالتشريع أجزاء النبوة

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢ .

(٢) سورة طه، الآية ٤٩، ٥٠ .

فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾(١) ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾(٢) وقد أخبر الله أنه ما من شيء يريد إيجاده إلا يقول له كن فهذه كلمات الله لا تنقطع وهي الغذاء العام لجميع الموجودات .

فهذا جزء واحد من أجزاء النبوة لا ينفذ فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها.

السؤال الثالث والثمانون: ما النبوة؟

الجواب: النبوة منزلة يعينها رفيع الدرجات ذو العرش، ينزلها العبد بأخلاق صالحة، وأعمال مشكورة حسنة في العامة تعرفها القلوب ولا تنكرها النفوس وتدل عليها العقول وتوافق الأغراض. وتنزيل الأمراض فإذا وصلوا إلى هذه المنزلة فتلك منزلة الأنبياء الإلهي المطلق لكل من حصل في تلك المنزلة من رفيع الدرجات ذي العرش.

فإن نظر الحق من هذا الواصل إلى تلك المنزلة نظر استنابه وخلافة ألقى الروح بالأنباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المعتني به فتلك نبوة التشريع قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(٣) وقال ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾(٤) فهي عامة لأن من نكرة ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾(٥) نبوة خاصة نبوة تشريع يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده مثل ذلك ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾(٦) ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾(٧) نبوة تشريع لا نبوة

---

(١) سورة الكهف، الآية : ١٠٩ .
(٢) سورة لقمان، الآية : ٢٧ .
(٣) سورة الشورى، الآية : ٥٢.
(٤) سورة النحل، الآية ٢.
(٥) سورة النحل، الآية ٢.
(٦) سورة غافر، الآية ١٥.
(٧) سورة غافر، الآية ١٦.

عموم ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[1] فالإنذار مقرون أبدا بنبوة التشريع ولهذه النبوة هي تلك الأجزاء التي سأل عنها والتي وردت في الأخبار.

وأما النبوة العامة فأجزاؤها لا تنحصر، ولا يضبطها عدد فإنها غير مؤقتة لها الاستمرار دائما دنيا وآخرة وهذه مسئلة أغفلها أهل طريقنا فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك أو لم يوفقهم الله عليها أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا والله أعلم بما هو الأمر عليه.

ولقد حدثني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمة الله عن الشيخ بشير من ساداتنا بباب الأزج عن أمام العصر عبد القادر أنه قال: معاشر الأنبياء« أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا »فأما ما قوله:«أوتيتم اللقب» أي حجر علينا إطلاق لفظ النبي، وإن كانت النبوة العامة سارية في أكابر الرجال.

وأما قوله «وأوتينا ما لم تؤتوا»هو معنى قول الخضر الذي شهد الله تعالى بعدالته وتقدمه في العلم، ولتعب الكليم المصطفى المقرب موسى عليه السلام في طلبه مع العلم بأن العلماء يرون أن موسى أفضل من الخضر. فقال له «يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت فهذا عين» معنى قوله «أوتينا ما لم تؤتوا» وإن أراد ﷺ بالأنبياء هنا أنبياء الأولياء، أهل النبوة العامة فيكون قد صرح بهذا القول إن الله قد أعطاه ما لم يعطهم فإن الله قد جعلهم فاضلا ومفضولا فمثل هذا لا ينكر .

السؤال الرابع والثمانون: كم أجزاء الصديقية؟

الجواب: بضع وسبعون جزءا على عدد شعب الإيمان الذي يجب على الصديق التصديق بها وليست الصديقية إلا للاتباع والأنبياء أصحاب الشرائع صديقون بخلاف أنبياء الأولياء الذين كانوا في الفترات وإنما كانت الأنبياء أصحاب الشرائع صديقين.

---

(١) سورة الشعراء، الآية ١٩٣، ١٩٤.

لأن أهل هذا المقام لا يأخذون التشريع إلا عن الروح الذي ينزل بها على قلوبهم وهو تنزيل خبري لا تنزيل علمي فلا يتلقونه إلا بصفة الإيمان ولا يكشونه إلا بنوره فهم صديقون للأرواح التي تنزل عليهم بذلك وكذلك كل من يتلقى عن الله ما يتلقاه من كون الحق في ذلك الإلقاء مخبرا فإنما يتلقاه من جانب الإيمان ونوره لا من التجلي فإن التجلي ما يعطي الإيمان بما يعطيه.

وإنما يعطي ذلك بنور العقل لا من حيث هو مؤمن فأجزاء الصديقية على ما ذكرناه لا تنحصر فإنه ما يعلم ما يعطي الله في إخباراته لمن أخبرهم فأجزاء الصديقية المحصورة هو ما وردت به الأخبار الإلهية بأن اعتقاد ذلك قربة إلى الله على التعيين وهي متعلقة بالاسم الصادق لابد من ذلك فيتصور هنا مكان أصول طريق الله ولنه ماثم إلا صادق فإنه ماثم مخبر إلا الله.

فينبغي أن لا يكذب بشيء من الأخبار قلنا الصديق من لا يكذب بشيء من الأخبار إذ تلقى ذلك من الصادق ولكن الصديق إن كان من العلم بالله بحيث أن يعلم أنه ماثم مخبر إلا الله فيلزمه التصديق بكل خبر على حسب ما أخبر به المخبر فإذا أخبر الصادق الحق بأن قوما كذبوا في أمر أخبروا به صدق الله في خبره أنهم كذبوا في كل ما أخبر به لنهم كذبوا فيه وإن الكذب هي صفة بالنسبة إليهم لا بالنسبة إلى الخبر إذا نسبته إلى الصادق كان صدقا وإذا نسبته إلى الكاذب فيه كان كذبا وإذا نسبته إلى الكاذب لا فيه كان محتملا.

والذي يرى أن المخبر هو الله الصادق فإن ذلك الخبر في ذلك الحال هو صدق والمؤمن به صديق ثم أخبر الصادق الحق أن ذلك الخبر الذي نسبته إلى بأنه صدق أنسبه إلى الذي ظهر على لسانه نسبة ككذب فاعتقد أنه كذب فيعتقد فيه أنه بالنسبة إلى ذلك الشخص لكونه محلا لظهور عين هذا الخبر كذب.

لأن مدلوله العدم لا الوجود فالصدق أمر وجودي والكذب أمر عدمي وصورة الصدق في الكذب أن المخبر الكاذب ما أخبر إلا بأمر وجودي صحيح العين في تخيله إذ لو لم بتخيله لحصول المعنى عنده لما صح أن يخبر عنه بما أخبر فهو

صادق في خبره ذلك والمؤمن به صديق ثم أخبر الحق عن ذلك الخبر أنه بالنسبة إلى الحس كذب وما تعرض إلى الخيال كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك إلى الحس.

وإنما السامع ليس له في أول سماعة الخيار إلا أول مرتبة وهي الحس ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوى فاعتقد بعد هذا بأخبار الحق عنه أن ذلك كذب في الحس إنه كذب في الحس أي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهر.

فهو صديق للخبر الحق فما للوجود كذب ولا في العدم صدق. فإن الصدق أصله الصادق وهو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم إليه والكذب هو العدم المحض الذي لا نسبة للوجود إليه.

وأما الكذب النسبي بالنظر إلى الخيال يكون صدقا وبالنظر إلى الظاهر على شرط مخصوص يكون كذبا.

فالصديق يتعلق به من حيث نسبته إلى ما هو موجود به والعامة تتعلق به من حيث أنه لا وجود له في المرتبة التي يطلبها فيه من يكذبه فاعلم ذلك.

فإن شئت قلت بعد هذا إن للصديقية أجزاء منحصرة وأن شئت قلت لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها وإن أردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصديق فهذا سؤال آخر يمكن أن يسأل عنه.

فالجواب عن مثل هذا الوجه أن من أجزائها سلامة العقل والفكر الصحيح والخيال الصحيح والإيمان بصدق المخبر وأن إحالة العقل الذي ليس بسليم عند أهل هذه الصفة والقول باستحالات الإمكان في الأعيان الممكنات بالنظر إلى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو إلى سبق العلم منه عند من يقول بذلك.

فإذا كان بهذه المثابة حصلت له الصديقية ويكون هذا المجموع أجزاءها لأنها ليست بزائدة على عين المجموع وهذا هو النور الأخضر .

السؤال الخامس والثمانون: ما الصديقية؟

الجواب: نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم.

وذلك أن اسم الله المؤمن الذي يسمى الله لنا به في كتابه من حيث هو نور أعني الكتاب فقال عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾(١) إلا أن المؤمن هنا له وجهان معطى الأمان ومصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم عنده ولهذا قال تعالى حكاية عما يقوله الصادق يوم القيامة لربه: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم ﴾(٢) بالحق ليثبت صدقي عند من أرسلتني إليهم فيما أرسلتني به فجاء بلفظ يدل على أنه وقع وهو عند العامة ما وقع فإنه يوم القيامة وما أخبر الله إلا بالواقع.

فلا بد أن يكون ثم حضرة إلهية فيها وقوع الأشياء دائما لا تتقيد بالماضي فيقال قد وقعت ولا بالمستقبل فيقال تقع ولكن متعلقها الحال الدائم وبين القلوب وبين هذه الحضرة حجاب التقييد.

فإذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد وظهر بصورة حق في حضرة مطلقة شهد ما يقال فيه يقع واقعا وشهد ما يقال فيه واقعا فلم يزل واقعا ولا يزال واقعا فعنه تقع الحكايات الإلهية بأنه يقع مثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ ﴾(٣) فعلق بالمستقبل وقوله عز وجل ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾(٤) فأتى بالماضي وكلا التقييدين يدل على العدم والحال له الوجود والعدم لا يقع فيه شهود ولا تمييز فلابد أن يكون المخبر عنه بأنه كان كذا أو يكون كذا له حالة وجودية في حضرة إلهية عنها تقع الإخباريات.

والواقف فيها يسمى صديقا وهي بنفسها الصديقية ولها اطلاع من خلف

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ١١٢.
(٣) سورة النحل، الآية ١١١.
(٤) سورة النحل، الآية ١.

حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص والهيكل المنور في حق شخص فإن وجدت عينا مفتوحة سليمة من الصدع أبصرت هذه العين بهذا النور من هذه الحضرة صدق المخبرين كانوا من كانوا فيسمون صديقين بذلك وتسمى هذه الحالة صديقية وللملأ الأعلى منها شرب، وللرسل فيها شرب ، وللأنبياء فيها شرب وللأولياء فيها شرب، وللمؤمنين فيها شرب ولغير المؤمنين من جميع أهل النحل والملل شرب.

فيسعد بها قوم لشروط تتعلق بها ولوازم بها يقال مؤمن وكافر ومشرك وموحد ومعطل ومثبت ومقر وجاحد وصادق وكاذب فقد عمت الصديقية جميع إلهيا كل المنورة والمظلمة والنورية والنارية والطبيعية العنصرية ولا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال وهم العارفون بسريانها في الموجودات.

فإذا نظرت أرباب هذه إلهيا كل لنفسها مجردة عن هيا كلها خرجت عن حضرة الصديقية وكانت من أهل المعاينة فصارت ترى من بعدما كانت كأنها ترى فالحق سبحانه من كونه مؤمنا له حضرة الصديقية فيها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[1] فصدقهم في كونهم ما عبدوا سواه في إلهيا كل المسماة شركاء قال تعالى:﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾[2] وقال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾[3] وبهذا يصدق العباد في الأخبار كلها من غير توقف فلها حكم في الطرفين.

فإن في هذا الذي قلناه: آية لقوم يعقلون ما فيه يتفكرون، ولا لقوم يعلمون على الإطلاق إلا إن أراد بيعلمون يعقلون فالصديقية مستندها من الأسماء الإلهية المؤمن.

وكذلك أثرها في المخلوقات الإيمان وكذلك أسماؤهم المؤمنون الصديقون لهم النور لصدقهم إذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر من خلف حجاب هذا الهيكل فطوبى لهم ثم طوبى وحسن مآب .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٣.

(٣) سورة النجم: الآية ٢٣.

السؤال السادس والثمانون: على كم سهم ثبتت العبودية ؟

الجواب: على تسعة وتسعين سهما على عدد الأسماء الإلهية التي من أحصاها دخل الجنة لكل اسم إلهي عبودية تخصه بها يتعبد له من يتعبد من المخلوقين ولهذا لا يعلم هذه الأسماء الإلهية الأولى ثابت الولاية. فإن رسول الله ﷺ ما ثبت عندنا أنه عينها وقد يحصيها بعض الناس. ولا يعلم أنها هي التي ورد فيها النص كما يكون وليا.

ولا يعلم أنه ولي ومن رجال الله من عرفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل اسم منها من عبودية هذا العبد فيعين له هذا الولي العارف من العبودية بحسب الاسم الذي له الحكم عليه في وقته فمن أحصى هذه الأسماء الإلهية دخل الجنة المعنوية والحسية.

فأما المعنوية فبماذا تطلبه هذه الأسماء من العلم بالعبودية التي تليق بها وأما الحسية فبماذا تطلبه هذه الأسماء من الأعمال التي تطلبه من العباد فلا بد من تمييزها وكيف يعرف اسم العبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه فبهذا النظر يكون للعبودية سهام ويكون عددها ما ذكرناه والعاملون بهذه العبودية رجلان: رجل يعمل بها من حيث شرعه ومن عمل بها من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله.

ورجل عمل بها من حيث عقله ومن عمل بها من حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه فالعامل بها من حيث عقله ينسبها إلى هياكل منورة أو عقول مجردة عن المواد لابد من ذلك.

والعامل بها من حيث شرعه ينسبها إلى الله سبحانه وينسبها من حيث آثارها وما تنظر إليه لوضع الوسائط بينك وبينها إلى إلهيا كل النورية والعقول المجردة عن المواد.

وأما العامة فلا يعرفونها إلا لله خاصة أو للأسباب القريبة المعتادة المحسوسة خاصة لا يعلمون غير هذا وما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه على قدم العبودة المحضة فالملأ الأعلى يقول:﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾(١) والمصطفون من البشر يقولون: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾(٢) ويقولون:﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(٣) ويقولون: «ان تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم» وهذا كله لغلب الغيرة عليهم واستعجال لكون الإنسان خلق عجولا فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت فأنحجب عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها.

وكل ما كان يقدح في مقام ما ويرمي به ذلك المقام فإن صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه وإن كان من الكمل فنور العبودية على السواء من نور الربوبية فإنه من أثره وعلى قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية وإن كان مثل هذا القدح لا يقدح ولا يؤثر في السعادة الطبيعية ولكن يؤثر في السعادة العلمية .

وأعم الدرجات في ذلك درجتان: درجة العجلة التي خلق الإنسان عليها، ودرجة الغفلة التي جبل الإنسان عليها ولولا أن الملأ الأعلى له جزء في الطبيعة ومدخل من حيث هيكله النوري ما وصفهم الحق بالخصام في قوله:﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ ﴾(٤)إذ يختصمون ولا يختصم الملأ إلا من حيث المظهر الطبيعي الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة دحية وكذلك ظهورهم في الهيا كل النورية المادية وهي هذه الأنوار التي تدركها الحواس فإنها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية.

وأما إذا تجردت عن هذه الهيا كل فلا خصام ولا نزاع. إذ لا تركيب ومهما

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣.
(٣) سورة نوح: الآية ٢٦.
(٤) سورة ص: الآية ٦٩.

فلت اثنان كان وقوع الخصام ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1] فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقض ولا الزيادة .

فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها فإن كانت عين الموحد بها فهي نفسها وإن لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب فما هو مقصودنا ولا مطلب الرجال ولهذا اختلفت أحكام الأسماء الإلهية من حيث هي أسماء فأين المنتقم والشديد العقاب والقاهر من الرحيم والغافر واللطيف فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه والرحيم يطلب رفع الانتقام عنه وكل ينظر في الشيء بحسب حكم حقيقته.

فلا بد من المنازعة لظهور السلطان فمن نظر إلى الأسماء الإلهية قال بالنزاع الإلهي ولهذا قال تعالى لنبيه:﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2] فأمره بالجدال الذي تطلبه الأسماء الإلهية وهو قوله التي هي أحسن .

كما ورد في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا جادل بالإحسان جادل كأنه يرى ربه، ولا يرى ربه مجادلا إلا إذا رآه من حيث ما تطلبه الأسماء الإلهية من التضاد فاعلم ذلك.

وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير فليس بيني وبينه الاحجاب الغفلة وهو حجاب لا يرفع وأما حجاب العجلة فأرجو بحمد الله انه قد ارتفع عني وأما حجاب الغفلة فمن المحال رفعه دائما مع وجود التركيب حيث كان في المعاني أو في الأجسام ولو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية لكنه ممكن الحصول بالنظر إلى نفسه ولكن لا أدري هل تقتضي الذات تحصله وظهوره في الوجود أم لا .

غير اني أعلم انه وقع ومع هذا فلا اقطع بيأس من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك وينبغي للناصح نفسه أن يقارب هذا المقام جهد الاستطاعة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.
(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

وأما القائلون بالتشبه بالحضرة الإلهية جهد الطاقة وهو التخلق بالأسماء أنه عين المطلوب والكمال فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول.

وأما في عين الحصول فلا تشبه بل هو عين الحق والشيء لا يشبه نفسه فأعلى المظاهر مظاهر الجمع وهو عين التفريق .

السؤال السابع والثمانون: ما يقتضي الحق من الموحدين؟

الجواب: أن لا مزاحمة. وذلك أن الله لما تسمى بالظاهر والباطن نفى المزاحمة إذ الظاهر لا يزاحم الباطن والباطن لا يزاحم الظاهر وإنما المزاحمة أن يكون ظاهران أو باطنان فهو الظاهر من حيث الظاهر وهو الباطن من حيث الهوية.

فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها فالأحدية من ظهورها والعدد من أعيانها فيقتضى الحق من الموحدين الذين وصفوا بصفة التوحيد أن يوحده ومن حيث هويته وإن تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر فلا يرون شيئا إلا كان هو الرائي ولا يطلبون شيئا إلا كان هو الطالب والطلب والمطلوب.

ولا يسمعون شيئا إلا كان هو السامع والمسموع فلا تزاحم فلا منازعة فإن النزاع لا يحمله إلا التضاد وهو المماثل والمنافر وهو عين المماثل هنا إذ قد يكون الضدان ماليس بمثلين بخلاف المخالف فإن حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة ولا منازعة ولهذا نفى الحق أن تضرب له الأمثال لأنها أضدادتنا في حقيقة ما ينبغي له ولا ينافيه ما سمى به حيث نفى التشبيه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) خلق الله التفاحة تحمل اللون، والطعم، والرائحة. ولا مزاحمة في الجوهر الذي ينقسم ويستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم فلا يصح إلهان لأنهما مثلان.

ويصح وجود جميع الأسماء للعين الواحدة لأنها خلاف والخلاف قابل

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

للاجتماع بخلاف المماثل فإذا استحال الاجتماع فلحكم الضدية لا لحكم الخلاف إذ الاجتماع لا يناقض الخلاف فكل اجتماع يطلب الخلاف وما كل خلاف يطلب الاجتماع وإنما يقتضي الحق من الموحدين عدم المزاحمة ليبقى الرب ربا والعبد عبدا فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته ولا يزاحم العبد الرب في ربوبيته مع وجود عين الرب والعبد.

فالموحد لا يتخلق بالأسماء الإلهية فإن قلت فيلزم أن لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات من معية ونزول واستواء وضحك فهذه أوصاف العباد.

وقد قلت: أن لا مزاحه فهذه ربوبية زاحمت عبودية قلنا ليس الأمر كما زعمت ليس ما ذكرت من أوصاف العبودية وإنما ذلك من أوصاف الربوبية من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها فالعبد عبد على أصله والربوبية ربوبية على أصلها، والهوية هوية على أصلها.

فإن قلت فالربوبية ما هي عين الهوية قلنا الربوبية نسبة هوية إلى عين والهوية لنفسها لا تقتضي نسبة وإنما ثبوت الأعيان طلبت النسب من هذه الهوية فهو المعبر عنها بالربوبية فاقتضى الحق من الموحدين أن يوحدوا كل أمر لترتفع المزاحمة فيزول النزاع فيصح الدوام للعالم فيتعين عند ذلك.

ما معنى الأزل بمعقولية الأبد وهو قولك لا يزال فلولا النقطة المفروضة في الخط التي تشبه الآن ما فرق بين الأزل والأبد كما لا نفرق بين الماضي والمستقبل بانعدام الآن من الزمان إلا أن النقطة هي الربوبية ففرقت بين الهوية والأعيان وهو المسمى المظاهر إلا أن النقطة أنت فتميز هو وأنا بأنت.

فإذا علمت هنا فأنت موحد فاعط الحق ما يقتضيه منك إذا اقتضاه فإن قال لك أليس قد تبين لك في المرتبة الأخرى أنه ماثم إلا الله وبينت في ذلك ما بينت فلماذا نزعت هنا هذا المنزع.

قلنا لأنك سميت نفسك مقتضيا منا من كوننا موحدين أمرا ما لا يقتضى

أنت ما يعطيك نحن ما أعطيناك إنما أعطينا للمقتضي فلا تكلمنا بغير لغتنا إذ أنت القائل:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾(١) يكون المقتضى في هذا الفصل مشهودنا ويخاطبنا اسم آخر ليس مشهودنا هذا خطاب ابتلاء وتمحيص .

السؤال الثامن والثمانون: عن الحق المقتضى ما الحق؟

الجواب: سمى الحق حقا لاقتضائه من عباده من حيث أعيانهم ومن حيث كونهم مظاهر ما يستحق إذ لا يطلب الحق إلا بالحق وهو العلم الحاصل بعد العين. وهو ما يجب على المقتضى منه ما يعطيه إذا طلبه منه﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾(٢) أي أوجبها فصارت حقا عليه. قال:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٣) فهو الحق لا غيره وهو المستحق والمحق وهو الذي تجب عليه الحقوق من حيث إيجابه لا من حيث ذاته.

فالأعيان لولا ما تستحق أن تكون مظاهر ما ظهر الحق فيها ولم يكن حكيما لما كان يلزم من الخلل في ذلك، ولو لم تكن الهوية تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية لظهور سلطان الربوبية ما ظهرت في هذه الأعيان.

لأن الشيء لا يظهر في نفسه لنفسه فلا بد من عين يظهر لها فيشهد نفسه في المظهر فيسمى مشهودا وشاهدا فإن الأعيان لا تستحق ولهذا قال:﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ ولم يقل أن الأعيان تستحق الرحمة فالأعيان ليس لها استحقاق إلا أن تكون مظاهر خاصة .

فقل للحق إن الحق ما هو	سواه فهو حق في الحقيقة
فلم لتظر بعيني غير عيني	فعين الحق أعيان الخليقة

الحق هويته الحق اسمه خلق هو المخلوق به. خلق كل شيء حقه أعطى كل شيء خلقه ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾(٤) ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٤.
(٣) سورة الروم: الآية ٤٧.
(٤) سورة لحجر: الآية ٨٥.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾[1] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾[3] الحق طلب الحقوق فبالحق يطلب الحق،﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾[4] فالحق الوجود، والضلال الحيرة في النسبة.

فالحق المنزل، والحق التنزيل، والحق المنزل، والحق من الله من حيث هو ربنا ومن صرف عن الحق إلى لين ينذهب فأين تذهبون أن هو إلا ذكر للعالمين أصحاب العلامات والدلائل.

فالحق المسئول عنه في هذا السؤال هو المقتضى الذي يقتضي من الموحدين لما ذكرناه فسمى حقا لوجوب وجوده لنفسه فاقتضاؤه إنما اقتضى من نفسه فإنه إنما اقتضاه من المظاهر في مظهره، وهو يته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية.

فما اقتضى إلا منه وما كان المقتضى إلا هو والذي اقتضى هو حق وهو عين الحق فإن أعطى فهو الآخذ. فهو المعطي فمن عرفه عرف الحق .

السؤال التاسع والثمانون: وماذا بدؤه؟

الجواب: الضمير يعود على الحق وبدؤه من الاسم الأول الذي تسمى الحق به قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[5] فسمى لنا نفسه أولا فبدؤه أولية الحق وهي نسبة لأن مرجع الموجودات في وجودها إلى الحق فلا بد أن تكون نسبة الأولية فبدؤه نسبة الأولية له ونسبة الأولية له لا تكون إلا في المظاهر.

فظهوره في العقل الأول الذي هو القلم الأعلى وهو أول ما خلق الله فهو الأول من حيث ذلك المظهر. لأنه أول الموجودات عنه فالذات الأزلية لا توصف بالأولية

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٠٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ١١٩.
(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.
(٤) سورة يونس، الآية ٣٢.
(٥) سورة الحديد، الآية ٣.

وإنما يوصف بها الله تعالى. قال الله تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ فهو المسبح ما في السموات والأرض من حيث أعيانهم وهو العزيز المنيع الحمي من هويته الحكيم بمن ينبغي أن يسبح له.

الضمير يعود على الله من لله ملك السموات والأرض ولهذا يسبحه أهلها لأنهم مقهورين محصورين في قبضة السموات والأرض، ويحي ويميت يحيى العين ويميت الوصف فالعين لها الدوام من حيث حييت والصفات تتوالى عليها فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ويأتي بأخرى وهو الضمير يعود على الله على كل شيء قدير أي شيئية الأعيان الثابتة.

يقول إنها تحت الاقتدار الإلهي هو الأول الضمير يعود على الله من لله والأول خبر الضمير الذي هو المبتدأ وهو في موضع الصفة لله ومسمى الله إنما هو من حيث المرتبة وأول مظهر ظهر القلم الإلهي وهو العقل الأول والعين ما كانت مظهرا إلا بظهور الحق فيها فهي أول والكلام في الظاهر في المظهر لأن به يميز.

فالأول هو الله، والعقل حجاب عليه ومجن تتوالى الصفات عليه ولما كانت الأعيان كلها من كونها مظاهر نسبتها إلى الألوهية نسبة واحدة من حيث ما هي مظاهر تسمى بالآخر فهو الآخر أخرية الأجناس لا أخرية الأشخاص وهو الأول بأولية الأجناس وأولية الأشخاص. لأنه ما أوجد إلا عينا واحدة وهو القلم أو العقل كيفما شئت سميته.

ولما كان العالم له الظهور والبطون من حيث ما هو مظاهر كان هو سبحانه الظاهر لنسبة ما ظهر منه والباطن لنسبة ما بطن منه. وهو بكل شيء عليم الأعيان وشيئية الأعيان وشيئية الوجود من حيث أجناسه وأنواعه وأشخاصه فقد تبين أن بدأه عين وجود العقل الأول.

قال النبي ﷺ : (أول ما خلق الله العقل) وهو الحق الذي خلق به السموات والأرض. وقد مشى معناها هذا في سؤاله في العدل في السؤال الثامن والعشرين من هذه السؤالات.

السؤال التسعون: أي شيء فعله في الخلق ؟

الجواب: إن كان قوله في الخلق من كونهم مقدرين فالإيجاد وهو حال الفعل وإن كان قوله في الخلق من كونهم موجودين فحال الفناء وذلك أن الله تعالى قال للإنسان: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾(١) نبه على اصله فأنعم عليه بشيئية الوجود وهو عين الظاهر فيه.

وإنما خاطب الإنسان وحده لأنه المعتبر الذي وجد من أجله وإلا فكل ممكن بهذه المنزلة هذا الذي تعطيه ونشأته لكونه مخلوقا على الصورة الإلهية وأنه مجموع حقائق العالم كله فإذا خاطبه فقد خاطب العالم كله وخاطب أسماءه كلها.

وأما الوجه الأخر الذي ينبغي أيضا أن يقال وهو دون هذا في كونه مقصودا بالخطاب وذلك لأنه ما ادعى أحد الألوهية سواه من جميع المخلوقات، وأعصى الخلائق إبليس وغاية جهله أنه رأى نفسه خيرا من آدم لكونه من نار لاعتقاده أنه أفضل العناصر وغاية معصيته أنه أمر بالسجود لآدم فتكبر في نفسه عن السجود لآدم، لما ذكرناه وأبى فعصى الله في أمره فسماه الله كافرا فإنه جمع بين المعصية والجهل.

والإنسان ادعى أنه الرب الأعلى فلهذا خص بالخطاب في قوله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾(٢) فلذا قلنا الفناء أي أحاله على هذه الصفة أن يكون مستحضرا لها وأما الفعل الخاص بكل خلق فهو إعطاؤه ما يستحقه كل خلق مما يقتضيه الحكمة الإلهية وهو قوله:﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾(٣) أي بين أنه تعالى أعطى كل شيء خلقه حتى لا يقول شيء من الأشياء قد نقضي كذا فإن ذلك النقص الذي توهمه هو عرض عرض له لجهله بنفسه وعدم إيمانه إن كان وصل إليه قوله:﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾(٤).

---

(١) سورة مريم، الآية ٦٧.
(٢) سورة مريم، الآية ٦٧.
(٣) سورة طه، الآية ٥٠.
(٤) سورة طه، الآية ٥٠.

فإن المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لأنه مخلوق لغيره لا لنفسه فالذي خلقه إنما خلقه له لا لنفسه فما أعطاه إلا ما يصلح أن يكون له تعالى والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلهذا يقول أريد وينقضي كذا فلو علم أنه مخلوق لربه لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وهذه المسألة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة أكابرهم بها وهي مما يحتاج إليها في المعرفة المبتدأ والمنتهى والمتوسط فإنها أصل الأدب الإلهي الذي طلبه الحق من عباده وما علم ذلك إلا القائلون:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[1] وأما الذين قالوا:﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[2] فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق ولو لم يكن الأمر كما وقع لتعطل من الحضرة الإلهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم.

قال رسول الله ﷺ: (لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم) فنبه أن كل أمر يقع في العالم إنما هو لإظهار حكم اسم إلهي وإذا كان هكذا الأمر. فلم يبق في الإمكان أبدع من هذا العالم ولا اكمل فما بقي في الإمكان إلا أمثاله إلى ما لا نهاية.

له فاعلم ذلك فهذا فعله في الخلق وأما الجواب العام في هذه المسألة أن يقال فعله في الخلق ما هو الخلق عليه في جميع أحواله.

السؤال الحادي والتسعون: وبماذا وكل يعني الحق ؟

الجواب: وكل بتمشية أوامر الله وإنفاذ كلماته لا غير فهو مخصوص بالشرائع الإلهية سنها من سنها كما قال تعالى﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾[3] فنمهم لما لم يرعوها فقال:﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[4].

---

(١) سورة غافر، الآية ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٣) سورة الحديد، الآية ٢٧.
(٤) سورة الحديد، الآية ٢٧.

وقال ﷺ: (مـن سن سـنة حسـنة فله أجرها واجـر مـن عمـل بـها)فالخير يطلب الثواب بذاتـه والشـرع مبين للنـاس توقيت ذلـك الثـواب كقولـه:﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾(١) وقال الله لداود﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾(٢) لمن تقدمك أو نيابة عنـا بالاسـم الظـاهر الـذي لنـا فقد خلعنـاه عليك لتنظـر بـه في خلقي فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى.

فعرفنا أن الحق سبحانه قد وكل الحق بتمشية دينه فقال لخلفائـه احكمـوا بما يقتضيه أمر هذا الوكيل، ولا تتبعوا الهوى وهو إرادة النفوس التي يخالفها حكم الحق الموكل بتمشية الكلمات الإلهيـة المشروعة وكـل مخاطب راع ومسئول عـن رعيتـه فكأنـة العـدل صفـة هـذا الحـق الـذي وكلـه الله أن يصرفـها في المخلوقـات بمساعدة الخلفاء والله المرشد.

السؤال الثاني والتسعون: وما ثمرته يعني فيمن حكم به من الخلفاء؟

الجواب: الوقوف دائما مع العبودة هذه ثمرته ولكن جوائح الربوبية تمنـع من ظهور هذه الثمرة ولا سيما في البشر ولكن له ثمرة أخرى دون هذه الثمرة وهـو أن يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه .

ثم إن له في كل شخص من الثمر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه وأمـا ثمرته الـتي يعمل عليها ولها أكثر العقلاء مـن أهل الله فتـهيؤ مرادتـهم بمجـرد الهمم.

فمنهم من ينال ذلك في الدنيا.

ومنهم من يدخر له ذلك إلى يوم القيامة فإن أكابر الرجال مع معرفتهم بمـا خلقوا له لو وقفوا مع التكوين قوبلوا ولكنهم تـركوا الحق يتصـرف في خلقـه كمـا هو في نفس الأمر وأبوا أن يكونوا محلا لظهور التصريف وإن ظهر عليـهم مـن ذلـك شيء فما هو عن قصد منهم لذلك.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.
(٢) سورة ص، الآية ٢٦.

ولكن الله أجراه وأظهره عليهم لحكمة علمها الحق هؤلاء عن ذلك بمعزل وإما أن يقصدوا ذلك فلا يتصور منهم إلا أن يكونوا ن مأمورين كالرسل عليهم السلام فذلك إلى الله وهم لا يعصون الله ما أمرهم فإنهم معصومون من إضافة الأفعال إليهم إذا ظهرت منهم فيقولون هي للظاهر من أسمائه في مظاهره فما لنا وللدعوى فنحن لا شيء في حال كوننا مظاهر له.

وفي غير هذا الحال وهذا المقام يسمى راحة الأبد والقائم فيه يستريح وهذا هو الذي وفي الربوبية حقها لأن الحكم للمرتبة لا للعين.

الا ترى أن السلطان تمشى أوامره في مملكته فلا يعصى ويخاف ويرجى وما هو لكونه إنسانا فإن الإنسانية عينه وإنما هو لكونه سلطانا وهي المرتبة فالعاقل من الناس يرى أن المتحكم في المملكة إنما هي المرتبة لا عينه إذ لو كان ذلك لكونه انسانا فلا فرق بينه وبين كل إنسان وهكذا كل المظاهر.

فرجال الله ينظرون أنفسهم من حيث أعيانهم لا من حيث كونهم مظاهر فكانت المرتبة الحاكمة لا هم، وهذه هي ثمرة الحق التي جنودها حين حكموا به وفازوا بالعبودية عبادة الفرائض وعبادة النوافل.

السؤال الثالث والتسعون: وما المحق؟

الجواب: معطي الحق وهو الموصوف بالحكم العدل وذلك اني أنبهك على تحقيق هذا الأمر فاعلم. أن المحق إذا كان هو معطي الحق فليس إلا الله.

ومقصود الطائفة من المحق أن يكون الصادق الدعوى في طلب الحق الذي يستحقه وهي مسألة صعبة فإن الله أعطى كل شيء خلقه وهو ما يستحقه فقد أعطى كل شيء استحقاقه فهذا الطالب ما يستحقه كيف يصح أن يكون ممنوعا عنه ما يستحقه مع قوله:﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾(١) فلنقل اعلم ان قوله أعطى كل شيء خلقه إنما هو مما يقوم ذات ذلك الشيء من الفصول المقومة لذاته.

وأما ما تطلبه تلك الفصول من اللوازم والأعراض فما أعطاه ذلك لأن

---

(١) سورة طه، الآية٥٠.

اعـراض كـل ذات لا يتنـاهى مـا دام موصوفـا بالبقـاء في الوجـود، ومـا لا يمكـن فيـه التناهي لا يصح أن يدخل في الوجود بل على التتالي والتتابع.

فالطالب المحق هو الذي لا يطلب مـالا تستحقه ذاتـه مـن لوازمـها وأعراضـها كمن ليس من حقيقته أن يقبل التفكر فيطلب أن يتصف بـالفكر فمـا هو محق في طلبه فإذا طلبه الإنسان إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات فلـه أن يطلـب الاشتغال بـالتفكر في خلـق السموات والأرض وجميـع الآيـات فـهو محـق في طلبـه صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لاستيلاء الغفلـة عليـه فـهذا هـو المحق الـذي لا يعارض طلب حقه الذي يستحق بذاته طلبه.

قولـه: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾[١] فقـد تبـين لـك كيـف ينبغـي لـك أن تسـأل وماذا تسأل فيه ومن أوصاف المحق أن لا يسأل إلا من بيده قضاء ذلك الحق المسئول فإن لم يفعل فقد شكى إلى غير مشتكي.

كان شيخنا أبو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه:

اللهم إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ولم تسد باب الولاية .

اللـهم مـهما عينـت أعلـى رتبـة في الولايـة لا علـى ولي عنـدك فـاجعلني ذلـك الوالي.

فهذا من المحقين الذين طلبوا مـا يمكـن أن يكـون حقـا لهـم وإن كـانت النبـوة والرسالة مما يستحقه الإنسان عقلا لكون ذاته قابلة لها لكن لما علم أن الله قـد سد بابها شرعا وسد باب نبوة الشرائع لم يسئلها وسـأل مـا يستحقه فـإن الله مـا حجـر الولاية عليها.

ومـن هـذا البـاب سؤال الوسيلة وإن لم يكـن مثلها لكن يقـرب منـها وإنمـا ألحقناها بها في التشبيه لقرينـة حال وهـي درجـة في الجنـة لا ينالهـا أولا تنبغـي إلا لرجل واحد قال ﷺ: (وأرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة).

---

(١) سورة طه، الآية٥٠.

فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه لما سأل ما لا يستحقه لأنه ربما لا ينالها الأشخاص هو على صفة مخصوصة والله يقول لنا:﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[1] إلا أنه لم يقل منه فقد يمكن أن يكون هذه من التوسل وتلك الصفة إما موهوبة أو مكتسبة ولم يعينها رسول الله ﷺ ولا حجرها على واحد بعينه ولم يقل إنها لا تنبغي إلا لمن هو أفضل عند الله من البشر.

ونحن نعلم أنه أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه فكان يكون ذلك تحجيرا ولم ينص أيضا في وحدانية ذلك الشخص هل هو واحد لعينه أو واحد تلك الصفة فتكون الأحدية لتلك الصفة ولو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة لأن تلك الصفة تطلبها .

فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا ولكن يمنعنا من ذلك الإيثار وحسن الأدب مع الله في حق رسول الله ﷺ الذي اهتدينا بهديه.

وقد طلبنا أن نسأل الله له الوسيلة فتعين علينا أدبا، وإيثارا، ومروءة ومكارم خلق، أن لو كانت لنا لوهبناها له إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء لعلو منصبه وما عرفناه من منزلته عند الله.

ونرجوا بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة مثل قيمة المثل عندنا في الحكم المشروع في الدنيا وذلك أن بيننا وبينه ﷺ أخوة الإيمان وإن كان هو السيد الذي لا يقاوم ، ولا يكاثر ولكن قد انتظم معنا في سلك الإيمان فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] .

وثبت في الشرع أن الإنسان إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك بمثله ولك بمثله فإذا دعونا له بالوسيلة وهو غائب عنا قال الملك ولك بمثله فهي له والمثل للداعي فينال من درجات مجموعة ما يناله صاحب الوسيلة مثل قيمة

---

(١) سورة المائدة، الآية٣٥.
(٢) سورة الحجرات، الآية١٠.

المثل لأن الوسيلة لا مثل لها أي مـاثم درجة واحـدة تجمع مـا جمعت الوسـيلة وإن كانت ما جمعت الوسيلة متفرقا في درجات متعددة ولكن للوسيلة خاصية الجمع .

السؤال الرابع والتسعون: فأين محل من يكون محقا؟

الجواب: في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فإن الحقوق ما يطلبها المحق إلا وهو في المقعد الصدق، ولأنه صادق ولا تطلب الحقوق إلا عنـد مـن يعلـم أنـه قـادر على إيصالها، وملك ماضي الكلمـة في ملكه فلهذا قلنـا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فاجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل. والمتقي في جنـات ونـهر وإن كـان المحق كذلك ولكن لما كان الفرق بين المتقي وبين هذا معلوما لم تكن الجنـات كالجنات، ووقع الاشتراك في كونه محقا مع المتقي فالمتقي ما نـال المقعد الصدق إلا من كونه محقا عند مليك مقتدر. حضرة بقاء العين والاقتدار والتأييد.

ولهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي ينزلونها من حضرات الأسماء محلهم الاسم الصادق والحق والناصر، وما في معنى هذه الأسماء فأي اسم من هؤلاء الأسماء نظر إليه كان محله.

وأما في الذاتيات فمحله الواجبات.

وأما في الألوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب.

وأما في العبودية فمحلها الفرائض.

وأما في الأحوال فالتأثير .

وأما في المقامات فالصدق.

وأما في الجنان فارتفاع الحجب.

وأما في الدنيا فالفعل بالهمة.

وأما في المعارف فأن يكون مع الحق من حيث أمره ومع عالمه من حيث عدله

ووفائه فيعين كل طالب حق فمقامه لا يتزلزل ولا ينخرم فإن له في كل حضرة مقعدا ومجلسا فحيث حل فهو بيته .

فلا يفطر أن كان صائما، ولا يقصر الصلاة فإنه مقيم غير مسافر لأن السفر فيه لا يجوز فيه القصر، ولا الفطر فهو كمثل عائشة قالت لا اقصر فإني أم المؤمنين فحيث ما حللت عند نبي فأنا في بيتي.

والسفر إليه بخلاف ذلك فإنه يقصر ويفطر فهوة فطر الصائمين .

السؤال الخامس والتسعون: ما سكينة الأولياء ؟

الجواب: إذا اتبع الولي الأسباب وقطعها سببا سببا وولى مملكة جابر قينا وجابر سينا وجمع له بين المشرقين والمشارق والمغربين والمغارب واطلع على المشرق والمغرب ووفي المقامات حقها وأعطى الأنبياء حقهم وأنبياء الشرائع حقهم وأنصف الملأ الأعلى وأحال الأسماء الإلهية على الأسماء الإلهية ولم يتوجه لمخلوق عليه حق فإنه غير وارث ولا رسول ولا إمام، ولا صاحب منصب. يخاف عليه فيه عدله أو جوره ويرجى فيه فضله وجهل قدره ولم يعرف حقه وتمنى الرسل في مواطن ما أن تكون مثله.

وجمع هذا كله فتلك سكينة الأولياء التي يسكنون إليها فهم العرائس المصانون رجال أي رجال يسكنون إليها ولا تحصل لهم دائما لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق فهي تشبه المشاهد الذاتية في كونها لا بقاء لها .

فإن المواطن تحكم عليهم وطبيعتهم تطلبهم فإن اتفق أن تحصل لأحد وقتا ما قصيرا أو طويلا .

فإن الدوام محال فيكون الولي في تلك الحال ناظرا لمن يطلب طبيعته فيكون كالمتفرج ويري الظاهر فيه المسئول ذلك إما يعطيها ما سألته وإما يمنعها وهو مهيمن على ذلك من حيث عينه.

إلا أن هذه هي العبودية المحضة التي لا يتخللها شوب من الربوبية .

السؤال السادس والتسعون: ما حظ المؤمنين من قوله: الظاهر والباطن والأول والآخر؟

الجواب: كل مصدق بأمر لم يعلمه إلا من الذي أخبره به فقد بطن عنه ما صدقه فيه، وظهر له ما صدقه فيه. عند إخباره وحظه من الأول أن لا يتوقف في تصديقه عند سماعه الخبر منه، وحظه من الآخر أن لا يتردد فيما صدقه فيه أن قدح فيه نظرة عند التفكير فيما أخبره به المخبر.

وذلك أن الإيمان نور شعشعاني ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد فإذا خالط هذا النور بشاشة القلوب كان حكمه ما ذكرناه من الظاهر والباطن والأول والآخر والمؤمنون فيه على قسمين:

مؤمن عن نظر واستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بإيمانه ولا يخالط نوره بشاشة القلوب فإن صاحبه لا ينظر إليه إلا من خلف حجاب. دليله وما من دليل لأصحاب النظر إلا وهو معرض للدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلا يمكن لصاحب البرهان أن يخالط الإيمان بشاشة قلبه وهذا الحجاب بينه وبينه.

والمؤمن الآخر الذي كان برهانه عين حصول الإيمان في قلبه لا أمر آخر وهذا هو الإيمان الذي يخالط بشاشة القلوب فلا يتصور في صاحبه شك. لأن الشك لا يجد محلا يعمره فإن محله الدليل ولا دليل فما ثم على ما يرد الدخل ولا الشك بل هو في مزيد.

ثم إن المؤمن على نوعين:

مؤمن له عين فيه نور بذلك العين إذ اجتمع بنور الإيمان أدرك المغيبات التي متعلقها الإيمان.

ومؤمن نور سوي نور الإيمان فنظر إليه به ونظر إلى غيره به.

فالأول يمكن أن يقوم بعينه أمر يزيل عنه النور الذي إذ اجتمع بنور الإيمان أدرك الأمور التي ألزمه الإيمان القول بها وهو المؤمن الذي لا دليل له

وينظر الأشياء بذاته فيدخله الشك ممن يشككه فإن فطرته تعطي النظر في الأدلة إلا أنه لم ينظر فإذا نبه تنبه فمثل هذا أن لم يسرع إليه الذوق وإلا خيف عليه.

المؤمن الأخر هو بمنزلة الجسد الذي قد تسوت بنيته واستوت آلات قواه وتركبت طبقات عينه غير أنه ما نفخ فيه لروح فلا نور لعينه فإذا كان الإنسان بهذه المثابة من الطمس فنفخ فيه روح الإيمان فأبصرت عينه بنور الإيمان الأشياء فلا يتمكن له إدخال الشكوك عليه جملة ورأسا .

فإنه ما لعينه نور سوى نور الإيمان والضد لا يقبل الضد فما له نور في عينه يقبل به الشك والقدح فيما يراه وهكذا هي الأذواق وهذه فائدتها ومتى لم يكن الإيمان بهذه المثابة والفطرة وبهذه المثابة وإلا فقليل أن يجيء منه ما جاء من الأنبياء والأولياء من الصدق بالألهيات.

فالفطرة الذاكية التي تقبل النظر في المعقولات من أكبر الموانع لحصول ما ينبغي أن يحصل من العلم الإلهي والفطرة المطموسة هي القابلة التي لا نور لعينها من ذاتها إلا من نور الإيمان فلا تعطي فطرته النظر في الأمور على اختلافها.

ومما يعضد ما قلناه حديث إبار النحل، وحديث نزوله بأصحابه يوم بدر. وقوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم لن اتبع إلا ما يوحى إلى أي مالي علم ولا نظر بغير ما يوحى إلى.

وهذا باب لا يعرفه إلا أهل الله ومنزلة الأنبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الإيمان من الملائكة منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الأنبياء فالأنبياء مؤمنون بما يلقي إليهم الروح والروح مؤمن بما يلقى إليه من يلقى إليه.

فحظ المؤمن كان من كان من الظاهر ما ألقى إليه وحظه من الباطن ما استتر به وحظه من الأول على الخواطر الإلهية وحظه من الآخر إلحاق بقية الخواطر الإلهية وهو تتميم قوله ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة، الآية٢٩.

لسؤال السابع والتسعون: ما حظ المؤمنين من قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[١]

الجواب: المؤمن هو الذي ذكرناه الذي لا نور لعين بصيرته إلا نور الإيمان فكل شيء عنده هالك عن شيئيته شيئية. ثبوته وشيئية وجوده إلا وجهه وجه الشيء ذاته وحقيقته ووجهه مظهره أي ظهوره في الأعيان.

فأما شيئية ذاته فهي المستثناه لابد من ذلك.

وأما وجهه في المظهر فبعض أصحابنا يدخلها في كل شيء هالك، وبعض أصحابنا لا يدخلها هنالك فأما من أدخلها في الهلاك فاعتبر مظهرا خاصا وأما من لم يدخلها في الهلاك فاعتبر أنها لا تخلو عن مظهر ما.

وأما نحن فلا نثبت إطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق لأنها ما وردت ولا خوطبنا بها والأدب أولى أن يكون هنا وجهه مثل إطلاق الأول يريد المظهر لا هويته والمظهر له مناسبة بينه وبين الوجه الظاهر فيه فلذلك صح لاستثناء قال تعالى﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ ﴾[٢].

فسماه شيئا في حال هلاكه فكل شي موصوف بالهلاك لأن هالك خبر المبتدأ الذي هو كل شيء أي كل ما ينطلق عليه اسم شيء فهو هالك وإن كان مظهرا فهو في حال كونه مظهرا في شيئية عينه وهي هالكة فهو هالك في حال اتصافه بالوجود كما هو هالك في حال اتصافه بالهلاك الذي هو العدم.

فإن العدم للممكن ذاتي أي من حقيقة ذاته أن يكون معدوما والأشياء إذا اقتضت أمور لذواتها فمن المحال زوالها فمن المحال زوال حكم لعدم عن هذه لعين الممكنة سواء اتصفت بالوجود أو لم تتصف.

فإن المتصف بالوجود ما هو عين الممكن وإنما هو الظاهر في عين الممكن الذي سمى به الممكن مظهرا لوجود الحق فكل شيء هالك فلهذا نفينا عن الحق إطلاق لفظ الشيء عليه ويكون الاستثناء استثناء منقطعا مثل قوله: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) سورة القصص: الآية٨٨.
(٢) سورة النحل: الآية٤٠.

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[1] الا ترى لما استحق الحق الوجود لذاته استحال عليه العدم كذلك إذا استحق الممكن العدم لذاته استحال وجوده فلهذا جعلناه مظهر قلنا: في كتاب المعرفة أن الممكن ما استحق العدم لذاته كما يقوله بعض الناس وإنما الذي استحقه الممكن تقدم إتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته لا العدم ولهذا قبل الوجود بالترجيح أذن فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده وإنما هو العدم الذي له في مقابلة وجوده في حال وجوده.

إن لو لم يكن الوجود لكان العدم فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن هذا هو الذي يقتضيه النظر لعقلي.

وأما منهبنا فالعين الممكنة إنما هي ممكنة لأن تكون مظهرا إلا لأن تقبل الاتصاف بالوجود فيكون الوجود عينها أذن فليس الوجود في الممكن عين الموجود بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجودا مجازا لا حقيقة.

لأن الحقيقة تأبى أن يكون الممكن موجودا فلا يزال كل شيء لك كما لم يزل لم يتغير عليه نعت ولا تغير على الوجود نعت فالوجود وجود والعدم عدم والموصوف بأنه موجود موجود والموصوف بأنه معدوم معدوم هذا هو نفس أهل التحقيق من أهل الكشف والوجود .

ثم يندرج في هذه المسألة الوجه الذي له الإمام وهو الوجه المقيد وبه تميز عن الخلف فإذا كان الشخص يرى من خلفه مثل يرى من أمامه كان وجها كله بلا قفا فلا يهلك من هذه صفته لأنه يرى من كل جهة فلا يهلك لأن العين تحفظه بنظرها فمن أي جهة جاءه من يريد إهلاكه لم يجد سبيلا إليه لكشفه إياه كما يتقي صاحب الوجه المقيد من يأتيه من أمامه .

---

(١) سورة الحجر، الآية ٣٠.

السؤال الثامن والتسعون: كيف خص ذكر الوجه؟

الجواب: لأن السبحات له فهي مهلكة والمهلك لا يكون هالكا، فاعلم أن الحقائق لا تتصف بالهلاك، ووجه الشيء حقيقته، وإنما يتصف بالهلاك الأمور العوارض للحقائق من نسبة بعضها إلى بعض.

فهي أعني الأمور والعوارض حقيقتها أن تكون عوارض فلا يهلك وجهها عن كونها عوارض، فاتصاف من عرضت له نسبة ما ثم بها زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى فإزالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكا ويسمى ذلك المحل المنسوب إليه ذلك العارض بزواله هالكا، وما ثم إلا حقائق فما ثم إلا وجوه غير هالكة وما ثم إلا نسب فما ثم إلا هالك.

فانظر كيف شئت وانطق بحسب ما تنظر فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك إذ كان الحقيقة لا تهلك.

السؤال التاسع والتسعون: ما مبتدأ الحمد؟

الجواب: مبتدأه الابتداء وهو المعنى القائم في نفس الحامد. فلابد أن يكون مقيدا من طريق المعنى أنه ابتداء حادث فلابد له من سبب والسبب عين التقييد ومن طريق التلفظ بالحمد فمبتدأه الإطلاق ثم بعد ذلك إن شئت قيدته بصفة فعل إلهي وإن شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه وما ثم أكثر من هذا.

وإن أراد السائل بالحمد هنا العبد فإنه عين الثناء على الحق بوجود عينه فمبتدؤه الحق الذي أوجده لما أوجده.

وإن أراد بالحمد حمد الحمد فمبتدؤه الوهب والمنة.

وإن أراد بمبتدأ الحمد حمد الحق الحمد أوجد الحق نفسه أو حمد الحق مخلوقاته فالثناء على الثناء بأنه ثناء ثناء عليه فمبتدؤه العلم بأنه ثناء.

وإن أراد به حمد الحق نفسه فمبتدؤه الهوية فهو غيب لا يظهر أبدا.

وإن أراد به حمد الحق خلقه فمبتدؤه إضافة الخلق إليه تعالى لا إلى غيره.

وإن أراد بالحمد الفاتحة التي هي السورة فمبتدؤها الباء إن نظرت الحق من حيث دلالة الخلق عليه فيكون بسم الله الرحمن الرحيم آية من سورة الفاتحة.

وإن كان ينظرها من حيث الحق مجردا عن تعلق العالم به للدلالة فمبتدؤها الألف من الحمد لله فلم تتصل بأمر ولا ينبغي لها أن تتصل ولم يتصل بها فإنها تتعالى في الفاتحة أن يتصل بها فإنه ما اتصل بها في المعنى إلا أسماؤها وأسماؤها عينها فلم يتصل بها سواها.

فإن أراد بالحمد عواقب الثناء فمبدؤه من حيث هو عواقب رجوع أسمائه إليه. فإنه لا أثر لها إلا في الظاهر في المظاهر، وعلى الظاهر يقع الثناء وليس الظاهر في المظاهر غيره فلا مثني ولا مثني ولا مثني عليه إلا هو.

والتبس على الناس ما يتعلق بالمظهر من الثناء فلهذا قالوا ما مبتدؤه الحمد، والظاهر من سؤال هذا السائل أنه أراد الفاتحة لأنه قال في السؤال الذي يليه ما معنى آمين؟

وهي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة فهو ثناء بدعاء، وكل ثناء بدعاء فهو مشوب.

ولهذا قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فأمين المشروعة لما فيها من السؤال وهو قوله: اهدنا ومن طلب شيئا من أحد فلابد أن يفتقر إليه بحال طلبه فمبتدؤه الحمد على هذا هو الافتقار. ولهذا سأل في الإجابة ثم أنه ما أوجب له الافتقار إليه إلا أثر غناه تعالى بما افتقر إليه فيه فمبتدؤه الحمد غني الحق عن العالمين، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٥.

فقدم الفقر على الغنى في اللفظ وغنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق إليه لا بل هما سؤالان تقدم أحدهما على الآخر.

فإن الغنى عن الخلق لله أزلا والفقر للممكن في حال عدمه إلى الله ومن حيث غناه أزلا والموصوفان بالأزل نفيا وإثباتا لا يتقدم أحدهما على الآخر. لأن الأزل لا يصح فيه تقدم ولا تأخر فافهم.

السؤال الموفى مائة: ما قوله: آمين؟

الجواب: لما أراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع إلى الداعي لهذا قيل له: قل آمين وهي تقصر وتمد قال الشاعر في القصر:

تباعد مني فطحل وابن أمه   أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية، وقال الشاعر في المد:

يا رب لا تسلبني حبها أبدا   ويرحم الله عبدا قال آمينا

يعني في دعائه بالبعد بينه وبين من يقبل البينية.

وورد في الشرع الجهر بها والإخفاء لأن الأمر ظاهر وباطن فالباطن يطلب الإخفاء. والظاهر يطلب الجهر غير أن الظاهر أعم فإذا جهر بها فقد حصل حظ الباطن وإذا أسر بها لم يعلم الظاهر ما جرى.

والباطن خصوص والأسرار بها خاص لخاص والظاهر عموم فالجهر بها عام لعام وخاص «من ذكرني ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» وكل مذكور في ملأ فهو مذكور في النفس وما كل ما هو مذكور في النفس يكون مذكورا في الملأ، فقوله عليه السلام: «أو استأثرت به في علم غيبك» هي أسماء لا يعلمها إلا هو فعلم السر أتم وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو.

فالمفاتيح العلم بها خاص له والغيب قد يظهر على غيبه من يرتضيه من رسله إلا من ارتضى من رسول فالسر بها أتم مقاما من الجهر بها والجهر بها أعم منفعة من السر بها.

آمين معناه: فأجب دعاءنا لا بل معناه قصدنا إجابتك فيما دعوناك فيه يقال أم فلان جانب فلان إذا قصده ولا آمين البيت الحرام أي قاصدين وخفف أمين للسرعة المطلوبة في الإجابة والخفة تقتضي الإسراع في الأشياء.

فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقد غفر له ولم يقل فقد أجيب لأنه لو أجيب لما غفر له لأن المهدي ماله ما يغفر أي فمن أمن مثل تأمين الملائكة هذا معنى الموافقة لا الموافقة الزمانية.

وقد تكون الموافقة الزمانية فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين والملائكة لا يخلو قولها في آمين هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين فإنه قالتها متجسدة فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة لأن التجسد يحكم عليها بالإتيان بلفظة آمين أي بترتيب هذه الحروف وإن قالتها غير متجسدة فلم تبق الموافقة إلا أن يقولها العبد بالحال التي يقوله الملك.

والحال هنا على أقسام: الحال الواحدة أن يقولها بربه فإن الملك يقولها كذلك أو يقولها بحالة التي تقتضيه ذاته، فالإنسان إذا قالها كذلك قالها من حيث روحانيته إلا من حيث حسه أو يقولها بحكم النيابة، فالملك قد يقولها كذلك أو يقولها وهو هو، فالملك قد يقولها كذلك وقول الإنسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها فينبغي للإنسان أن يقولها بكل حال يقولها الملك من هذه الأقسام التي ذكرناها.

فإذا قالها غفر له ولابد أن يستره الله عن كل أمر يضاد الهداية بما تنتج لابد من ذلك لأن نتيجة الهداية سعادة، وقد يكون في حياته الدنيا غير مهدي والعناية قد سبقت فيجني ثمرة الهداية فلهذا لم يقل أجيب وقال غفر، فهذا معنى قوله آمين.

وكل داع بحسب ما دعا فإن الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه فقد أجابه بما فيه سعادته إذ هي المطلوب الأعم في كل دعاء داع.

السؤال الحادي ومائة: ما السجود؟

الجواب: السجود من كل ساجد مشاهدة أصله الذي غاب عنه حين كان فرعا عنه فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته قيل له اطلب ما غاب عنك. وهو أصلك الذي عنه صدرت فسجد الجسم إلى التربة التي هي أصله، وسجد الروح إلى الروح الكل الذي عنه صدر، وسجد السر لربه الذي به نال المرتبة.

والأصول كلها غيب ألا تراها قد ظهرت في شجر أصولها غيب فإن التكوين غيب لا يشاهده أحد الجنين يتكون في بطن أمه فهو غيب، حيوان آخر يتكون في البيض فإذا كمل تشقق عنه الحق أصل وجود الأشياء وهو غيب لها السجود تحية الملوك لما كان السوقة دون الملك فالملك له العلو والعظمة.

فإذا دخل عليه من دونه سجد أي منزلتنا منك منزلة أسفل من العلو فإنهم نظروا إليه من حيث مكانته ومرتبته لا من حيث نشأته فإنهم على السواء في النشأة سجدت الملائكة لمرتبة العلم فكان سجودها لا علم لنا وهو الجهل، سجدت الظلال لمشاهدتها من خرجت عنه وهي الأشخاص يتستر ظل الشخص عن النور بأصله الذي انبعث عنه لئلا يفنيه النور.

فلم يكن له بقاء إلا بوجود الأصل، فلا بقاء للعالم إلا بالله السلطان ظل الله في أرضه، العرض ظل الله يوم القيامة العرش عين الملك يقال: ثل عرض الملك إذا اختل ملكه عليه: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] أي على ملكه.

سجود القلب إذا سجد لا يرفع ابدا. لأن سجوده للأسماء الإلهية للذات فإنها هي التي جعلته قلبا فهي تقلبه من حال إلى حال دنيا وآخرة فلهذا سمته قلبا فإذا تجلى له الحق مقلبا فيرى أنه في قبضة مقلبه وهو الأسماء الإلهية التي لا ينفك مخلوق عنها فهي المتحكمة في الخلائق.

فمن مشاهد لها وهو الذي سجد قلبه ومن غير مشاهد لها فلا يسجد قلبه وهو المدعي الذي يقول لنا وعلي من هذه صفته يتوجه الحساب والسؤال يوم

---

(١) سورة طه، الآية ٥.

القيامة والعقاب إن عوقب ومن سجد قلبه فلا دعوى له فلا حساب ولا سؤال ولا عقاب فلا حالة أشرف من حالة السجود لأنها حالة الوصول إلى علم الأصول.

فلا صفة أشرف من صلة العلم فإنه معطي السعادة في الدارين والراحة في المنزلتين أصل الأعداد الواحد. فلا وجود لها إلا به وبه بقاؤها فمن لا علم له بأحدية خالقه كثرت آلهته وغاب عن معرفته بنفسه فجهل ربه.

فصار عبد الكل رب فهو محل لكل ذنب

والسجود يقتضي الديمومية ولهذا قال الشيخ أيضا لسهل بن عبد الله إلى الأبد لأن السجود والخضوع والإسجاد إدامة النظر وكل من تطأطأ فقد سجد وقلن له أسجد لليلي فأسجدا أي طأطأ البعير لها لتركبه والتطأطؤ لا يكون إلا عن رفعة، والرفعة في حق كل ما سوى الله خروج عن أصله.

فقيل له اسجد أي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة واخضع من شموخك بأن تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك فإنك ما تعاليت حتى غاب عنك أصلك فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه.

ومن عرف أصله عرف عينه أي نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف نفسه لم يرفع رأسه، ومن عرف ربه رفع رأسه فإنه مخلوق على صورة ربه ومن نعوت ربه الرفيع فلا يدوم فإن القبلة التي سجد لها لا تدوم والجهة التي سجد لها لا تدوم فرفع لرفع المسجود له وسجد القلب فلم يرفع لأنه سجد لربه فقبلته ربه وربه لا يزول ولا ترتفع عن الوجود ربوبيته.

فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبدا لأن قبلته لا ترتفع فهذا معنى السجود.

السؤال الثاني ومائة: ما بدؤه؟

الجواب: بدؤ السجود الذي أسجدك تنوع الحالات وتغيراتها عليك فنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك فطلبت فعلمت أنك معلول وكل معلول فلا قيام له بنفسه فإن المريض لا يمرض نفسه وما كل ما تقام فيه من تغير الأحوال يرضيك.

وإذا لم يرضك فقد أمرضك فلابد من ممرض ومن طلب المرض فقد افتقر فعلمت أنك فقير وإذا افتقرت فهو كسر فقار ظهرك لم يتمكن لك أن ترفع رأسك فأنت موصوف بالسجود دائما فهذا بدء السجود.

وإن أراد بقوله ما بدؤه يعني ما بدؤه فيك أي ما هو أول شيء يعطيك السجود من منحة فنقول القربة والقربة مؤذنة ببعد متقدم وكل ذلك يؤدي إلى الحد ولا حد فإنه البعيد القريب فاعلم أن الهوية المسماة بالبعيد القريب هي التي أعطتك السجود وبدأك بها منحة ولكن من كونها تسمى بالبعيد القريب.

فنقلتك من النعت البعيد إلى النعت القريب فنقلتك من البعد إلى القربة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[1]، ولم يقل غير ذلك من الأحوال فدل على أن أول شيء يمنحك السجود هو القربة ثم بعد ذلك تعطي من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة والنبيين.

فتلك عوارف التقريب، والتقريب منحة السجود والسجود منحة النظر في تغير الأحوال والنظر في تغير الأحوال حكم تغير الأحوال وتغير الأحوال كونك على الصورة كل يوم هو في شأن وكونك على الصورة كونك مظهرا للأسماء الإلهية.

وكونك مظهر للأسماء الإلهية أعطاك الرفعة ولا تصافك بالرفعة أمرت بالسجود فاعلم.

السؤال الثالث ومائة: ما قوله: العزة إزاري؟

الجواب: لما نعم الحق على عباده حين دعاهم إلى معرفته بالتنزل بضرب الأمثال لهم ليحصلوا بذلك القدر الذي أراد منهم أن يعلموا منه مثل قوله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ ﴾[2]، لقولــــــه: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] فجعل النور نفسه لأنه خبر المبتدأ أي صفته وهويته النور من حيث أنه الله النور

---

(١) سورة العلق، الآية ١٩.

(٢) سورة النور، الآية ٣٥.

(٣) سورة النور، الآية ٣٥.

وأين نور المصباح من قوله الله نور.

وكذلك الخبر أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان وأين كلام الحق تعالى من ضرب سلسلة على صفوان.

كذلك قوله: العزة إزاري فأنزل نفسه لعباده منزلة من يقبل الاتصاف بالإزار وإن مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الإزار وما يستره الإزار.

واعلم أن الإزار يتخذ لثلاثة أمور. الواحد للتجمل، والثاني: للوقاية، والثالث: للستر، والمقصود في هذا الخبر من الثلاثة الوقاية خاصة لأجل قوله: العزة، فإن العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول إليه.

لأن الإزار بقي موضع الغيرة أن تطلع إليه الأبصار ولما كانت العزة منيعة الحمى أن يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات أو مبدع من المبدعات لاستصحاب الذلة للمخلوقات والمبدعات وهي تناقض العزة.

فلما اتزر الحق بالعزة منع العقول أن تدرك قبول الأعيان للإيجاد الذي اتصفت به وتميزت لأعيانها فلا يعلم ما سوى الله صورة إيجاده ولا قبوله ولا كيف صار مظهرا للحق ولا كيف وصفه بالوجود فقيل فيه موجود.

وقد كان يقال فيه معدوم فقال الحق: العزة إزاري أي هي حجاب على ما من شأن النفوس أن تتشوف إلى تحصيله ولهذا قال من نازعني واحدا منهما قصمته.

فأخبر أنه ينازع في مثل هذه الصفات التي لا تنبغي إلا له مثل العزة والعظمة والكبرياء، والعزة والقهر الذي نجده عن أدرك السر الذي به ظهور العالم.

السؤال الرابع ومائة: ما قوله: العظمة ردائي؟

الجواب: إن الله قد نبه أن العظمة التي تلبسها العقول رداء يحجبها عن إدراك الحق عند التجلي فليست العظمة صفة للحق على التحقيق وإنما هي صفة للقلوب العارفة به فهي عليها كالرداء على لابسه وهي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الإدلال عليه وتورثها الإذلال بين يديه.

ومن الدليل على أن يوصف العظيم بالعظمة أنه راجع إلى العالم به لا إليه أن المعظم إذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة ولا تعظيما لجهله به.

والذي يعلم مكانته ومنزلته له على قلبه سلطان العلم به فيورثه ذلك العلم عظمة في قلبه فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم:

وقد ورد خبر ذكره أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة: أن جبريل أخذ رسول الله ﷺ فأسرى به في شجرة فيها كوكري طائر فقعد جبريل في الواحد وقعد رسول الله ﷺ في الآخر. فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف درا وياقوتا، فأما جبريل فغشى عليه.

وأما محمد ﷺ فبقى على حاله ما تغير عليه شيء فقال رسول الله ﷺ: فعلمت فضل جبريل علي في العلم لأنه علم ما رأى وأنا ما علمته فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل إنما كانت من علمه بما تدلى إليه فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة فهي حال الرائي للمرئي.

ولو كانت العظمة حالة للمرئي لعظمة كل من رآه والأمر ليس كذلك وقد ورد في الحديث الصحيح: «أن الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة وفيها منافقوها فيقول أنا ربكم فيستعيذون منه ولا يجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها أنه ربهم حينئذ يجدون عظمته في قلوبهم والهيبة».

فلهذا قلنا في قوله: العظمة ردائي. أي هي رداؤه الذي تلبسه عقول العلماء به وجعلها رداء ولم يجعلها ثوبا. فإن الرداء له كمية واحدة والثوب مؤلف من كميات مختلفة ضم بعضها إلى بعض كالقميص.

وكذلك أيضا الإزار مثل الرداء ولم يقل السراويل لأن ذلك أقرب إلى الأحدية من الثوب المؤلف لتنوع الشكل.

السؤال الخامس ومائة: ما الإزار؟

الجواب: حجاب الغيرة والستر على تأثير القدرة الإلهيـة في الحقيقـة الخامسة الكلية الظاهرة في القديم قديمة وفي المحدثات محدثة وهو ظهور الحقائق الإلهية والصور الربانية في الأعيان الثابتة الموصوفة بالإمكان التي هي مظهر الحق.

فلا يعلم نسبة هذا الظهور إلى هذا المظهر إلا الله سبحانه وتعالى، فالحجاب الذي حال بيننا وبين هذا العلم هو المعبر عنه بالإزار. وهي كلمة: كن ولا أريد به حرف الكاف والواو والنون وإنما أريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور.

السؤال السادس ومائة: ما الرداء؟

الجواب: العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق والإمكانية والإلهية وهو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد: ما في الإمكان أبدع من هذا العالم. لكمال وجود الحقائق كلها فيه وهو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة ونائبا.

وله الأثر الكامل في جميع الممكنات وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر.

واختلف العلماء هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدا أو لا يكون إلا شخص واحد فإن كان شخص واحد فمن هو ذلك الشخص ومن أي قسم هو من أقسام الموجودات هل من البشر؟ أو من الجن؟ أو من الملائكة؟ وإنما سماه رداء لأنه مشتق من الردى المقصور وهو الهلاك لأنه مستهلك في الحق استهلاكا كليا بحيث أن لا يظهر له وجود عين مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه.

فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئا من تلك الانفعالات إليه فيكون حقا كله وهو قوله ﷺ: «واجعلني نورا» أي يظهر في كل شيء ولا أظهر بشيء وقد يستهلك الحق فيه فلا ينسب بوجوده شيء إلى الحق وهو الوجه الذي اعتمد عليه من أثبت الحق المخلوق به كأبي الحكم بن برجان وسهل بن عبد الله التستري وغيرهما وإليه أشرنا بقولنا:

أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت ... بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء فانظر من هو المرتدي فاحكم عليه بأنه مستهلك فيه فتجد حقيقة ما ذكرناه فكل مرتد محجوب بردائه عن إدراك الأبصار، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1].

لأن الرداء يحجب الأبصار عنه ولا يحجبه عنها فهو يدركها ولا تدركه. فالأبصار تدرك الرداء والرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2].

السؤال السابع ومائة: ما الكبر؟

الجواب: ما ظهر عن دعاوى الخلق في حضرة الربوبية من أنا على طبقات القائلين بها الكبر حال من أحوال القلوب من حيث ما هي عالمة بمن ينبغي أن ينسب إليه الكبرياء.

فإن الحق معلوم عند كل موجود ويتبع العلم الكبرياء فمن كان أعلم به كان كبرياء الحق في قلبه أعظم ممن ليس في قلبه ما يوجب ذلك فلو كان الكبرياء صفة للذات لكانت الذات مركبة وإن كان عين الذات وتجلي سبحانه وسلب العلم به في تجليه لم يجد المتجلي له أثر كبر عنده لهذا المتجلي لجهله به.

فإن رزقه العلم به تبعه الكبر والعلم مما يوصف به العالم لا المعلوم كذلك الكبر يوصف به من يوصف بالعلم بمن يكون الكبرياء من أثره في قلب هذا الشخص ولهذا قدر ورد الكبرياء: ردائي. فهو حجاب بين العبد وبين الحق ويحجب العبد أن يعرف كنه المرتدى به وهو نفسه فأحرى أن يعرف ربه ومع هذا فلا يضاف الكبر إلا لغير لابسه فإنه حالة عجيبة.

وكذلك العظمة فإن الحق ما هي صفته لا ذاتية ولا معنوية فإنه يستحيل على ذاته قيام صفات المعاني بها ويستحيل أن تكون صفة نفسية من أجل ما ورد من إنكار الخلق له في تجليه مع كونه هو هو.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٦.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢.

وإذا بطل الوجهان فلم يبق إلا أن تكون صفة للمتجلي له وهو الكون أو حالة تعقل بين المتجلي والمتجلي له لا يتصف بها المتجلي له لأن العبودة تقابل الكبر وتضادها ومحال أن تقوم بنفسها بينهما فلم يبق إلا أن تكون من أوصاف العلم فتكون نسبة كبر وتعظيم وعزة تتصف بها نسبة علم بمعلوم محقق من حيث ما يؤدي إليه ذلك العلم من وجود هذه النسب ذوقا وشربا.

كما تقول في التشبيه وضرب المثل سواد مشق وعلم حسن فوصف السواد بالإشراق والعلم بالحسن وهو وصف من لا قيام له بنفسه بما لا قيام له بنفسه.

فلذلك جعلنا الكبرياء والعظمة حالة نابعة للعلم بالمعظم والمكبر في نفس من عظمه وكبره.

السؤال الثامن ومائة: ما تاج الملك؟

الجواب: تاج الملك علامة الملك، وتتويج الكتاب السلطاني خط السلطان فيه والوجود: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾[1] ويجهله من ليس بمقرب وتتويج هذا الكتاب إنما يكون بمن جمع الحقائق كلها وهي علامة موجده فالإنسان الكامل الذي يدل بذاته من أول البديهة على ربه هو تاج الملك وليس إلا الإنسان الكامل وهو قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[2].

فلم يظهر الكمال الإلهي إلا في المركب فإنه يتضمن البسيط ولا يتضمن البسيط المركب فالإنسان الكامل هو الأول بالقصد والآخر بالفعل والظاهر بالحرف والباطن بالمعنى وهو الجامع بين الطبع والعقل ففيه أكثف تركيب وألطف تركيب من حيث طبعه وفيه التجرد عن المواد والقوى الحاكمة على الأجساد.

وليس ذلك لغيره من المخلوقات سواه ولهذا خص بعلم الأسماء كلها وبجوامع الكلم ولم يعلمنا الله أن أحدا سواه أعطاه هذا إلا الإنسان الكامل وليس فوق الإنسان

---

(١) سورة المطففين، الآيتان ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

مرتبة إلا مرتبة الملك في المخلوقات.

وقد تلمذت الملائكة له حين علمهم الأسماء ولا يدل هذا على أنه خير من الملك ولكنه يدل على أنه أكمل نشأة من الملك فلما كان مجلى الأسماء الإلهية صح له أن يكون للكتاب مثل التاج لأنه أشرف زينة يتزين بها الكتاب وبذلك التتويج ظهرت آثار الأوامر في الملك كذلك بالإنسان الكامل ظهر الحكم الإلهي في العالم بالثواب والعقاب وبه قام النظام وانخرم وفيه قضى وقدم وحكم.

السؤال التاسع ومائة: ما الوقار؟

الجواب: حمل أعباء التجلي قبل حصوله والفناء فيه كسكرات الموت قبل حلوله وذلك أن للتجلي مقدمات كطلوع الفجر لطلوع الشمس وكما ورد في الخبر عن مقدمات تجلى الرب للجبل بما ينزل من الملائكة والقوى الروحانية في الضباب وهي أثقال التجلي التي تتقدمه من الوقر وهو الثقل.

وإذا حصل الثقل ضعف الإسراع والحركة فسمى ذلك السكون وقارا أي سكون عن ثقل عارض لا عن مزاج طبيعي فإن السكون الكائن عن الأمر الذي يورث الهيبة والعظمة في نفس الشخص يسمى وقارا وسكينة.

والسكون الطبيعي الذي يكون في الإنسان من مزاجه لغلبة البرد والرطوبة على الحرارة واليبس لا يسمى وقارا. إنما الوقار نتيجة التعظيم والعظمة ولا سيما أن تقدم التجلي خطاب إلهي فصاحبه أشد وقارا.

لأن خطاب الحق بوساطة الروح يورث هيبة ولا سيما إن كان قولا ثقيلا.

وقد كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كصلصلة الجرس يجد منه مشقة عظيمة ويورثه سكونا وغشيا مع الواسطة فكيف به إذا خاطبه الحق بارتفاع الوسائط مثل موسى عليه السلام ومن كلمه الله.

فإذا كان هذه وأمثاله من مقدمات التجلي الإلهي فكيف يكون حال الإنسان بعد حصول التجلي من الوقار.

ألا ترى إلى ما يحصل في قلوب الناس من هيبة الصالحين المنقطعين إلى الله الذين لم تجر العادة عند العامة برؤيتهم فإذا وقع نظرهم عليهم ظهر عليهم من الوقار والسكينة والخمود برؤيتهم ما لا يقدر قدره إلا الله وهو إجلال المتجلي، يقول بعضهم:

كأنما الطير من فوق أرؤسهم　　لا خوف ولا ظلم ولكن خوف إجلال

وقال آخر:

أشتاقه فإذا بدا　　أطرقت من إجلاله

لا خيفة بل هيبة　　وصيانة لجماله

فهذا الإطراق هو عين الوقار، وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[1].

وقال عليه السلام: «فلا تأتوها ولنتم تسمعون» يعني الجمعة وائتوها وعليكم السكينة والوقار أي امشوا مشي المثقلين وهذا لا يكون إلا إذا تجلي لهم في جلال الجمال.

السؤال العاشر والمائة: وما صفة مجالس الهيبة؟

الجواب: لما كانت الهيبة تورث الوقار سأل عن صفة مجلسه أي ما صفته في قعوده بين يديه فمن صفته عدم الالتفات واشتغال السر بالمشاهد وعصمة القلب من الخواطر والعقل من الأفكار والجوارح من الحركات وعدم التمييز بين الحسن والقبيح.

وأن تكون أذناه مصروفة إليه وعيناه مطرقتين إلى الأرض وعين بصيرته غير مطموسة وجمع الهم وتضاؤله في نفسه واجتماع أعضائه اجتماعا يسمع له أزيز وان لا يتأوه مع جمود العين عن الحركة وأن لا تعطيه المباسطة الإذلال.

فإن جالسه بتقييد جهة كما كلمه بتقييد جهة من حضرة مثالية كجانب

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة فليكن سمعه بحيث قيده فإن أطلق سمعه بحيث قيده فإن أطلق سمعه لأجل حقيقة أخرى تعطيه عدم التقييد وهو تعالى قد قيد نفسه به في جانب خاص فقد أساء الأدب وليس هو في مجلس هيبة ولا يكون صاحب مجلس الهيبة صاحب فناء لكنه صاحب حضورا واستحضارا.

لا يرجح ولا يجرح ولا يرفع ميزانا ولا يسمى إنسانا. فإن الإنسان مجموع أضداد ومختلفات.

السؤال الحادي عشر ومائة: ما صفة ملك الآلاء؟

الجواب: روحاني وذلك أن الملك لا يتصف به إلا الجماد خاصة وهو أشد الخلق طواعية لله سبحانه المعترف بأنه ملك لله سبحانه على أن جميع ما سوى الله ملك الله ولكن الفضل في الملك أن يعلم أنه ملك وأن يكون معاملته مع الله معاملة من هو ملك لله.

وليس ذلك إلا للمهيمين من الملائكة والجمادات وأما النبات فلم يتصف بذلك كل النبات فإنه منه لا يخرج الانكدار ولكن باقي الخلائق فيهم من قام بحق كونه ملكا ومنهم من لم يقم بذلك في كل صنف بهذا وصفهم الحق سبحانه فقال: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(١).

فالطائع في الإمكان أن يكون صاحب كره والكاره في الإمكان أن يكون طائعا فأعظم الآلاء وأتمها بل هي النعمة المطلقة أن يرزق الخلائق طاعة الله فإنهم لذلك خلقوا فملك الآلاء هو الذي ملكته النعمة لله وهو قوله عليه السلام: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وكل ما سوى الله متغذ».

فكل ما سوى الله منعم عليه فكل من تعبدته نعمة الله لله فهو ملك الآلاء، والآلاء من جملة الملك فيحتاج إلى نعمة.

وتلك النعمة عين وجودها وبقائها في المنعمين عليهم، فالنعم ملك الآلاء أيضا.

---

(١) سورة الرعد، الآية ١٥.

فإذا كان ملك الآلاء المنعم عليهم ردتهم النعمة إلى الله فكان ملكهم لله بتلك النعمة فهم ملك الآلاء، فملك الآلاء من كان بهذه الصفة وإذا كان ملك الآلاء عبارة عن عين الآلاء فصفة هذا العين أن لا تنسب إلا إلى الله فإن نسبت إلى غير الله فذلك من جهة المنعم عليه لا من جهة النعمة.

والمنعم عليه هو المذموم بقدر ما أضاف من الآلاء إلى غير الله لما تلا رسول الله ﷺ سورة الرحمن العامة لجميع ما خلق الله دنيا وآخرة، وعلوا وسفلا على الجن فما قال في آية منها: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1]، إلا قالت الجن ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب.

فمدحهم رسول الله ﷺ لأصحابه بحسن الاستماع حين تلاها عليهم ولم يقولوا شيئا من ذلك ولم يكن سكوتهم عن جهل بأن الآلاء من الله ولا أن الجن أعرف منهم بنسبة الآلاء إلى الله، ولكن الجن وفت بكمال المقام الظاهر حيث قالت: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب.

فإن الموطن يقتضيه ولم تقل ذلك الصحابة من الإنس حين تلاها عليهم شغلا منهم بتحصيل علم ما ليس عندهم مما يجيء به رسول الله ﷺ فشغلهم ذلك الحرص على تعمير الزمان الذي يقولون فيه ما قالت الجن أن يقول النبي ﷺ ما يقول من العلم فيستفيدون فهم أشد حرصا على اقتناء العلم من الجن، والجن به على الإنس.

وما مدح الإنس بما فضلوا به على الجن من الحرص على مزيد العلم بسكوتهم عند تلاوته ولا سيما والحق يقول لهم: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾[2].

والسورة واحدة في نفسها كالكلام غير التام فهم ينصتون حتى يتمها فجمع الصحابة من الإنس بين فضيلتين لم يذكرهما رسول الله ﷺ وذكر فضل الجن فيما

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

نطقوا به، فإن نطقهم تصريح بالعبودية بلسان الظاهر وهم بلسان الباطن أيضا عبيد فجمعوا بين اللسانين بهذا النطق، والجواب ولم يفعل الإنس من الصحابة ذلك عند التلاوة فنقصهم هذا اللسان.

فكان توبيخ رسول الله ﷺ إياهم تعليما بما تستحقه المواطن أعني مواطن الألسنة الناطقة ليتنبهوا فلا يفوتهم ذلك من الخير العلمي فإنهم كانوا في الخير العلمي في ذلك الوقت وحكم العمل في موطنه لا يقاومه العلم فإن الحكم للموطن وحكم العلم في موطنه لا يقاومه العمل والجن غرباء في الظاهر فهم يسارعون في الظهورية ليعلموا أنهم قد حصل لهم فيه قدم لكونهم مستورين.

فهم إلى الباطن أقرب منهم إلى الظاهر والتلاوة كانت بلسان الظاهر والإنس في مرتبة الظاهر فحجبهم عن الجواب الذي أجابت به الجن كونه أصحاب موطن الظاهر فذهلوا عن الجواب لقرينة حال موطنهم ولو وفوا به لكان أحسن في حقهم فنبههم رسول الله ﷺ على الأكمل في موطنه وهو المعلم فنعم المؤدب.

فمن أراد تحقيق ملك الآلاء فليتدبر سورة الرحمن من القرآن وينظر إلى تقديم الإنس على الجن في آيتها وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[1] أيضا فليبتدأ به تقديرا ومرتبة نطقية تهمما به على الجن، وإن كان الجن موجودا قبله يؤذن بأنه وإن تأخرت نشأته فهو المعتني به في غيب ربه لأنه المقصود من العالم لما خصه به من كمال الصورة في خلقه باليدين وعلمه الأسماء والإفصاح عما علمه بقوله: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[2].

وبعض أصحابنا يطلق ملك الآلاء على ما يحصل للعبد من مزيد الشكر على نعم الله فذلك القدر لمن حصل له يسمى ملك الآلاء فهو ملك الشاكرين فمن شكر نعم الله بلسان حق وناب الحق مناب العبد من اسمه الشكور وهو شكره لعباده على ما كان منهم من شكرهم على ما أنعم عليهم ليزيدوا في الأعمال في مقابلة شكره فيكون ما جازاهم به من ذلك على قدر علم الشاكر بالمشكور والله هو الشاكر في

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٣.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤.

هذا الحال وهو العالم بنفسه.

فالجزاء الذي يليق به الشاكر لو جوزي هو الذي يحصل لهؤلاء الشاكرين النين لهم هذا الحال فهذا الجزاء يسمى ملك الآلاء وهو أعظم الملك وهو قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (١) أي نعم ربها جمع آلاء وإلى ربها المضافة إليه هنا الذي يستحقها لو قيل الجزاء الذي هذه صفته فتكون تلك جزاء هؤلاء.

وهذا من باب ما طلبه الله من عباده فقال: اذكروني واعبدوني وأطيعوني واشكروا لي ولا تكفرون وهذا كله جزاء من العبد في مقابلة ما أنعم الله عليه به من الوجود خاصة فكيف إذا انضاف إلى ذلك ما خلق من أجله من النعم المعنوية والحسية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) فعلل فيعبدوه لكونه أنعم عليهم بالإيجاد لكمال مرتبة العلم والوجود من حيث من ذكر من الأجناس.

فاعلم ذلك لا لكمال مرتبة الوجود والمعرفة من غير هذا التقييد فإن ذلك يكفي فيه خلق محدث واحد وإيجاد العلم المحدث فيه المتعلق بالله والكون ولكن لما كانت الأجناس منحصرة عند الله وأوجدها كلها وبقي هذان الجنسان أوقع الأخبار عنهما بما ذكر فشرحناه بما يعطيه الحال المقصودة لخالقهما تعالى بهما، انتهى الجزء الثامن والثمانون.

السؤال الثاني عشر ومائة: ما صفات ملك الضياء؟

الجواب: قال تعالى في القرآن أنه ضياء وذكرى للمتقين فكلما أضاء بالقرآن فهو ملك الضياء، وكذلك جعل الشمس ضياء فكلما أضاء بالشمس في الدنيا ويوجد به عينه فهو من ملك الضياء وكل نور أعطى ضياء فهو من ملك الضياء مما لا يقابله معطى للضياء بنفسه أي نوع كان من الأنوار فضياؤه هو الضوء الذي لا يكون معه الحجاب عما يكشفه والنور حجاب.

---

(١) سورة القيامة، الآية ٢٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

قال رسول الله ﷺ في حق الحق تعالى حجابه النور، وقال نوراني أراه والضياء ليس بحجاب فالضياء أثر النور وهو الظل فإن النور صيره الحجاب ضياء فهو بالنسبة إلى الحجاب ظل وإلى النور ضياء فله الكشف من كونه ضياء وله الراحة من كونه ظلا فملك الضياء ملك الكشف فهو ملك العلم وملك الراحة فهو ملك الرحمة فجمع الضياء بين الرحمة والعلم، قال تعالى في منته على عبده خضر:﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾[(١)]، وهو الظل، ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[(٢)]، وهو الضياء أي الكشف الضيائي وهو أتم الكشوف.

وإنما قلنا للنور حجاب لقوله عليه الصلاة والسلام: «نوراني أراه» أي النور لا يتمكن أن تدركه الأبصار لأنها تضعف عنه فهو حجاب على نفسه بنفسه والضياء ليس كذلك فالضياء روح النور والضياء للنور ذاتي فملك الضياء ملك ذاتي وضوء الذات الأسماء الإلهية فملك الضياء ملك الأسماء.

والقرآن ضياء فملكه ما أظهره القرآن فعلم الخضر في زمان موسى عليه السلام جزء من أجزاء ما يحويه صاحب القرآن المحمدي من العلوم فبالقرآن يكشف جميع ما في الكتب المنزلة من العلوم وفيه ما ليس فيها فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل الذي يتضمن كل علم، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[(٣)]، وهو القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبه صح لمحمد ﷺ جوامع الكلم فعلوم الأنبياء والملائكة وكل لسان علم فإن القرآن يتضمنه ويوضحه لأهل القرآن بما هو ضياء فهو نور من حيث ذاته لأنه لا يدرك لعزته وهو ضياء لما يدرك به ولما يدرك منه فمن أعطي القرآن فقد أعطى العلم الكامل فما ثم في الخلق أتم من المحمديين.

وهم خير أمة أخرجت للناس ثم جعل الشمس ضياء لوجود روح الحياة في العالم كله وبالحياة رحم العالم فالحياة فلك الرحمة التي وسعت كل شيء وكذلك

---

(١) سورة الكهف، الآية ٦٥.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

نسبة الحياة إلى الذات الإلهية شرط في صحة كل نسبة نسبت إلى الله من علم وإرادة وقدرة وكلام وسمع وبصر وإدراك.

فلو رفعت نسبة الحياة إليه ارتفعت هذه النسب كلها فهي الرحمة الذاتية التي وسعت جميع الأسماء فهي ضياء النور الذاتي وظل الحجاب النسبي لأنه لا يعقل الإله إلا بهذه النسب وتعقل الذات نورا لا من حيث هذه النسب فكونه لها حجاب على الذات فكانت الألوهية عين الضياء فهي عين الكشف والعلم وكانت عين الظل النسبية فكانت عين الرحمة فجمعت الألوهية وبين العلم والرحمة في حق الكون وهو المألوه وفي حق الأسماء الإلهية.

فما أعطاه هذا المقام الإلهي فهو ملك الضياء وهو أرفع من ملك السموات والأرض وما بينهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يؤمنون.

وقد نبهتك على ما فيه غنية وشفاء في ملك الضياء:

فالكل في ملك الضياء ... وليس عندهم خبر
والكل في عين الظلال ... وهو المسمى بالقمر
فالحمد لله الذي ... قد حزته بين البشر
في عصرنا هذا فهل ... في وقتنا من مذكر
يعرف ما قد قلته ... كما أتانا في الزبر
هذا هو العلم الذي ... يقضي على علم الخضر
هل كان إلا خرقه ... سفينة ذات دسر
وقتل نفس رحمة ... لو أنه يحيا كفر
وسترة كنز الذي ... كان يتيما يحتقر
وعلمنا بالله لا ... بعين كون عن نظر
فأين ذا من ذاك يا ... أهل القلوب والبصر
هذا هو العلم الذي ... يقال سحر مستمر
ودونه الشمس التي ... تكسف فيه والقمر

في مقعـــد مـــن صدقـــه عنـــد مليـــك مقتـــدر
متكـــئ علـــى ســـرر وســـط جنـــان في نـــهر

السؤال الثالث عشر ومائة: ما صفات ملك القدس؟

الجواب: قالت الملائكة: ونقدس لك تعني ذواتها أي من أجلك لنكون من أهـل ملك القدس فالمتطهرون من البشر من أهل الله مـن ملـك القـدس وأهـل البيـت مـن ملك القدس والأرواح العلا كلها من غير تخصيص من ملك القدس فتختلف صفـات ملك القدس باختلاف ما تقبله ذواتهم من التقديس ولما نعت الله اسم الملك بالاسم القدوس والملك يطلب الملـك فيضـاف الملـك إلى القـدس كمـا يضـاف إلى الآلاء وغيرهـا وذوات ملك القدس على نوعين في التقديس فمنهم ذوات مقدسة لذاتـها وهـي كـل ذات كونيـة لم تلتفت قط إلى غير الاسم الإلهي الـذي عنـه تكونـت فلـم يطـرأ عليـها حجاب يحجبها عن إلهها فتتصف لذلك الحجـاب بأنـها غـير مقدسـة أي لا تضـاف إلى القدس فتخرج عن ملـك القـدس وهـم الـذي يسـبحون الليـل والنـهار لا يفـترون أي ينـزهون ذواتهم عن التقديس العرضي بالشهود الدائم.

وهذا مقام ما ناله أحد من البشر إلا من استصحب حقيقته من حين خلفـت شهود الاسم الإلهي الذي عنه تكونـت وبقـى عليـها هـذا الشـهود حـين أوجـد الله لها مركبها الطبيعي الذي هو الجسم ثم استمر لها ذلك إلى حين الانتقال إلى البرزخ من غير موت معنوي وإن مات حسـا وهـذا والله أعلـم نالـه محمـد ﷺ فإنـه قـال: «كنـت نبيا وآدم بين الماء والطين».

يريد أن العلم بنبوته حصل له وآدم بين الماء والطين واستصحبه ذلـك إلى أن وجد جسمه في بلد لم يكن فيه موحد لله ولم يزل علـى توحيـد الله لم يشـرك كمـا أشرك أهله وقومه.

ثم أنه لما استقامت آلاتـه الحسية وتمكن مـن العمـل بـها بحسب مـا وجـدت لـه واستحكم بنيان قصر عقله وخزانة فكره واعتدلت مظاهر قواه الباطنـة لم يصرفـها إلا في عبادة خالقه فكان يخلو بغار حـراء للتحنـث فيـه إلى أن أرسله الله إلى النـاس كافـة

فكان يتذكر الله على كل أحيانه كما ذكرت عنه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقد قال ﷺ عن نفسه وهو الصادق: «أنه لا تنام عينه ولا ينام قلبه».

فأخبر عن قلبه انه لا ينام عند نوم عينيه عن حسه فكذلك موته إنما مات حسا كما نام حسا فإن الله يقول له: «إنك ميت» وكما أنه لم ينم قلبه لم يمت قلبه فاستصحبته الحياة من حين خلقه الله وحياته إنما هي مشاهدة خالقه دائما لا تنقطع.

وقد أخبر ذي النون المصري حيث سئل عن قوله تعالى في أخذ الميثاق فقال كأنه الآن في أذني يشير إلى علمه بتلك الحال، فإن كان عن تذكر فلم يلحق بالملائكة في هذا المقام وإن لم يكن عند تذكر بل استصحاب حال من حين أشهد إلى حين سئل فيكون ممن خصه الله بهذا المقام فلا أنفيه ولا أثبته ما عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك مروي ولا غير مروي أنه ناله أحد من البشر.

وإنما ذكرنا ذلك في حق رسول الله ﷺ أعني أنه ناله على طريق الاحتمال لا على القطع فإنه لا علم لي بذلك والظاهر أنه تخلله في هذا المقام ما يتخلل البشر فإنه كثيرا ما أوحي إليه في القرآن أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[1] فاستروحنا من هذا أن حكمه حكم البشر إلا ما خصه الله به من التقريب الإلهي الذي ورد وثبت عندنا.

وقد ثبت عنه أنه قال: «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر» والرضى والغضب من صفات النفس الحيوانية في البشر لا من صفات النفس الناطقة وإن اتصفت النفوس الناطقة بالرضى والغضب فما هو على حد ما أراده بقوله أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر.

وإنما قلنا بإضافة ذلك إلى النفس الحيوانية لما نشاهده من الحيوانات من ذلك وقد ثبت النهي عن رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم وجميع الحيوان كله من صفته المباشرة التي بحقيقتها سمي الإنسان بشرا.

---

(١) سورة الكهف، الآية ١١٠.

وبهذا القدر تبين فضل الملك على الإنسان في العبادة لكونه لا يفتر لأن حقيقة نشأته تعطيه أن لا يفتر فتقديسه ذاتي لأن تسبيحه لا يكون إلا عن حضور مع المسبح وليس تسبيحه إلا لمن أوجده فهو مقدس الذات عن الغفلات فلم تشغله نشأته الطبيعية النورية عن تسبيح خالقه على الدوام مع كونهم من حيث نشأتهم يختصمون.

كما أن البشر من حيث نشأته تنام عينه ولا ينام قلبه ولم يعط البشر قوة الملك في ذلك لأن الطبيعة يختلف مزاجها في الأشخاص وهذا مشهود بالضرورة في عالم العناصر فكيف بمن هو في نسبته إلى الطبيعة أقرب من نسبة العناصر إليها وعلى قدر ما يكون بين الطبيعة المجردة وبين ما يتولد عنها من وسائط المولدات يكثف الحجاب وتترادف الظلم.

فأين نسبة آخر موجود من الأناسي من ربه من حيث خلق جسد آدم بيديه من نسبة آدم إلى ربه حيث خلقه بيديه، فآدم يقول خلقني ربي بيديه وابنه شيث يقول بيني وبين يدي ربي أبي.

وهكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة من ملك وفلك وعنصر وجماد ونبات وحيوان وإنسان وملك مخلوق من نفس إنسان وهذا الملك آخر موجود طبيعي.

ولا يعرف ذلك من أصحابنا إلا القليل فكيف من ليس من أهل الإيمان والكشف.

وأما القسم الذي تقديسه لا من ذاته فهي كل ذات يتخلل شهودها خالقها غفلات فالأحيان التي تكون فيها حاضرة مع خالقها هي من ملك القدس.

وسنبين ما ذكرناه في سؤاله ما القدس إذا أجبنا عنه بعد هذا إن شاء الله فمن صفات ملك القدس التباعد عن الطبيعة بالأصل والتباعد عن مشاهدة آثار الأسماء الإلهية بمشاهدة الأسماء الألاهية من كونها مؤثرة بل بما تستحقه الألوهية والذات فإذا كان القدس عين الملك وأضيف إلى عينه لاختلاف اللفظ واختلاف

معنى الملك والقدس فإنه يدل على المبالغة في الطهارة والمبالغة في الطهر هي نسبة في الطهر ما هي عين الطهر لوجود الطهر دونها وما هي غير الطهر.

فإن المبالغة ليست سوى استقصاء هذه الصفة فيكون ملك القدس استقصاء وهو المبالغة فيه فيكون سؤاله عن صفاته الذاتية فإن لهذه المراتب نشآت في المعاني كالنشآت الطبيعية وقد علمت أن النشء الطبيعي كما أخبر الله مخلقة وغير مخلقة أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وغير التامة الخلق داخل في قوله أعطى كل شيء خلقه.

فأعطى النقص خلقه أن يكون نقصا فالزيادة على النقص الذي هو عينه لو كانت لكانت نقصا فيه ولم يعط النقص خلقه فتمام النقص أن يكون نقصا.

السؤال الرابع عشر ومائة: ما القدس؟

الجواب: الطهارة وهي ذاتية وعرضية. فالذاتية كتقديس الحضرة الإلهية التي أعطيها الاسم القدوس فهي القدس عن أن تقبل التأثر فيها من ذاتها فإن قبول الأثر تغيير في القابل وإن كان التغيير عبارة عن زوال عين بعين أما في محل أو مكان فيوصف المحل أو المكان بالتغيير.

ومعنى ذلك أنه كان هذا المحل مثلا أصفر فصار أخضرا أو كان ساكنا فصار متحركا فتغير المحل أي قبل الغير فالقدس والقدوس لا يقبل التغيير جملة واحدة.

وأما القدس العرضي فيقبل الغير وهو النقيض، وما تفاوت الناس إلا في القدس العرضي فمن ذلك تقديس النفوس بالرياضات وهي تهذيب الأخلاق وتقديس المزاج بالمجاهدات وتقديس العقول بالمكاشفات والمطالعات وتقديس الجوارح بالوقوف عند الأوامر والنواهي المشروعات.

ونقيض هذا القدس ما يضاده مما لا يجتمع معه في محل واحد في زمان واحد فهذا هو القدس الذي ذكرنا ملكه فالقدس العارض لا يكون إلا في المركبات فإذا اتصف المركب بالقدس فذلك المسمى حظيرة القدس أي المانعة قبول ما يناقض

كونها قد ساومهما لم تمنع فلا تكون حظيرة قدس فإن الحظر والمنع ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[١] أي ممنوعا.

فالقدس حقيقة إلهية سيالة سارية في المقدسين لا يدرك لنورها لون مخصوص معين ولا عين تسري في حقائق الكون ليس لعالم الأرواح المنفصلين عن الظلمة عليها أثر.

وذلك أن الأرواح المدبرة للأجسام العنصرية لا يمكن أن تدخل أبدا حظيرة القدس ولكن العارف الكامل يشهدها حظيرة قدس، فيقول العارف عند ذلك أن هذه الأرواح لا تدخل حظيرة القدس أبدا لأن الشيء يستحيل أن يدخل في نفسه فهي عند حظيرة قدس.

وغير العارف يشارك العارف في هذا الإطلاق فيقول: أنها لا تدخل حظيرة القدس أي لا تتصف بالقدس أبدا. فإن ظلمة الطبع لا تزال تصحب الأرواح المدبرة في الدنيا والبرزخ والآخرة فاختلفا في المشهد وكل قال حقا وأشار إلى معنى وما تواردوا على معنى واحد ولهذا لا يتصور الخلاف الحقيقي في هذا الطريق.

فإذا كان ملك القدس كل من اتصف بالطهارة الذاتية والعرضية والقدوس اسم إلهي منه سرت الطهارة في الطاهرات كلها.

فمن نظر الأشياء كلها بعين ارتباطها بالحقائق الإلهية كان ملك القدس جميع ما سوى الله من هذه الحيثية.

ومن نظر الأشياء من حيث أعيانها فليس ملك القدس منها إلا من كان طهوره عرضيا.

وأما الطهور الذاتي فلا ينبغي أن يكون ملك القدس إلا أن يكون ملك القدس عين القدس فحينئذ يصح أن يقال فيه ملك القدس وطهور كل مطهر بحسب ما تقتضيه ذاته من الطهارة فطهارة حسية وطهارة معنوية.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٠.

فملك القدس منه ما هو من عالم المعاني ومنه ما هو من عالم الحس وقد تورث الأسباب الحسية المطهرة طهارة معنوية، وقد تورث الأسباب المعنوية المطهرة طهارة حسية.

فأما الأول فقوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[1]، وسبب هذه الطهارة المعنوية كلها إنما هو نزول هذا الماء من السماء.

وأما الثاني فقول النبي ﷺ لأبي هريرة حين كان جنبا فانتزع أبو هريرة يده من يد النبي ﷺ تعظيما له لكونه غير طاهر لجنابة أصابته فقال له رسول الله ﷺ: «إن المؤمن لا ينجس فعرق المؤمن وسؤره طاهر».

فهذه طهارة حسية عن طهر معنوي وكذلك القدس طهارته الحسية عن طهر معنوي فإن له التواضع وهو مسيل الحياة والعلم والحياة مطهرة والعلم كذلك فبالمجموع نال الطهارة.

فإن الأودية كلها طاهرة وإنما تنجس بالعرض وكل واد به شيطان فهو نجس فما يجد المؤمن فيه خيرا لأجل هذا الشيطان، كما ثبت عن رسول الله ﷺ: إن هذا واد به شيطان فارتفع عنه وصلى في موضع آخر ووادي عرنة بعرفة موقف إبليس وكذلك بطن محسر.

فلهذا أمرنا بالارتفاع يوم عرفة عن بطن عرنة وأمرنا بالإسراع في بطن محسر ولهذا يعتبر الأولياء لأهل الكشف ألفاظ الذكر.

كان شيخنا يقول: الله الله، فقلت له: لم لا تقول لا إله إلا الله، فقال أخاف أن أموت في وحشة النفي إذا كان كل حرف نفس فهذا مثل الإسراع في بطن محسر لئلا يدركه الموت في مكان غير طاهر.

ولأولياء الله في هذا الكشف التام نظر دقيق جعلنا الله من أهله.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١١.

السؤال الخامس عشر ومائة: ما سبحات الوجه؟

الجواب: وجه الشيء ذاته وحقيقته فهي أنوار ذاتية وبيننا وبينها حجب الأسماء الإلهية ولهذا قال: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[١] في أحد تأويلات هذا الوجه وهذه السبحات في العموم باللسان الشامل أنوار التنزيه وهو سلب ما لا يليق به عنه وهي أحكام عدمية فإن العدم على الحقيقة هو الذي لا يليق بالذات.

وهنا الحيرة فإنه عين الوجوه فإذا لا ينزه عن أمر وجودي ولهذا كانت الأسماء الإلهية نسبا إن تفطنت أحدثت هذه النسب أعيان الممكنات لما اكتسبت من الحالات من هذه الذات.

فكل حال تلفظ باسم يدل عليه من حيث نفسه إما بسلب أو إثبات أو بهما وهي هذه الأسماء على قسمين: قسم كله أنوار وهي الأسماء التي تدل على أمور وجودية.

وقسم كله ظلم وهي الأسماء التي تدل على التنزيه فقال: إن لله سبعين حجابا أو سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فإنه لو رفع الأسماء الإلهية ارتفعت هذه الحجب ولو ارتفعت الحجب التي هي هذه الأسماء ظهرت أحدية الذات.

ولا يقف لأحديتها عين تتصف بالوجود فكانت تذهب وجود أعيان الممكنات فلا توصف بالوجود لأنها لا تقبل الاتصاف بالوجود إلا بهذه الأسماء ولا تقبل الاتصاف بهذه الأحكام كلها عقلا وشرعا إلا بهذه الأسماء.

فالممكنات من خلف هذه الحجب مما يلي حضرة الإمكان فهو تجلي ذاتي أورثها الاتصاف بالوجود من خلف حجاب الأسماء الإلهية فلم يتعلق لأعيان الممكنات علم بالله إلا من حيث هذه الأسماء عقلا وكشفا.

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٨.

السؤال السادس عشر ومائة: ما شراب الحب؟

الجواب: تجل متوسط بين تجليين وهو التجلي الدائم الذي لا ينقطع وهو أعلى مقام يتجلى الحق فيه لعباده العارفين وأوله تجلي الذوق.

وأما التجلي الذي يقع به الري فهو لأصحاب الضيق فغاية شربهم ري وأما أهل السعة فلا ري لشربهم كأبي يزيد وأمثاله فأول ما أقدم في هذا السؤال معرفة الحب وحينئذ يعرف شرابه الذي أضيف إليه وكأسه.

فاعلم: أن الحب على ثلاث مراتب:

حب طبيعي وهو حب العوام وغايته الاتحاد في الروح الحيواني فتكون روح كل واحد منهما روحا لصاحبه بطريق الالتذاذ وإثارة الشهوة ونهايته من الفعل النكاح، فإن شهوة الحب تسري في جميع المزاج سريان الماء في الصوفة بل سريان اللون في المتلون.

وحب روحاني نفسي وغايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره.

وحب إلهي وهو حب الله للعبد وحب العبد ربه، كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1] ونهايته من الطرفين أن يشاهد العبد كونه مظهرا للحق وهو لذلك الحق الظاهر كالروح للجسم باطنه غيب فيه لا يدرك أبدا ولا يشهده إلا محب.

وأن يكون الحق مظهر للعبد فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود والمقابر والأعراض ويشاهد هذا العبد وحينئذ يكون محبوبا للحق.

وإذا كان الأمر كما قلناه فلا حد للحب يعرف به ذاتي ولكن يحد بالحدود الرسمية واللفظية لا غير فمن حد الحب ما عرفه ومن لم يذقه شربا ما عرفه ومن قال رويت منه ما عرفه فالحب شرب بلا ري.

ـ قال بعض المحجوبين: شربت شربة فلم أظمأ بعدها أبدا، فقال أبو يزيد

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٤.

الرجل من يحسى البحار ولسانه خارج وعلى صدره من العطش وهذا هو الذي أشرنا إليه.

واعلم: أنه قد يكون الحب طبيعيا والمحبوب ليس من عالم الطبيعة ولا يكون الحب طبيعيا إلا إذا كان المحب من عالم الطبيعة لابد من ذلك، وذلك أن الحب الطبيعي سببه نظرة أو سماع فيحدث في خيال الناظر مما رآه إن كان المحبوب ممن يدرك بالبصر وفي خيال السامع مما سمع فحمله في نشأته فصوره في خياله بالقوة المصورة.

وقد يكون المحبوب ذا صورة طبيعية مطابقة لما تصور في الخيال أو دون ذلك أو فوق ذلك وقد لا يكون للمحبوب صورة ولا يجوز أن يقبل الصور فصور هذا المحب من مخافة التبديد والتعلق بما ليس في اليد منه شيء.

فهذا هو الداعي لما ذكرناه من تصوير ومن ليس بصورة أو من تصوير من لم يشهد له صورة وإن كان ذا صورة وفعل الحب في هذه الصورة أن يعظم شخصها حتى يضيق محل الخيال عنها فيما يخيل إليه فتأمر تلك العظمة والكبر التي في تلك الصورة في بدن المحب.

فلهذا تنحل أجساد المحبين فإن مواد الغذاء تنصرف إليها فتعظم وتقل عن البدن فينحل فإن حرقة الشوق تحرقه فلا يبقى للبدن ما يتغذى به وفي ذلك الاحتراق نمو صورة المحبوب في الخيال، فإن ذلك أكلها ثم إن القوة المصورة تكسو تلك الصورة في الخيال حسنا فائقا وجمالا رائقا يتغير لذلك الحسن صورة المحب الظاهر فيصفر لونه وتذبل شفته وتغور عينه.

ثم إن تلك القوة تكسو تلك الصورة قوة عظيمة تأخذها من قوة بدن المحب فيصبح المحب ضعيف القوى ترعد فرائصه ثم إن قوة الحب في المحب تجعله يحب لقاء محبوبه ويجبن عند لقائه لأنه لا يرى في نفسه قوة للقائه ولهذا يغشى على المحب إذا لقي المحبوب ويصعق ومن فيه فضلة وحبه ناقص يعتريه عند لقاء محبوبه ارتعاد وخبلان كما قال بعضهم:

أفكـــر مـــا أقـــول إذا افترقنـــا وأحكـــم دائبـــا حجـــج المقـــال

فأنســـاها إذا نحـــن التقينـــا وأنطـــق حـــين أنطـــق بالمحـــال

ثم إن قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه له لا عليه فالمحب جبان شجاع مقدام.

فلا يزال هذا حاله مادامت تلك الصورة موجودة في خياله إلى أن يموت وينحل نظامه أو تزول عن خياله فيسلو ومن الحب الطبيعي أن تلتبس تلك الصورة في خياله فتلصق بصورة نفسه المتخيلة له وإذا تقاربت الصورتان في خياله تقاربا مفرطا وتلتصق به لصوق الهواء بالناظر يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره ويضيع ولا ينضبط له للقرب المفرط فيأخذه لذلك خبال وحيرة مثل ما يأخذ من فقد محبوبه وهذا هو الاشتياق والشوق من البعد والاشتياق من القرب المفرط.

كان قيس ليلى في هذا المقام حيث كان يصيح ليلى ليلى في كل ما يكلم به فإنه كان يتخيل أنه فقيد لها ولم يكن وإنما قرب الصورة المتخيلة أفرطت من القرب فلم يشاهدها فكان يطلبها طلب الفاقد.

ألا تراه حين جاءته من خارج فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة التي مسكها في خياله منها فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها فقال لها إليك عني فإن حبك شغلني عنك.

يريد أن تلك الصورة هي عين الحب فبقى يطلبها ليلى ليلى فإذا تقوت تلك الصورة في خيال المحب أثرت في المحبوب تأثير الخيال في الحس مثل الذي يتوهم السقوط فيسقط أو يتوهم أمرا ما مفزعا فيتغير له المزاج فتتغير صورة حسه.

كذلك هذه الصورة إذا تقوت أثرت في المحبوب فقيدته وصيرته أشد طلبا لها منها له فإن النفوس قد جبلت على حب الرياسة والمحب عبد مملوك بحبه لهذا المحبوب.

فالمحبوب لا يكون له رياسة إلا بوجود هذا المحب فيعشقه على قدر عشقه رياسته وإنما يتيه عليه للطمأنينة الحاصلة في نفس المحبوب بأن المحب لا يصبر عنه وهو طالب إياه فتأخذه العزة ظاهرا وهو الطالب له باطنا ولا يرى في الوجود أحدا مثله لكونه ملكه فالمحب لا يعلل فعل المحبوب لأن التعليل من صفات العقل ولا عقل للمحب.

يقول بعضهم: ولا خير في حب يدبر بالعقل، ولنشدني ابو العباس المقراني وكان من المحبين لنفسه: الحب أملك للنفوس من العقل، والمحبوب يعلل أفعال المحب بأحسن التعليل. لأنه ملكه فيريد أن يظهر شرفه وعلوه حتى يعلو المحبوب إذ هو المالك وهو يحب الثناء على نفسه.

وهذا كله فعل الحب فعل في المحبوب ما ذكرناه وفعل في المحب ما ذكرناه وهذا من أعجب الأشياء أن المعنى أوجب حكمه لمن لم يقم به وهو المحبوب فإنه أثر فيه حب المحب كما أثر في المحب كمسألة المعتزلي أن الله مريد بإرادة لم تقم بمحل بل خلقها أما في محل أو في لا محل وأراد بها.

وهذا خلاف المعقول إيجاب المعاني أحكامها لمن لم يقم به وكذلك الحب لا يجتمع مع العقل في محل واحد فلابد أن يكون حكم الحب يناقض حكم العقل، فالعقل للنطق والتهيام للخرس.

ثم إنه من شأن الحب الطبيعي أن تكون الصورة التي حصلت في خيال المحب على مقدار المحل الحاصلة فيه بحيث لا يفضل عنها منه ما يقبل من شأن الحب الطبيعي أن تكون الصورة التي حصلت في خيال المحب على مقدار المحل الحاصلة فيه بحيث لا يفضل عنها منه ما يقبل به شيئا أصلا وإن لم يكن كذلك فما هي صورة الحب.

وبهذا تخالف صورة الحب سائر الصور كما كانت صورة العالم على قدر الحضرة الإلهية الأسمائية فما في الحضرة الإلهية اسم إلهي الا وهو على قدر أثره في نشء العالم من غير زيادة ولا نقصان ولهذا كان إيجاد العالم عن حب.

وقد ورد ما يؤيد هذا في السنة وهو قوله: «كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني» فأخبر أن الحب كان سبب إيجاد العالم فطابق الأسماء الإلهية ولولا تعشق النفس بالجسم ما تألم عند مفارقته مع كونه ضدا له فجمع بين المقادير والأحوال لوجود النسب والأشكال.

فالنسب أصل في وجود الأنساب وإن كانت الأرواح تخالف الأشباح والمعاني تخالف الكلمات والحروف ولكن تدل الكلمة على المعنى بحكم المطابقة بحيث لو تجسد المعنى لما زاد على كمية الكلمة ومثل هذا النوع يسمى حبا، وأما الحب الروحاني فخارج عن هذا الحد وبعيد عن المقدار والشكل.

وذلك أن القوى الروحانية لها التفات نسبي فمتى عمت النسب في الالتفاتات بين المحب والمحبوب عن نظر أو سماع أو علم كان ذلك الحب فإن نقص ولم تستوف النسب لم يكن حبا ومعنى النسب أن الأرواح التي من شأنها أن تهب وتعطي متوجهة على الأرواح التي من شأنها أن تأخذ وتمسك وتلك تتألم بعدم القبول وهذه تتألم بعدم الفيض.

وإن كان لا ينعدم إلا أن كونه لم تكمل شروط الاستعداد.

والزمان سمى ذلك الروح القابل عدم فيض وليس بصحيح فكل واحد من الروحين مستفرغ الطاقة في حب الآخر فمثل هذا الحب إذا تمكن من الحبيبين لم يشك المحب فرقة محبوبه لأنه ليس من عالم الأجسام ولا الأجساد فتقع المفارقة بين الشخصين أو يؤثر فيه القرب المفرط كما فعل في الحب الطبيعي.

فالمعاني لا تتقيد ولا تتحيز ولا يتخيلها إلا ناقص الفطرة فإنه يصور ما ليس بصورة وهذا هو حب العارفين الذين يمتازون به عن العوام أصحاب الاتحاد فهذا محب أشبه محبوبه في الافتقار لا في الحال والمقدار.

ولهذا يعرف المحب قدر المحبوب من حيث ما هو محبوب، وأما الحب الإلهي فمن اسمه الجميل والنور فيتقدم النور إلى أعيان الممكنات فينفر عنها ظلمة نظرها إلى نفسها وإمكانها فيحدث لها بصرا وهو بصره إذ لا يرى إلا به فيتجلى

لتلك العين بالاسم الجميل فتتعشق به فيصير عين ذلك الممكن مظهرا له.

فيبطن العين من الممكن فيه وتفنى عن نفسها فلا تعرف أنها محبة له سبحانه أو تفنى عنه بنفسها مع كونها على هذه الحالة فلا تعرف أنها مظهر له سبحانه وتجد من نفسها أنها تحب نفسها فإن كل شيء مجبول على حب نفسه وما ثم ظاهر إلا هو في عين الممكن فما أحب الله إلا الله.

والعبد لا يتصف بالحب إذ لا حكم له فيه فإنه ما أحبه منه سواه الظاهر فيه وهو الظاهر فلا تعرف أيضا أنها محبة له فتطلبه وتحب أن تحبه من حيث أنها ناظرة إلى نفسها بعينه فنفس حبها أن تحبه هو بعينه حبها له.

ولهذا يوصف هذا النور بأنه له أشعة أي أنه شعشعاني لامتداده من الحق إلى عين الممكن ليكون مظهرا له بنصب الهاء لا اسم فاعل فإذا جمع من هذه صفته بين المتضادات في وصفه فذلك هو صاحب الحب الإلهي فإنه يؤدي إلى إلحاقه بالعدم عند نفسه كما هو في نفس الأمر.

فعلامة الحب الإلهي حب جميع الكائنات في كل حضرة معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة ولكل حضرة عين من اسمه النور تنظر بها إلى اسمه الجميل فيكسوها ذلك النور حلة وجود فكل محب ما أحب سوى نفسه ولهذا وصف الحق نفسه بأنه يحب المظاهر والمظاهر عدم في عين وتعلق المحبة بما ظهر وهو الظاهر فيها فتلك النسبة بين الظاهر والمظاهر هي الحب.

ومتعلق الحب إنما هو العدم فمتعلقها هنا الدوام، والدوام ما وقع فإنه لا نهاية له وما لا نهاية له لا يتصف بالوقوع ولما كان الحب من صفات الحق حيث قال «يحبهم» ومن صفات الخلق حيث قال: «ويحبونه» اتصف الحب بالعزة لنسبته إلى الحق ووصف الحق به وسرى في الخلق بتلك النسبة العزية فأورثت في المحب ذلة من الطرفين.

فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب فإن المحبوب قد يكون مملوكا للمحب مقهورا تحت سلطانه ومع هذا تجده يذل له المحب فعلمنا أن تلك

العزة الحب لا عزة المحبوب، قال أمير المؤمنين هارون الرشيد في محبوباته:

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطاني

فأضاف القوة إلى الهوى بقوله سلطان الهوى يقول الله في غير ما موضع من كتابه متلطفا بعباده يا عبادي اشتقت إليكم ولنا إليكم أشد شوقا ويخاطبهم بنزول من لطف وخفى.

وهذا الخطاب كله لا يتمكن أن يكون منه إلا من كونه محبا ومثل ذلك يصدر من المحبين له تعالى فالمحب في حكم الحب لا في حكم المحبوب ومن هي صفته عينه فعينه تحكم عليه لا أمر زائد فلا نقص غير أن أثره في المخلوقين التلاشي عند استحكامه لأنه يقبل التلاشي فلهذا يتنوع العالم في الصور فيكون في صورة.

فإذا أفرط فيها الحب من حيث لا يعلم وحصل التجلي من حيث لا يظهر تلاشت الصورة وظهرت في العين صورة أخرى وهي أيضا مثل الأولى في الحكم راجعة إليه ولا يزال الأمر كذلك دائما لا ينقطع.

ومن هنا غلط من يقول: أن العالم لا بدله من التلاشي ومن نهاية علم الله في العالم حيث وصف نفسه بالإحاطة في علمه بهم ثم أنه من كرمه سبحانه أن جعل هذه الحقيقة سارية في كل عين ممكن متصف بالوجود وقرن معها اللذة التي لا لذة فوقها فأحب العالم بعضه بعضا حب تقييد من حقيقة حب مطلق.

فقيل فلان أحب فلانا وفلان أحب أمرا ما وليس إلا ظهور حق في عين ما أحب ظهر حق في عين أخرى كان ما كان فمحب الله لا ينكر على محب حب من أحب فإنه لا يرى محبا إلا الله في مظهر ما ومن ليس له هذا الحب الإلهي فهو ينكر على من يحب ثم أنه ثم دقيقة من كون من قال أنه يستحيل أن يحب أحد الله تعالى.

فإن الحق لا يمكن أن يضاف إليه ولا إلى ما يكون منه نسبة عدم أصلا والحب

متعلقه العدم فلا حب يتعلق بالله من مخلوق لكن حب الله يتعلق بالمخلوق لأن المخلوق معدوم فالمخلوق محبوب لله أبدا دائما ومادام الحب لا يتصور معه وجود المخلوق فالمخلوق لا يوجد أبدا فأعطت هذه الحقيقة أن يكون المخلوق مظهرا للحق لا ظاهرا.

فمن أحب شخصا بالحب الإلهي فعلى هذا الحد يكون حبه إياه فلا يتقيد بالخيال ولا بجمال ما فإنها كلها موجودة له فلا يتعلق الحب فيها فقد بان الفرقان بين المراتب الثلاثة في الحب.

واعلم أن الخيال حق كله والتخيل منه حق ومنه باطل.

السؤال السابع عشر ومائة: ما كأس الحب؟

الجواب: القلب من المحب لا عقله ولا حسه فإن القلب يتقلب من حال إلى حال كما أن الله الذي هو المحبوب: ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾[(١)] فيتنوع المحب في تعلق حبه بتنوع المحبوب في أفعاله كالكأس الزجاجي الأبيض الصافي يتنوع بحسب تنوع المائع الحال فيه فلون المحب لون محبوبه وليس هذا إلا للقلب فإن العقل من عالم التقييد ولهذا سمي عقلا من العقال والحس.

فمعلوم بالضرورة أن من عالم التقييد بخلاف القلب وذلك أن الحب له أحكام كثيرة مختلفة متضادة فلا يقبلها إلا من في قوته الانقلاب معه فيها وذلك لا يكون إلا للقلب وإذا أضفت مثل هذا إلى الحق فهو قوله: ﴿ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[(٢)] وإن الله لا يمل حتى تملوا، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي.

والشرع كله أو أكثره في هذا الباب وشرابه عين الحاصل في الكأس وقد بينا أن الكأس هو عين المظهر والشراب عين الظاهر فيه والشرب ما يحصل من المتجلي للمتجلي له فاعلم ذلك على الاختصار. انتهى الجزء التاسع والثمانون.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

السؤال الثامن عشر ومائة: من أين؟

الجواب: من تجليه في اسمه الجميل، قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» وهو حديث ثابت فوصف نفسه بأنه يحب الجمال وهو يحب العالم فلا شيء أجمل من العالم وهو جميل، والجمال محبوب لذاته فالعالم كله محب لله وجمال صنعه سار في خلقه والعالم مظاهره فحب العالم بعضه بعضا هب من حب الله نفسه فإن الحب صفة الموجود وما في الوجود إلا الله والجلال والجمال لله وصف ذاتي في نفسه وفي صنعه والهيبة التي هي من اثر الجمال والأنس الذي هو من أثر الجلال نعتان للمخلوق ولا للخالق ولا لما يوصف به.

ولا يهاب ولا يأنس إلا موجود ولا موجود إلا الله فالأثر عين الصفة والصفة ليست مغايرة للموصوف في حال اتصافه بها بل هي عين الموصوف وإن عقلت ثانيا فلا محب ولا محبوب إلا الله عز وجل فما في الوجود إلا الحضرة الإلهية وهي ذاته وصفاته وأفعاله.

كما نقول: كلام الله وعلمه ذاته. فإنه يستحيل عليه أن يقوم بذاته أمر زائد أو عين زائدة ما هي ذاته تعطيها حكما لا يصح لها ذلك الحكم دونها مما يكون كمالا لها في ألوهيتها بل لا تصح الألوهة إلا بها وهو كونه عالما بكل شيء.

ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته ودل عليه الدليل العقلي ومن المحال أن تكمل ذاته بغير ما هي ذاته فتكون مكتسبة الشرف بغيرها ومن علمه بذاته علم العلماء بالله من الله ما لا تعلمه العقول من حيث أفكارها الصحيحة الدلالة وهذا العلم ما تقول فيه الطبعة أنه وراء طور العقل. قال تعالى في عبده خضر: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[٢] فأضاف التعليم إليه لا إلى الفكر فعلمنا أن ثم مقاما آخر فوق الفكر يعطي العبد العلم بأمور شتى:

منها: ما يمكن أن يدركها من حيث الفكر.

---

(١) سورة الكهف، الآية ٦٥.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٤.

ومنها: ما يجوزها الفكر وإن لم يحصل لذلك العقل من الفكر.

ومنها: ما يجوزها الفكر وإن كان يستحيل أن يعينها الفكر.

ومنها: ما يستحيل عند الفكر ويقبلها العقل من الفكر مستحيلة الوجود لا يمكن أن يكون له تحت دليل الإمكان فيعلمها هذا العقل من جانب الحق واقعة صحيحة غير مستحيلة ولا يزول عنها اسم الاستحالة ولا حكم الاستحالة عقلا، قال ﷺ: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله».

وهو من العلم الذي يكون تحت النطق فما ظنك بما عندهم من العلم مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق فما كل علم يدخل تحت العبارات، وهي علوم الأذواق كلها.

فلا أعلم من العقل ولا أجهل من العقل فالعقل مستفيد أبدا فهو العالم الذي لا يعلم علمه وهو الجاهل الذي لا ينتهي جهله.

السؤال التاسع عشر ومائة: ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له؟

الجواب: إن أراد باللام الذي في لك وله الأجلية فجوابه مغاير لجوابه إذا كانت لا للأجلية إذ يكون المعنى ما شراب حبه إياك حتى يسكرك عن حبك إياه فجوابه الوجه الأول والثاني متغاير.

نقول تغاير الجليات إنما كان من حيث ظهوره فيك فوصف نفسه بالحب من أجلك فأسكرك هذا العلم الحاصل لك من هذا التجلي عن أن تكون أنت المحب له أي المحب من أجله فلم تحب أحدا من أجله وهو أحب من أجلك فلو زلت أنت لم يتصف هو بالمحبة وأنت لا تزول فوصفه بالحب لا يزول فهذا جواب يعم الأول والثاني لفرقان بين ما يستحقه الأول منه والثاني دقيق غامض.

وأما الجواب عن الثاني: إن شراب حبه إياك وهو حبه إياك أن تحبه فإذا أحببته علمت حين شربت شراب حبه إياك أن حبك إياه عين حبه إياك وأسكرك عن حبك إياه مع إحساسك بأنك تحبه فلم تفرق وهو تجلي المعرفة.

فالمحب لا يكون عارفا أبدا والعارف لا يكون محبا أبدا فمن ههنا يتميز المحب من العارف والمعرفة من المحبة فحبه لك مسكر عن حبك له وهو شراب الخمر الذي لو شربه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لغوت عامة الأمة وحبك له لا يسكرك عن حبه لك.

وهو شراب اللبن الذي شربه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء فأصاب الله به الفطرة التي فطر الخلق عليها فاهتدت أمته في ذوقها بربها وهو الحفظ الإلهي والعصمة وعلمت ما لها وما له في حال صحو وسكر فشراب حبه لك هو العلم بأن حبك إياه من حبه إياك فغيبك عن حبك إياه فأنت محب لا محب ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1].

وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا مثل هذا البلاء في فنون من المقامات يظهر فيه كما ظهر في حق رسول الله ﷺ في رميه التراب في وجوه الأعداء فأثبت أنه رمى ونفى أنه رمى فعبر عنه الترمذي بالسكر إذ كان السكران هو الذي لا يعقل فإن الترمذي كان مذهبه في السكر مذهب أبي حنيفة وكان حنفي المذهب في الأصل قبل أن يعرف الشرع من الشارع وهو الصحيح في حد السكر.

ولكن من شيء يتقدم هذا السكران قبل سكره من شربه طرب وابتهاج وهو الذي اتخذه غير أبي حنيفة في حد السكر وهو ليس بصحيح فكل مسكر بهذه المثابة فهو الذي يترتب عليه الحكم المشروع فإن سكر من شيء لا يتقدم سكره طرب ولم يترتب عليه حكم الشرع لا بحد ولا بحكم.

السؤال العشرون ومائة: ما القبضة؟

الجــواب: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ ﴾[2] والأرواح تابعة للأجسام ليست الأجسام تابعة للأرواح فإذا قبض على الأجسام فقد قبض على الأرواح فإنها هياكلها فأخبر أن الكل في قبضته وكل جسم أرض لروحه وما ثم إلا

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٧.

جسم وروح غير أن الأجسام على قسمين: عنصرية، ونورية.

وهي أيضا طبيعية فربط الله وجود الأرواح بوجود الأجسام وبقاء الأجسام ببقاء الأرواح وقبض عليها ليستخرج ما فيها ليعود بذلك عليها فإنه منها يغذيها ومنها يخرج ما فيها ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[١]، و﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٢]، ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[٣]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[٤]، ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾[٥].

فهي من العناصر فهي أجسام عنصريات وإن كانت فوق الأركان بالمكان فالأركان فوقهن بالمكانة والله يقبض ويبسط فيقبض منها ما يبسطها بها فلا يعطيها شيئا من ذاته فإنها لا تقبله فلا وجود لها إلا بها.

فالممكنات إنما أقامها الحق من إمكانها فقيامها منها بها والحق واسطة في ذلك مؤلف راتق فاتق. ﴿ كَانَتَا رَتْقًا ﴾[٦] لأنه كذا أوجدها بإمكانها ففتقناهما بإمكانهما لو لم يكن الفتق ممكنا لما قام بهما فما أثر في الممكنات إلا الممكنات لكن العمى غلب على أكثر الخلق: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[٧].

ألا ترى ما هو محال لنفسه هل يقبل شيئا مما يقبله الممكن فبنفسه تمكن منه الواجب الوجود بالإيجاد فأوجده وهذه هي الإعانة الذاتية.

ألا ترى الحجر إذا رميت به علوا فيقال أن حركته نحو العلو قهرية لأن طبيعته النزول أما إلى الأعظم وأما إلى المركز فلولا أن طبيعته تقبل الصعود علوا بالقهر لما صعد فما صعد إلا بطبعه أيضا مع سبب آخر عارض ساعد بالطبع

---

(١) سورة طه، الآية ٥٥.
(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٢.
(٣) سورة المرسلات، الآية ٧٧.
(٤) سورة فصلت، الآية ١١.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٩.
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.
(٧) سورة الروم، الآية ٧.

بالقبول لما أراد منه، فالقبضة على الحقيقة قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[1].

ومن أحاط بك فقد قبض عليك لأنه ليس لك منفذ مع وجود الإحاطة وإلا فليست إحاطة وما هو محيط وصورة ذلك أنه ما من موجود سوى الله من الممكنات إلا وهو مرتبط بنسبة إلهية وحقيقة ربانية تسمى أسماء حسنى فكل ممكن في قبضة حقيقية إلهية فالكل في القبضة.

واعلم أن القبضة تحتوي على المقبوض بأربعة عشر فصلا وخمسة أصول عن هذه الأربعة عشر فصلا ظهر نصف دائرة الفلك وهي أربع عشرة منزلة وفي الغيب مثلها وهذه الفصول تحوي جميع الحروف إلا الجيم فإنها تبرأت منه دون سائر الحروف.

وما علمنا لماذا وما أدري ما هو مما يجوز أن يعلم أم لا.

فإن الله تعالى ما نفث في روعنا شيئا ولا رأيته لغيرنا ولا ورد في النبوات فرحم الله عبد وقف عليه فألحقه في هذا الموضع من كتابي وهنا ينسب ذلك إليه لا إلي فتحصل الفائدة بطريق الصدق حتى لا يتخيل الناظر فيه أن ذلك مما وقع لي بعد هذا فإن فتح علي به.

حينئذ أذكره أنه لي فإن الصدق في هذا الطريق أصل قاطع لابد منه ولاحظ له في الكذب وهذه الخمسة الأصول متفاضلة في الدرجات فأعلاها وأعمها هو العلم وهو الأصل الوسط وعن يمينه أصلان الحياة والقدرة وعن يساره أصلان الإرادة والقول وكل أصله فله ثلاثة فصول إلا أصل القدرة فإن له فصلين خاصة.

وإنما سقط عنه الفصل الثالث لأن اقتداره محجور وغير مطلق وهو قول العلماء وما لم يشأ أن يكون لو أن شاء أن يكون لكان كيف يكون فعلق كونه بلو فامتنع عن نفوذ الاقتدار عليه لسبب آخر فلم يكن له النفوذ وهذا موضع إبهام لا يفتح أبدا.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٢٦.

ومن هنا وجد العالم الأمور المبهمة لأنه ما من شيء في العالم إلا وأصله من حقيقة إلهية ولهذا وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلي على تنزيهه عن ذلك فما يقبله إلا بطريق الإيمان والتسليم ومن زاد فبالتأويل على الوجه اللائق في النظر العقلي.

وأهل الكشف أصحاب القوة الإلهية التي وراء طور العقل يعرف ذلك كما تفهمه العامة ويعلم ما سبب قبوله لهذا الوصف مع نزاهته بليس كمثله شيء وهذا خارج عن مدارك العقول بأفكارها فالعامة في مقام التشبيه وهؤلاء في التشبيه والتنزيه والعقلاء في التنزيه خاصة فجمع الله لأهل خاصته بين الطرفين فمن لم يعرف القبضة هكذا فما قدر الله حق قدره.

فإنه إن لم يقل العبد أن الله ليس كمثله شيء فما قدر الله حق قدره وإن لم يقل أن خلق آدم بيده فما قدر الله حق قدره وأين الانقسام من عدم الانقسام وأين المركب من البسيط فالكون يغاير مركبه بسيطه وعدده توحيده وأحديته والحق عين تركيبه عين بسيطة عين أحديته عين كثرته من غير مغايرة ولا اختلاف نسب وإن اختلفت الآثار فعن عين واحدة وهذا لا يصح إلا في الحق تعالى ولكن إذا نسبنا نحن بالعبارة فلابد أن نغاير كان كذا من نسبة كذا وكذا من نسبة كذا لابد من ذلك للأفهام.

السؤال الحادي والعشرون ومائة: من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها؟

الجواب: الشاردون إلى ذواتهم من مرتبة الوجوب ومرتبة المحال إذ لا يقبض إلا على شارد فإنه لو لم يشرد لما قبض عليه فالقبض لا يكون إلا عن شرود أو توقع شرود فحكم الشرود حكم عليه بالقبض فيه استوجبوا أن يقبض عليهم.

فمنهم من قبض عليه مرتبة الوجوب.

ومنهم من قبض عليه مرتبة المحال وهنا غور بعيد والإشارة إلى بعض بيانه إن كل ممكن لم يتعلق العلم الإلهي بإيجاده لا يمكن أن يوجد فهو محال الوجود فحكم على الممكن المحال وألحقه به فكان في قبضة المحال.

وما تعلق العلم الإلهي بإيجاده فلابد أن يوجد فهو واجب الوجود فحكم على الممكن الوجوب فكان في قبضة الواجب وليس له حكم بالنظر إلى نفسه فما خرج الممكن من أن يكون مقبوضا عليه.

أما في قبضة المحال وأما في قبضة الواجب ولم يبق له في نفسه مرتبة يكون عليها خارجة عن هذين المقامين فلا إمكان.

فأما محال وأما واجب وأما الغور البعيد فإن جماعة قالوا وذهبوا إلى أنه ليس في الإمكان شيء إلا ولابد أن يوجد إلى ما يتناهى فما ثم ممكن في قبضة المحال ولا شك أنهم غلطوا في ذلك من الوجه الظاهر وأصابوا من وجه آخر.

فأما غلطهم فما من حالة من الأكوان في عين ما تقتضي الوجود فتوجد إلا ويجوز ضدها على تلك العين كحالة القيام للجسم مع جواز القعود لا نفي القيام ومن المحال وجود القعود في الجسم القائم في حال قيامه وزمان قيامه فصار وجود هذا القعود بلا شك في قبضة المحال لا يتصف بالوجود أبدا من حيث هذه النسبة لهذا الجسم الخاص وهو قعود خاص.

وأما مطلق القعود فإنه في قبضة الواجب فإنه واقع وأما وجه الإصابة فإن متعلق الإمكان إنما هو في الظاهر في المظاهر والمظاهر محال ظهورها وواجب الظهور فيها والظاهر لا يجوز عليه خلافه فإنه ليس بمحل لخلافه وإنما المظهر هو المحل.

وقد قبل ما ظهر فيه ولا يقبل غيره فإذا وجد غيره فذلك ظهور آخر ومظهر آخر فإن كل مظهر لظاهر لا ينفك عنه بعد ظهوره فيه فلا يبقى في الإمكان شيء إلا ويظهر إلى ما لا يتناهى فإن الممكنات غير متناهية وهذا غور بعيد التصور لا يقبل إلا بالتسليم أو تدقيق النظر جدا فإنه سريع التفلت من الخاطر لا يقدر على إمساكه إلا من ذاقه والعبارة تتعذر فيه.

السؤال الثاني والعشرون ومائة: ما صنيعه بهم في القبضة؟

الجواب: المحض وهو ما هم عليه فهو يرفع ويخفض ويبسط ويقبض ويكشف ويستر ويخفى ويظهر ويوقع التحريش ويؤلف وينفر.

وصنيعه العام بهم التغيير في الأحوال فإنه صنع ذاتي إذ لو لم يغير لتعطل كونه إلها وكونه إلها نعت ذاتي له فتغيير الصنع في الممكنات واجب لا ينفك كما لنهم في القبضة دائما.

السؤال الثالث والعشرون ومائة: كم نظرته إلى الأولياء في كل يوم؟

الجواب: بعدد ما يغير عليهم الحال من حيث هو متوليهم لا غير وينحصر ذلك في مائة مرة من غير زيادة ولا نقصان ولكن مادام الولي مظروفا لليوم.

وأما نظره للأولياء إذا خرجوا من الأوقات فنظر دائم لا توقيت فيه ولا يقبل التوقيت فإنه لا يدخل تحت العدد ولا المغايرة ولا التمييز.

فإذا دخلوا أو كان حالهم الزمان فمائة مرة وكل مرة يحصل لهم في تلك النظرة ما لا يحده توقت فهو عطاء إلهي من غير حساب ولا هنداز.

السؤال الرابع والعشرون ومائة: إلى ماذا ينظر منهم؟

الجواب: إلى أسرارهم لا إلى ظواهرهم فإن ظواهرهم يجريها سبحانه بحسب الأوقات وسرائرهم ناظرة إلى عين واحدة فإن أعرضوا أو أطرفوا نقصهم في ذلك الأعراض أو تلك الطرفة ما تقتضيه النظرة وهو أكثر مما نالوه من حين أوجدهم إلى حين ذلك الإعراض.

قال بعض السادة فيما حكاه القشيري في رسالته: لو أن شخصا أقبل على الله طول عمره ثم أعرض عنه لحظة واحدة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في عمره.

وذلك أن الشيء في المزيد وأن المتأخر يتضمن ما تقدمه وزيادة ما تعطيه عينه من حيث ما هو جامع فيرى ما تقدم في حكم الجمع وهو يخالف حكم

انفراده وحكم جمعه دون هذا الجمع الخاص ومن حيث ما تختص به هذه اللحظة ومن حيث ما هي لنفسها لا من حيث كونها حضرة جمع لما تقدمها فبالضرورة يفوته هذا الخير فما أشأم الإعراض عن الله.

وفي هذا يتبين لك شرف العلم فإن العلم هو الذي يفوتك والعلم هو الذي تستفيده قال تعالى آمر نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] فإنه أشرف الصفات وأنزه السمات.

السؤال الخامس والعشرون ومائة: إلى ماذا ينظر من الأنبياء عليهم السلام؟

الجواب: إن أراد العلم فإلى أسرارهم، وإن أراد الوحي فإلى قلوبهم وإن أراد الابتلاء فإلى نفوسهم إلا أن نظره سبحانه على قسمين: نظر بواسطة وهو قوله نزل به الروح الأمين على قلبك، ونظر بلا واسطة وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[2] فإذا نظر إلى أسرارهم أعطاهم من العلم به ما شاء لا غير وهو أن يكشف لهم عنهم أنهم به لا بهم فيرونه فيهم ولا يرونهم فيعلمون ما أخفى لهم فيهم من قرة أعين فتقر عيونهم بما شاهدوه.

ويعلمون أن الله هو الحق المبين بهم في كل نظرة وهو مزيد العلم الذي يقول اتركوني ما تركتكم وقوله: لو قلت نعم لوجبت وما كنتم تطيقونها.

وإذا نظر إلى قلوبهم قلب الوحي فيهم بحسب ما تقبلوا فيه فلكل حال يتقلبون فيه حكم شرعي يدعو إليه هذا النبي وسكوته عن الدعوة شرع أي بقوا على أصولكم وهذا هو الوحي العرضي الذي عرض لهم.

فإن الوحي الذاتي الذي تقتضيه ذواتهم هو أنهم يسبحون بحمد الله لا يحتاجون في ذلك إلى تكليف بل هو لهم مثل النفس للمتنفس وذلك لكل عين على الانفراد والوحي العرضي هو لعين المجموع وهو الذي يجب تارة ولا يجب تارة ويكون لعين دون عين وهو على نوعين: نوع يكون بدليل أنه من الله وهو شرع الأنبياء.

---

(١) سورة طه، الآية ١١٤.

(٢) سورة النجم، الآية ١٠.

ومنه ما لا دليل عليه وهو الناموس الوضعي الذي تقتضيه الحكمة يلقيه الحق تعالى من اسمه الباطن الحكيم في قلوب حكماء الوقت من حيث لا يشعرون ويضيفون ذلك الإلقاء إلى نظرهم لا يعلمون أنه من عند الله على التعيين.

لكنهم يرون أن الأصل من عند الله فيشرعونه لمتبعيهم من أهل زمانهم إذ لم يكن فيهم نبي مدلول على نبوته فإن هم قاموا بحدود ذلك الناموس ووقفوا عنده ورعوه جازاهم الله على ذلك بحسب ما عاملوه به في الدنيا والآخرة جزاء الشرع المقرر المدلول عليه فما رعوها حق رعايتها فيما ابتدعوه من الرهبانية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

وإن الله يصدق قول واضع الناموس الحكمي كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي فأما جزاؤه في الدنيا فلا شك ولا خفاء بوقوع المصلحة ووجودها في الأهل والمال والعرض وأما الآخرة فعلى هذا المجرى.

وإن لم يتعرض إليها صاحب الناموس الحكمي كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي فأما جزاؤه في الدنيا فلا شك ولا خفاء بوقوع المصلحة ووجودها في الأهل والمال والعرض.

وأما الآخرة فعلى هذا المجرى وإن لم يتعرض إليها صاحب الناموس الحكمي كما أنه في ناموس الحكم الإلهي إن في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ويحصل لنا من غير تقدم علم به كذلك الحاصل في الآخرة جزاء لعمل الناموس الذي اقتضته الحكمة عند من ابتدعه للمصلحة.

فإن قال في ناموسه: قال الله ويكون ممن قد علم أنه مظهر وإن لا موجود على الحقيقة إلا الله صدق وعفا الله عنه وإن كان من أهل الحجاب عن هذا العلم فأمره إلى الله وهو بحسب ما قصده في ذلك فإنه يقصد الرياسة وتكون المصلحة في حكم التبع وقد يقصد المصلحة وتكون الرياسة تبعا.

وهذا الكلام لا يتصور إلا مع عدم الشرع المقرر بالدليل في تلك الجماعة وذلك المكان خاصة وإذا نظر إلى نفوسهم ابتلاهم بمخالفة أممهم فاختلفوا عليه واختلفوا فيما بينهم وإن اجتمعوا عليه وهذا كله إذا اتفق أن ينظر النبي إلى نفسه ولابد له من النظر إلى نفسه فإن الجلوس مع الله لا تقتضي البشرية دوامه وإذا لم يدم فما ثم إلا النفس فيكون نظره في هذا الحال نظر ابتلاء.

لأن النبي في تلك الحالة صاحب دعوى لنه قد بلغ رسالة ربه وكذا ورد ما من نبي إلا وقد قال قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وقال الا هل بلغت فأضاف التبليغ إليه ولم يقل في هذه الحال قد بلغ الله إليكم بلساني ما قد أسمعكم.

فلو قال هذا ما ابتلوا ببلاء النفوس وفي هذا لله حكم خفي ليعلم العبد أنه محل للتوفيق نقيضه ولنه لا حول ولا قوة إلا بالله على ما أمر به ونهى عنه فالحكم لله العلي الكبير.

السؤال السادس والعشرون ومائة: كيف إقباله على خاصته في كل يوم؟

الجواب: أربعة وعشرون ألف إقبال في كل يوم يهبهم في ذلك الإقبال ما شاء ويأخذ منهم في الإقبال الثاني ما كان أعطاهم في الإقبال الأول إما أخذ قبول وإما أخذ رد غير مقبول فإن الله قد أمرهم بالأدب في كل ما يلقى إليهم عند أخذهم وكذلك إذا ردوا الأمور إليه يردونها محلاة بالأدب الإلهي فذلك داعية القبول الإلهي فإن أساءوا الأدب في الأخذ والرد عاد وبال ذلك عليهم وليسوا عند ذلك بخاصة الله، فالخاصة تحضر مع الله أربعة وعشرين ألف مرة في كل يوم.

وإن أردت التحرير في المقال إن لم يكن عندك علم وتخرج من العهدة فقل إقباله على خاصته كل يوم بعدد أنفاسهم كانت ما كانت فمن اطلع على توقيت أنفاسه علم توقيت إقبال الله عليه في كل يوم فإن ذلك النفس من نفس الرحمن فهو عين إقبال الحق عليهم وبه تنورت هياكلهم فهو في الأجسام ريح وفي اللطائف أرواح جمع روح بفتح الراء وتسكين الواو سكونا حيا.

السؤال السابع والعشرون ومائة: ما المعية مع الخلق والأصفياء والأنبياء والخاصة والتفاوت والفرق في ذلك؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[1]، فالأينية إلينا، وقال لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[2]، فنبههما على أنه سمعهما وبصرهما تذكرة لهما أو إعلاما لم يتقدمه علم به عندهما فإنه قد صح عندنا في الخبر أن العبد إذا أحبه ربه كان سمعه وبصره الذي يسمع به ويبصر به.

فالنبي أولى بهذا ممن ليس بنبي وطبقات الأولياء كثيرة ولكن ما ذكر منها إلا ما قلناه فلا نتعدى بالجواب قدر ما سأل.

فنقول إن المعية تقتضي المناسبة فلا نأخذ من الحق إلا الوجه المناسب لا الوجه الذي يرفع المناسبة ثم إننا أردنا أن نعمم الجواب بتعميم قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[3] من الأحوال ولا يخلو موجود عن حال بل ما تخلو عين موجودة ولا معدومة أن تكون على حال وجودي أو عدمي في حال وجودها أو عدمها.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[4]، فإن قلت قوله كنتم لفظة معناها وجودي فالمعنى أينما كنتم من الوجود فنقول صحيح.

ولكن من أي الوجود من الوجود من حيث العلم بكم وما ثم إلا هو أو من حيث الوجود الذي يتصف به عين الممكنات من حيث ما هي مظاهر فحالة منها توصف العين الممكنة بها بالعدم ولهذا نقول كان هذا معدوما ووجد والكون يناقض العدم مع صحة هذا القول فيعلم عند ذلك أن قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[5] أي على أي حالة تكونون من الوصف بالعدم أو الوجود.

ثم نقول أنه مع الخلق بإعطاء كل شيء خلقا من كونهم خلقا لا غير فينجر

---

(١) سورة الحديد، الآية ٤.

(٢) سورة طه، الآية ٢٠.

(٣) سورة الحديد، الآية ٤.

(٤) سورة الحديد، الآية ٤.

(٥) سورة الحديد، الآية ٤.

معه لنه معهم بكل ما تطلبه ذواتهم من لوازمها ومعيته مع الأصفياء بما يعطيه الصفاء من التجلي فإنهم قد وصفهم بأنهم أصفياء فما هو معهم بالصفاء والاصطفاء وإنما هو معهم بما يطلبه الاصطفاء وقدم الخلق فإنه مقدم بالرتبة.

فإن الاصطفاء لا يكون إلا بعد الخلق بل هم من الخلق عند الحق بمنزلة الصفي الذي يأخذه الإمام من المغنم قبل القسمة فذلك هو نصيب الحق من الخلق وما بقى فله ولهم.

وأما معيته مع الأنبياء فبتأييد الدعوى لا بالحفظ والعصمة إلا أن أخبر بذلك في حق نبي معين فإن الله قد عرفنا أن الأنبياء قتلهم أممهم وما عصموا ولا حفظوا فلابد أن يكون ظرف المعية التأييد في الدعوى لإقامة الحجة على الأمم، فأنه قال فلله الحجة البالغة.

ولا يكون نبيا حتى يقدمه الاصطفاء فلهذا أخر النبوة عن الاصطفاء فإنه ما كل خلق مصطفى وما كل مصطفى نبي ومعيته مع الخاصة بالمحادثة برفع الوسائط بعد تبليغ ما أمر بتبليغه مثل قوله: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1] أي أستغفره من أيام التبليغ أي يرجع إليك الرجوع الخاص الذي يربي على مقام التبليغ.

فيجتمع هذا كله في الرسول وهو شخص واحد وفي كل مقام أشخاص فيكون الشخص الواحد خلقا مصطفى نبيا خاصا.

وأما معية الذات فلا تنقال فإن الذات مجهولة فلا تعلم نسبة المعية إليها فهو مع الخلق بالعلم واللطف ومع الأصفياء بالتولي ومع الأنبياء بالتأييد ومع الخاصة بالمباسطة والإنس.

---

(١) سورة النصر، الآيتان ٢، ٣.

السؤال الثامن والعشرون ومائة: ما ذكره الذي يقول: ولذكر الله أكبر؟

الجواب: ذكره نفسه لنفسه بنفسه أكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه اعلم أن الله ما قال هذا الذكر ووصفه بهذه الصفة من الكبرياء إلا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[١]، ولا تنهى عن غيرها من الطاعات فيها مما لا يخرجك فعله عن أن تكون مصليًا شرعًا.

فيكون قوله ولذكر الله فيها أكبر أعمالها وأكبر أحوالها إذ الصلاة تشتمل على أقوال وأفعال فتحريك اللسان بالذكر من المصلي من جملة أفعال الصلاة والقول المسموع من هذا التحريك هو من أقوال الصلاة.

وليس في أقوالها شيء يخرج عن ذكر الله في حال قيام وركوع ورفع وخفض إلا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسأله أن يعطيكها مثل اهدني وارزقني ولكن هو ذكر شرعًا لله.

فإن الله سمى القرآن ذكرًا وفيه أسماء الشياطين والمغضوب عليهم والمتلفظ به يسمى ذكر الله فإنه كلام الله فذكرتهم بذكر الله وهذا مما يؤيد قول من قال ليس في الوجود إلا الله فالأذكار أذكار الله، ثم إن قوله ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ ﴾[٢].

هذه الإضافة تكون من كونه ذاكرًا ومن كونه مذكورًا فهو أكبر الذاكرين وهو أكبر المذكورين وذكره أكبر الأذكار التي تظهر في المظاهر، فالذكر وإن لم يخرج عنه فإن الله قد جعل بعضه أكبر من بعض ثم يتوجه فيه قصد آخر من أجل الاسم الله فيقول ولذكر الله بهذا الاسم الذي ينعت ولا ينعت به.

ويتضمن جميع الأسماء الحسنى ولا يتضمنه شيء في حكم الدلالة أكبر من كل اسم تذكره به سبحانه من رحيم وغفور ورب وشكور وغير ذلك.

فإن لا يعطي في الدلالة ما يعطي الاسم الله لوجود الاشتراك في جميع الأسماء كلها هذا إذا أخذنا أكبر بطريق أفعل من كذا فإن لم نأخذها على أفعل من كذا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

فيكون أخبارا عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأي اسم ذكر وهو أولى بالجناب الإلهي.

وإن كانت الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[1]، فإنه كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله من فرقان وتوراة وزبور وإنجيل وصحيفة عند كل عارف بذلك اللسان فإنه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأول لعلمه الإحاطي سبحانه بجميع الوجوه.

وبقي عليه في ذلك الكلام من حيث ما يعلمه هو فكل متأول مصيب قصد الحق بتلك الكلمة هذا هو الحق الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] على قلب من اصطفاه الله به من عباده.

فلا سبيل إلى تخطئة عالم في تأويل يحتمله اللفظ فإن مخطئه في غاية من القصور في العلم ولكن لا يلزمه القول به ولا العمل بذلك التأويل إلا في حق ذلك المتأول خاصة ومن قلده.

السؤال التاسع والعشرون ومائة: قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[3] ما هذا الذكر؟

الجواب: هذا ذكر الجزاء الوفاق قال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾[4] فذكر الله في هذا الموطن هو المصلى عن سابق ذكر العبد، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾[5] اي يؤخر ذكره عن ذكركم فلا يذكركم حتى تذكروه ولا تذكرونه حتى يوفقكم ويلهمكم ذكره فيذكركم بذكره إياكم فتذكروه به أو بكم فيذكركم بكم وبه بالواو لا بأو فإن له الذكرين معا.

وقد يكون لبعض العلماء الذكران معا وقد يكون الذكر الواحد دون الآخر في

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٤) سورة النبأ، الآية ٢٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

حق بعض الناس وتختلف أحوال الذاكرين منا فمنا من يذكره في نفسه وهم على طبقات طبقة تذكره في نفسها والضمير من النفس يعود على الله من حيث ما هو وشخص يذكره في نفسه والضمير يعود على الشخص وشخص يذكره في نفسه والضمير يعود على الله من حيث ما هو خالقها لا من حيث ما هي نفسه من كونها ظاهرة في مظهر خاص.

فإذا ذكره كل شخص من هؤلاء إما بوجه واحد من هذه الوجوه أو بكل الوجوه فإن الله يذكره في نفسه وقد يكون قوله ذكرته في نفسي عين ذكر هذا العبد ربه في نفسه من حيث ما هو الضمير يعود على الله من نفسه من حيث ما هي نفسه عينا لا من حيث ما هي نفسه خلقا فيكون عين ذكر العبد هو عين ذكر الحق.

كما قلنا في قوله: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾[1] وهو عين مكرهم، عين مكر الله بهم لا أنه استأنف مكرا آخر ويؤيده أيضا بقوله: ذكرته في نفسي يريد نفس العبد مضافة إلى الله من حيث ما هي ملك له خلقا وإيجادا ويريد أيضا ذكرته في نفسي نفس الحق لا من حيث الوجه الذي ذكره به العبد من حيث نفسه نفس الحق وهو الوجه الأول، فهذه أحوال ذكر النفس بالجزاء الوفاق في كل وجه.

والحالة الثانية: أن يذكره في ملأ فيذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ، وقد يكون عين ذلك الملأ وتكون الخيرية بالحال فحال ذلك الملأ في ذكر هذا العبد لله دون حال ذلك الملأ في ذكر الله فيهم لهذا العبد فهو في هذه الحال خير منه في حال ذكر العبد والملأ واحد.

كما تتشرف الجماعة بالملك إذا كان فيها على شرفها إذا لم يكن الملك فيها، وعين الجماعة واحدة فهي خير منها ولكن بشرط أن يكون كل واحد من ذلك الملأ حاله الكشف أن الله قد ذكر هذا العبد فيهم وهم يسمعون ذكر الله إياه كما سمعوا ذكر هذا العبد ربه فحينئذ يكون الشرف في الملأ الواحد يتفاضل.

والوجه الآخر: أن يكون الملأ مغايرا لذلك الملأ فيكون خيره على هذا الملأ أما

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٤.

يكون الحق لسمعهم ذكره عبده وهو فيهم أو يكون خيره لأمر آخر تقتضيه مرتبته عند الله أما نشأة أو حالا أو علما وهذه أمور إن تأملتها انفتح لك منها علوم جمة من العلم الإلهي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السؤال الثلاثون ومائة: ما معنى الاسم؟

الجواب: أمر يحدث عن الأثر أو أمر يكون عنه الأثر أو منه ما يكون عنه الأثر ومنها ما يحدث عن الأثر إذا لم ترد به المسمى فإن أردت به المسمى فمعناه المسمى كان ما كان مركبا تركيبا معنويا أو حسيا أو غير مركب معنويا أو حسيا كلفظة رحيم أي ذات راحمة.

فالمسمى بهذه التسمية هي عين تلك النسبة الجامعة بين ذات ورحمة حتى جعل عليها من هذه النسبة اسم فاعل وإن كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات فليست بمركبة تركيبا معنويا.

فقد تكون هذه الذات مفردة معنى وفي نفسها وقد تكون مركبة حسا مثل إنسان تحته مركب حسي ومعنوي والاسم والرسم عند بعض أصحابنا نعتان يجريان في الأبد على حكم ما كان عليه أزلا وفرق بين الاسم والرسم وسيأتي ذكرهما في شرح معاني ألفاظ لأهل الله من هذا الباب فإنه يطلبها.

السؤال الحادي والثلاثون ومائة: ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الأسماء؟

الجواب: الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع وفيه الحي القيوم ولابد فإن قلت فهو الاسم الله قلت لا أدري فإنه يفعل بالخاصية وهذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كان صفة للمتلفظ بها بخلاف ذلك الاسم.

ولكن الظاهر من مذهب الترمذي إن رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير وهو الكامل وإذا كان هذا فهو الأولى في طريق القوم أن يشرح به رأس الأسماء فإن آدم علمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقا فتجلى له تجليا كليا فما بقي اسم في الحضرة الإلهية إلا ظهر له فيه فعلم من ذاته جميع أسماء خالقه.

السؤال الثاني والثلاثون ومائة: ما الاسم الذي أبهم على الخلق إلا على خاصته؟

الجواب: هذا الاسم هو الذي استوجب منه جميع الأسماء وإن شئت قلت هو اسم مركب من عشرين وثلاثين بينهما أحد وأربعون حسا ومعنى.

وقد يتركب حسا لا معنى من ثمانية وثمانين ومائتين وستة عددا فإذا جمعتها على وجه مخصوص من غير إسقاط الستة كان اسما مركبا وإن أسقطت الستة كان اسما غير مركب.

ولا ينبغي أن يوضح في العامة ما أبهمه الحق على خلقه وخص به خاصته فإن هذا من غاية سوء الأدب وما أظن الترمذي قصد بهذا السؤال طلب الشرح والإيضاح لمعناه وإنما قصد اختبار المسئول إنه إن كان من أهل الله لا يوضحه فإن أوضحه فيكون قد تلقاه من أحد غلطا ممن تلقاه منه لقرينة حال وذكاء فيه.

وأما أهل الله فعندهم من الأدب الإلهي ما يمنعهم أن يستروا ما كشف الله أو يكشفوا ما ستره الله.

السؤال الثالث والثلاثون ومائة: بما نال صاحب سليمان عليه السلام ذلك وطوى عن سليمان عليه السلام؟

الجواب: بجمعيته وتلمذته ليعرف الشيخ بما حصل عنده وبسببه وطوى عن سليمان بوجوده في محل التبديد في الوقت فإن الحكم للوقت ووقته لنه رسول فهو صاحب وجود مصروف العين إلى من أرسل إليه وصاحبه في جمعيته على أمر واحد متحقق بها.

فظهر بما طوى عن سليمان العلم به تعظيما لقدر سليمان عليه السلام عند أهل بلقيس وسائر أصحابه وما طوى عن سليمان العلم به وإنما طوى عنه الإذن في التصرف به تنزيها لمقامه.

السؤال الرابع والثلاثة ومائة: ما سبب ذلك؟

الجواب: إعلام الغير بأن التلميذ التابع إذا كان أمره بهذه المثابة فما ظنك بالشيخ، فيبقى قدر الشيخ مجهولاً في غاية التعظيم فلو ظهر على سليمان لتوهم أن هذه غايته ولا شك أن مشهد سليمان في ذلك الوقت والله أعلم كان مشهد أدب لا يريد أن يكون عنه شرك في التصرف.

كما قال أبو السعود أعطيت التصرف وتركته تظرفاً في حكاية طويلة والغرض للنبي إنما هو الدلالة وظهورها على يد صاحبه أتم في حقه إذ كان هذا التابع مصدقاً به وقائماً في خدمته بين يديه تحت أمره ونهيه فيزيد المطلوب رغبته في هذا الرسول إذا رأى بركته قد عادت على تابعيه فيرجو هذا الداخل أن يكون له بالدخول في أمره ما كان لهذا التابع والنفس مجبولة على الطمع وحب الرياسة والتقدم.

السؤال الخامس والثلاثون ومائة: ماذا أطلع من الاسم على حروفه أو معناه؟

الجواب: على حروفه دون معناه فإنه لو وقف على معناه لمنعه العمل به كما منع سليمان.

الا ترى إلى قوله تعالى في صاحب موسى: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾[1] فكانت عليه كالثوب وهو مثل الحرف على المعنى فعمل بها في غير طاعة الله فأشقاه الله وصاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد وما وقف على معناه من الأمم الخالية سوى الرسل والأنبياء فإنهم وقفوا على معناه وحروفه إلا هذه الطائفة المحمدية فإنهم جمع لبعضهم بين حروفه ومعناه ولبعضهم أعلى معناه دون حروفه وليس في هذه الأمة من أعطى حروفه دون معناه.

وكذلك صاحب الأخدود أعطى حروفه دون معناه فإنه تلقاه من الراهب كلمات كما ورد وهي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني والثلاثين ومائة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.

السؤال السادس والثلاثون ومائة: أين باب هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه؟

الجواب: بالمغرب: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة وعليه تطلع الشمس من المغرب» عندما يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفسًا إيمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الإيمان.

والمؤمن لا يغلق له باب وكيف يغلق دونه وقد جازه وتركه وراءه فمن عناية المؤمن غلقه حتى لا يخرج عليه بعدما دخل منه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك فإنه ليس له باب يخرج منه، فغلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبالاً بالكافر وجعله الله بالمغرب لأنه محل الأسرار والكتم وهو سر لا يعلمه إلا أهل الاختصاص.

فلو كان هذا الباب بالشرق لكان ظاهرًا عند العام والخاص ووقع به الفساد في العموم وهذا يناقض ما وجد له العالم من الصلاح وقد جاء في جانب الشرق من الذم ما جاء والشرق بمنزلة الخروج إلى الدنيا وهي دار الابتلاء للعام والخاص.

والغرب بمنزلة الخروج من الدنيا والدخول إلى الآخرة فإنه انتقال إلى دار التمييز والبيان ومعرفة المنازل والمراتب على ما هي عند الله تعالى فيعلم السعيد سعادته والشقي شقاوته فيظهر عند ذلك عين هذا الاسم الخفي لجميع الخلق ويحرمون الدعاء به لشغلهم بما هم فيه من الهول فيعظم في قلوبهم شدة الهول.

بحيث أن يظنوا أنه ما ثم دعاء يرد ما هم فيه ولو وفقوا للدعاء به لسعد فسبحان القدير على ما يشاء.

السؤال السابع والثلاثون ومائة: ما كسوته؟

الجواب: حال الداعي به المعنوي وكسوته على الحقيقة وحروفه إذا أخذت الاسم من طريق معناه فإن أخذته من طريق حروفه فحينئذ يكون كسوته حال الداعي به فإذا أقيم في شاهد الحس في التخيل أو الخيال فيكون كسوته الثوب السابغ الأصفر يتلوى فيه فإنه غير مخيط.

ألا ترى بقرة بني إسرائيل صفراء فاقع لونها لاشية فيها فحيي بها الميت وهو أعظم الآثار إحياء الموات حياة الإيمان وحياة العلم وحياة الحس وأعظم أثره في زمان الشتاء إذا وقع فيه شهر صفر في أول الشتاء إلى انتصافه فهو أسرع أثرًا منه في باقي الأزمنة وباقي الشهور.

ويكون الثوب صوفًا أو شعر أو وبرًا لا غير ذلك والريش منه وإنما قلنا هذا لأنه قد يظهر لقوم بنوع من أنواع ما ذكرناه من هذه الأنواع التي تلبس فلو ظهر في نوع واحد لعرفناكم به واقتصرنا عليه.

وقال بعضهم: رأيت كسوته جلدًا أصفر قد صفر بورس أو زعفران وهكذا رآه الحسين بن منصور ولكن لم يكن سابغ الثوب وإنما ستر بعض أعضائه ستر منه قدر ستة أذرع لا غير.

السؤال الثامن والثلاثون ومائة: ما حروفه؟

الجواب: الألف ولام الألف والواو والزاي والراء والدال والذال فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره وانفعل عنه جميع ما توجهه عليه هكذا هو عند الطائفة في الواقعة.

ولا تنقل عني أني أعلمه لما ذكرت فيه هذا لا يلزم فقد ننقل من الواقعة والكشف جميع ما سطرته ولا يلزم أن أكون به عالمًا.

وإنما قلت هذا لئلا يتوهم أني ما ذكرته إلا عن علم به ولكن مطلبي من الحق العبودة المحضة التي لا تشوبها ربوبية لا حسًا ولا معنى.

السؤال التاسع والثلاثون ومائة: والحروف المقطعة مفتاح كل اسم من أسمائه فأين هذه الأسماء وإنما هي ثمانية وعشرون حرفًا فأين هذه الحروف؟

الجواب: لأنه يفتح الحرف الواحد من الأسماء الإلهية أسماء كثيرة لا يحصرها عدد، وذلك لأنه إنما يفتح أسماء الأسماء التي تتركب من الحروف بحكم الاصطلاح وقد ثبت أن الحق متكلم فقد سمى نفسه من كونه متكلمًا بالكلام الذي نسب إليه

ويليق به وهذه الأسماء التي تظهر عن الحروف أسماء تلك الأسماء.

فلو أن الحرف الواحد يفتح اسما واحدا لكان كما قلت من التعجب.

ألا ترى في الأسماء المحفوظة في العموم كالملك والمصور والمان والمنان والمقتدر والمحي والمميت والمقيت والمالك والمليك والمقدم والمؤخر والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمغني والمعز والمذل فهذا واحد افتتحنا به كذا كذا اسما إلهيا مع أنا لم نستوف.

ثم لتعلم أن كل اسم في العالم هو اسمه لا اسم غيره فإنه اسم الظاهر في المظهر وليس في وسع المخلوقين حصرها ولا إحصاؤها وجميعها مفاتيحها هذه الحروف على قلتها ولك في اختلاف اللغات أعظم شاهد وأسد دليل إن فهمت مقصود القوم.

وأما قوله: فأين هذه الحروف فقل له في عوارض الأنفاس تعرض للنفس الرحماني ما يحدث عين الحرف ويعرض للحروف ما يحدث الأسماء فأينية الأسماء في الحروف وأينية الحروف الأنفاس وأينية الأنفاس الأرواح وأينية الأرواح القلوب وأينية القلوب عندية مقلبها وأسماء الحق لا تتعدد ولا تتكثر إلا في المظاهر.

وأما بالنسبة إليه فلا يحكم عليها العدد ولا أصله الذي هو الواحد فأسماؤه من حيث هو لا تتصف بالوحدة ولا بالكثرة فسؤال الإمام إنما هو عن الأسماء التي يقع بها التلفظ في عالم الحروف اللفظية ويقع بها الرقم في عالم الكتابة فتارة يراعي الرقم وتارة يراعي اللفظ.

وأما غيره فيجعل حروفا ثوالث وهي الحروف الفكرية وهي ما يضبطه الخيال من سماع المتلفظ بها أو إبصار الكاتب إياها.

السؤال الأربعون ومائة: كيف صار الألف مبتدأ الحروف؟

الجواب: لأن له الحركة المستقيمة وعن القيومية يقوم كل شيء فإن قلت إنما يقع التكوين بالحركة الأفقية فإنه لا يقع إلا بمرض والمرض ميل.

ألا ترى إلى القائلين بحكم العقل كيف جعلوا موجد العالم علة العلل والعلة

تناقض القيومية فلنقل إنما وقع الوجود بقيومية العلة.

فإنه لكل أمر قيومية فافهم فقيومية الألوهية تطلب المألوه بلا شك.

لفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وما ثم ما يناسب الألف إلا الحرف المركب وهو اللام فإنه مركب من ألف ونون.

فلما تركب حدث اللام الرقمي لا اللفظي فلام اللفظ صورته في الرقم مركب من حرفين فيفعل بالتلفظ فعل الواحد وهو عينه ويفعل بالنقش فعل الألف والنون وهكذا كل حرف مركب ويفعل فعل الراء والزاي ببعد كما يفعله النون بقرب لأن النون حرف مركب من زاي وراء ولريد حروف الرقم فابتدؤا بالألف في الرقم لما ذكرناه وانفتحت فيه أشكال الحروف كلها.

لأن أصل الأشكال الخط كما أن أصل الخط النقطة والخط هو الألف فالحروف منه تتركب وإليه تنحل فهو أصلها.

وأما الحروف اللفظية فالألف يحدثها بلا شك كما يظهر الألف عن الحرف إذا أشبعته الفتح فإنه يدل على الألف كما أنك إذا أشبعت الحرف الضم دل على ألف الميل وهو واو العلة.

وإنما ظهر عن الرفع المشبه لأن العلة أرفع من المعلول فما ظهر عن الحرف إلا بصفة الرفع البالغ ليعلم أنه وإن مال فإنه ما مال إلا عن رفعة رحمة بك ليوجدك مظهرا لخالقك.

ألا تراه في حرف الإيجاد كيف جاء برفع الكاف المشبع فقال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن، فجاء بالكاف مشبعة الضم لتدل على الواو فإن قلت وأين الواو.

قلنا غيب في السكون الذي هو الثبوت فإن الحق يستحيل عليه الحركة فلما التقى سكون الواو من كون وسكون النون اتصفت الواو بالغيب فلم تظهر ولزمت الهوية ولهذا هو الهو غيب وضمير عن غائب وبقيت النون ساكنة تدل على سكون

الواو وظهرت النون على صورة الواو في السكون وهو الثبوت كقوله: خلق آدم على صورته.

فأثبت الأسماء بوجود النون في كن أي ما ثم كائن حادث إلا عند سبب فلا يرفع الأسباب إلا جاهل بالوضع الإلهي ولا يثبت الأسباب إلا عالم كبير أديب في العلم الإلهي فعن الحروف اللفظية يوجد عالم الأرواح وعن الحروف الرقمية يوجد عالم الحس وعن الحروف الفكرية يوجد عالم العقل في الخيال ومن كل صنف من هذه الحروف تتركب أسماء الأسماء.

السؤال الحادي والأربعون ومائة: كيف كرر الألف واللام في آخره؟

الجواب: هذا يختص بحروف الرقم المناسب المزدوج وهو نظم ا ب ت ث لا حروف وضع لبجد فإن لام ألف ما ظهر إلا في نظم ا ب ت ث فإنه ناسب بين الحروف لتناسبها في الصورة بخلاف وضع أبجد.

وذلك لأن اللام كسوة الألف وجنته فإنه مستور فيها بالنون الملصقة به الذى به الذى تمم وجود اللام وجعلها في آخر النظم ليس بعدها إلا الياء لأنه ظهر في عالم التركيب وهو آخر العوالم وجاء بعده بالياء فإنه لها السفل إذ كانت إنما حدثت من إشباع حركة الخفض والخفض سفل والسفل آخر المراتب فكان تنبيها أجرى على خاطر الواضع لهذه الحروف وربما لم يقصد ذلك.

ونحن إنما ننظر في الأشياء من حيث إن البارى واضعها لا من حيث يد من ظهرت منه فلابد من القصد في ذلك والتخصيص فشرحنا لكون الحق هو الواضع لها لا غيره ولما كانت الأولية للألف انبغى أن تكون له الآخر به وكماله الظاهر في أول الحروف انبغى أن يكون له الباطن في آخر الحروف ليجمع بين الأول والآخر والظاهر والباطن والياء هي ألف الميل في عالم الحس الذى هو العالم الأسفل لحدوثها عن الخفض لتدل على الألف التى في لام ألف ولتدل على السبب الذى في شكل اللام إذا انفردت.

فإذا عانقت الألف صغرت النون في الالتواء وقابل الألف التى في اللام الألف

التى فى لام الألف حتى لا يكون بقابله إلا نفسه فقابل الألف الألف وربطت النون بينهما وهو ألف سر العبد الذى تألف بربه وهو من باب الامتنان الإلهى قال الله تعالى ممتنا على عبده: «لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» ولم يقل بين قلوبهم ولا بينها فجاء بهاء الهو فى بينهم وجعل ميم الجمع سترا عليه ليدل على ما ينسب غليه من الجمعية من حيث كثرة الأسماء له تعالى والمراد انه سبحانه ألف بين قلوب المؤمنين وبينه لانهم ما اجتمعوا على محمد ﷺ إلا بالله ولله.

فبه تألفوا التألف محمد ﷺ به فافهم لماذا كرر لا ما لألف فى نظم تناسب الحروف وهو نظم أ ب ت ث.

السؤال الثانى والأربعون ومائة: من أى حساب صار عددها ثمانية وعشرين حرفا.

الجواب لانها إنما ظهرت لأعيان الحروف فى العالم العنصرى وفى عنصر الهواء سلطانها كما أن التراب والماء للأجسام الحيوانية كما أن عنصر النار للجان والعالم العنصرى إنما نسب إلى العناصر لأنها السبب الأقرب.

والعناصر إنما حدثت عن حركات الأفلاك وحركات الأفلاك إنما قطعت ثمانيا وعشرين منزلة فى الفلك الذى قطعت فيه والعالم إنما صدر من نفس الرحمن لأنه نفس به عن الأسماء لما كانت تجده من عدم تأثيرها والنفس مناسب لعنصر الهواء فتشكلت المنازل الفلكية فى الهواء العنصرى.

لما ظهرت العناصر فلما جاء حكمه فيما تولد عن العناصر من المولدات ظهرت فى أكمل نشأة المولدات وهو الإنسان صور الحروف ثمانية وعشرين حرفا عن ثمان وعشرين منزلة والحق فيها لام الألف خطا لينبه على القاطع فى هذه المنازل وهى الكواكب السيارة فكما عمت المنازل بقوتها وتقطع فيها إيجاد الكائنات والحوادث كذلك أوجدت هذه الحروف جميع الكلمات التى لا نهاية لها دنيا وآخرة.

فقد بان لك على التقريب لم كانت ثمانية وعشرين حرفا فمن تمكن له أن يضع قلما على شكل المنازل فى طالع مخصوص وتكون الدرارى فى عقدة الرأس

فإنه يكون عن ذلك القلم متى كتب به عجائب فى سرعة ظهور ما يكتب له فى أى شيء كان حتى لو كتب به كاذب دعاء أجيب ذلك الدعاء ولم يتوقف.

السؤال الثالث والأربعون ومائة: ما قوله: خلق آدم على صورته؟

اعلم: أنه كل ما يتصوره المتصور فهو عينه لا غيره فإنه ليس بخارج عنه ولابد للعالم أن يكون متصورا للحق على ما يظهر عينه والإنسان الذى هو آدم عبارة عن مجموع العالم فإنه الإنسان الصغير وهو المختصر من العالم الكبير والعالم ما فى قوة إنسان حصره فى الإدراك لكبره وعظمه.

والإنسان صغير الحجم يحيط به الإدراك من حيث صورته وتشريحه وبما يحمله من القوى الروحانية فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الإلهى التى أبرزته وظهر عنها فارتبطت به الأسماء الإلهية كلها لم يشذ عنه منها شيء فخرج آدم على صورة الاسم الله.

إذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الأسماء الإلهية كذلك الإنسان وإن صغر جرمه فإنه يتضمن جميع المعانى ولو كان أصغر مما هو فإنه لا يزول عنه اسم الإنسان كما جوزوا دخول الجمل فى سم الخياط وإن ذلك ليس من قبيل المحال لأن الصغر والكبر العارضين فى الشخص لا يبطلان حقيقته ولا يخرجانه عنه.

والقدرة صالحة أن تخلق جملا يكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط فكان فى ذلك رجاء لهم أن يدخلوا جنة النعيم كذلك الإنسان وإن صغر جرمه عن رجم العالم فإنه يجمع جميع حقائق العالم الكبير ولهذا يسمى العقلاء العالم إنسانا كبيرًا.

ولم يبق فى الإمكان معنى إلا وقد ظهر فى العالم فقط ظهر فى مختصره والعلم تصور المعلوم والعلم من صفات العالم الذاتية فعلمه صورته وعليها خلق آدم فآدم خلقه الله على صورته وهذا المعنى لا يبطل لو عاد الضمير على آدم وتكون الصورة صورة آدم علما والصورة الآدمية حسا مطابقة للصورة ولا يقدر يتصور هذا إلا بضرب من الخيال يحدثه التخيل.

وأما نحن وأمثالنا فنعلمه من غير تصور ولكن ما جاء فى الحديث ذكر الصورة علمنا ن الله إنما أراد خلقه على الصورة من حيث إنه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور فاعتبر الله تعالى فى هذه العبارة التخيل.

وإذا أدخل سبحانه فى التخيل فما ظنك بمن سوى الحق من العالم صح عن رسول الله ﷺ انه قال لجبريل: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» فهذا تنزيل خيالى من أجل كاف التشبيه وانظر من كان السائل ومن كان المسئول ومرتبتهما من العلم بالله ولم يكن بأيدينا إلا الأخبار الواردة بالنزول والمعية واليدين واليد والعين والأعين والرجل والضحك وغير ذلك مما ينسب الحق إلى نفسه.

وهذه صورة آدم قد فصلها فى الأخبار وجمعها فى قوله خلق الله آدم على صورته فالإنسان الكامل ينظر بعين الله وهو قوله كنت بصره الذى يبصر به الحديث كذلك يتبشبش بتبشبش الله، ويضحك بضحك الله ويفرح بفرح الله ويغضب بغض الله وينسى بنسيان الله قال تعالى: نسوا الله فنسيهم وينسب جميع ما ذكرناه إلى كل ذات بحسب ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة فإن كانت الذات المنسوب إليها معلومة علم صورة نسبة هذا المنسوب وإن جهلت الذات المنسوب إليها كنت بنسبة هذا المنسوب أجهل.

فهذا الوجه الذى يليق بجواب سؤال هذا السيد فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف إسلامى أجبناه بأن الضمير يعود على آدم أى انه لم ينتقل فى أطوار الخلقة انتقال النطفة من ماء إلى إنسان خلقا بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر ولم ينتقل أيضا من طفولة إلى صبى إلى شباب إلى كهولة ولا انتقل من صغر جرم إلى كبره.

كما ينتقل الصغير من الذرية بهذا يجاب مثل هذا السائل فلكل سائل جواب يليق به.

السؤال الرابع والأربعون ومائة: ليتمنين إثنا عشر نبيا أن يكونوا من أمتى؟

الجواب: لما كانت امته خير الأمم وعندها زيادة على انبياء الأمم باتباعهم سنن هدى رسول الله ﷺ فإنهم ما اتبعوه لأنهم تقدموه وليس خيرا من كل أمة الأنبياء ونحن خير الأمم.

فنحن والأنبياء فى هذه الخيرية فى سلك واحد منخرطين لأنه ما ثم مرتبة بين النبى وأمته ومحمد خير من أمته كما كان كل نبى خيرا من امته فهو ﷺ خير الأنبياء فهؤلاء الاثنا عشر نبيا ولدوا ليلا وصاموا إلى أن ماتوا، وما افطروا نهارا مع طول أعمارهم سؤالا ورغبة ورجاء أن يكونوا من أمة محمد ﷺ.

وفى أمته انبياء اتباع وانبياء اتباع وانبياء ما هم انبياء اتباع فيتبع محمدا ﷺ ثلاثة أصناف من الأنبياء وهذه مسألة أعرض عن ذكرها أصحابنا لما فيها مما يتطرق إلى الأوهام الضعيفة من الأشكال.

وجعلهم الله اثنى عشر كما جعل الفلك الأقصى اثنى عشر برجا كل برج منها طالع نبى من هؤلاء الاثنى عشر لتكون جميع المراتب نتمنى لن تكون من أمة محمد ﷺ من الاسم الظاهر ليجمعوا بينه وبين ما حصل لهم من اسمه الباطن.

إذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه عليه السلام من اسمه الباطن إذ كان نبيا وآدم بين الماء والطين فقوله تعالى له: «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وما قال بهم إذ كان هداهم هداك الذى سرى إليهم فى الباطن من حقيقتك فمعناه من حيث العلم إذا اهتديت بهداهم فهو اهتداؤك بهديك. لأن الأولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا والأولية لك فى الآخرية ظاهر أو باطنا.

السؤال الخامس والأربعون ومائة: ما تأويل موسى: اجعلنى من أمة محمد ﷺ؟

الجواب: لما عرف موسى أن الأنبياء فى النسبة إلى محمد نسبة أمته إليه وأن نسبة أمته إليه من اسمه الباطن أراد موسى أن يجمع الله له بين الاسمين فى شرعه ثم إنه لما علم أنه تبع ولم يشك أراد إقامة جاهه عند محمد ﷺ على غيره من الرسل إذ كان التباهى يوم القيامة بالتكاثر بالأمم والأتباع وليس فى الرسل أكثرا أتباعا من موسى عليه السلام.

كما أخبر ﷺ فى الصحيح حين رأى سوادا أعظم فسأل فقيل له هذا موسى وأمته وقد قال ﷺ أنه سيد الناس يوم القيامة والسيد لا يكاثر فإذا كان موسى بدعائه من أمة محمد فى الدرجة ظاهرة وباطنة مثل ما نحن زاد هو وأمته فى سوادنا بلا شك.

وما قال عليه السلام لنى مكاثر بكم الأمم إلا فى أمم يكن لنبيها مجموع الاسمين اللذين دعا الله موسى أن يكونا له فكل من جمع بين الاسمين حشر معنا فى أمته ﷺ فيباهى موسى بأمته سائر الأنبياء الذين حشروا معنا فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر فأكبرهم أميرا أكثرهم جيشا وأكثرهم جيشا أعظمهم قدرا وحرمة عند رسول الله ﷺ.

ولهذا قال الترمذى: إنه يكون فى أمة محمد ﷺ من هو أفضل من أبى بكر الصديق عندما يرى أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ من المسلمين فإنه معلوم أن عيسى عليه الإسلام أفضل من أبى بكر وهو من أمة محمد ﷺ ومتبعيه.

وإنما ذكرناه لكون الخصم يعلم أنه لابد أن ينزل فى هذه الأمة فى آخر الزمان ويحكم بسنة محمد ﷺ مثل ما حكم الخلفاء المهديون فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويدخل بدخوله من أهل الكتاب فى الإسلام خلق كثير أيضا.

السؤال السادس والأربعون ومائة: إن لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم وقربهم إلى الله تعالى:

الجواب: يريد ليسوا بأنبياء تشريع.. لكنهم أنبياء علم، وسلوك. اهتدوا فيه بهدى أنبياء التشريع.

وقد ذكرنا مقامهم ومعنى النبوة وتفاصيلها فى هذا الباب وفى غيره من هذا الكتاب. غير أنهم ليس لهم أتباع لوجهين:

الواحد: لغنائهم فى دعائهم إلى الله على بصيرة عن نفوسهم فلا تعرفهم الاتباع وهم المسودون الوجه فى الدنيا والآخرة من السؤدد عند الرسول والأنبياء والملائكة، ومن السواد لكونهم مجهولين عند الناس فلم يكونوا فى الدنيا يعرفون ولا فى الآخرة يطلب منهم الشفاعة فهم أصحاب راحة عامة فى ذلك اليوم.

والوجه الآخر: أنهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم أتباع فإذا كان فى القيامة جاءت الأنبياء خائفة يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم لا على أنفسهم، وجاء غير الأنبياء خائفين يحزنهم الفزع الأكبر على أنفسهم وجاءت هذه الطائفة مستريحة

غير خائفة لا على نفوسهم، ولا يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم إذ لم يكن لهم أمـم وفيهم قال الله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1] .

أن يرتفع الحزن والخوف فيه عنكم في حـق أنفسكم وحـق الأمـم إذ لم تكـن لكم أمة ولا تعرفتم لأمة مع انتفاع الأمـة بكـم ففـي هـذه الحـال تغبطهم الأنبيـاء المتبوعون أولئك المهيمون في جلال الله العارفون الذيـن لم تفـرض عليـهم الدعـوة إلى الله. انتهى الجزء التسعون.

السؤال السابع والأربعون ومائة: ما تأويل قول: بسم الله؟

الجواب: هو للعبد في التكوين بمنزلة كن للحق فيه يتكون عن بعض النـاس ما شاءوا قال الحلاج: بسم الله من العبد بمنزلة كن من الحـق ولكـن بعـض العبادلـة كـن دون بسـم الله وهـم الأكـابر جـاء عـن رسـول الله ﷺ فـي غـزوة تبـوك أنـهم رأوا شخصا فلم يعرفوه فقال رسول الله ﷺ كن أبا ذر فإذا . هو أبـو ذر ولم يقـل بسـم الله فكانت كن منـه كن الإلهيـة.

فإنـه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل كنت سمعه وبصره ولسانه الـذي يتكلم بـه.

وقد شهد الله لمحمد ﷺ بأن له نافلة بقـوله تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[2] فلابد أن يكون سمعه الحق وبصره الحق وكلامه الحق ولم يشـهد بـها لأحد من الخلق على التعيين فعلامة من لم تستغرق فرائضـه نوافلـه وفضلت لـه نوافل أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة وجعل علامتها أن يكـون الحق سمعـهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم.

ولهذا دعا رسول الله ﷺ أن يكون كله نور. فإن الله نور السموات والأرض ولهـذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٧٩.

وتقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء فاختلفت العبارات وتوحد المعنى.

ونحن نرغب إلى الله ونضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبودتنا.

السؤال الثامن والأربعون ومائة: قوله: السلام عليك أيها النبي.

الجواب: لما كانت الأنبياء بصفة تقتضي الاعتراض والتسليم شرع للمؤمن التسليم ومن سلم لم يطلب على العلة في كل ما جاء به النبي ولا في مسالة من مسائله.

فإن جاء النبي بالعلة قبلها كما قبل المعاول وإن لم يجئ بها سلم فقال: السلام عليك أيها النبي.

وقد بينا معناها في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد وإذا قال هذا النبي فالمسلم عليه منه هو الروح.

السؤال التاسع والأربعون ومائة: قوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

الجواب: يريد التسليم علينا لنا إذ فينا ما يقتضيه الاعتراض منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترضه.

ولا سيما إذا رأينا أن الحكم الذي يقتضي الاعتراض صدر من الظاهر في هذا المظهر الذي هو عيني فنسلم ولابد علينا وعلى عباد الله الصالحين للاشتراك في العطف أي لا يصح هذا العطف بعباد الله الصالحين إلا بأن يكون بتلك الصفة الصالحة.

وحينئذ يكون السلام علينا حقيقة وقد بينا أيضا هذا المعنى في باب الصلاة من هذا الكاتب في فصول التشهد قال تعالى ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [1] فقد أمرنا بالسلام علينا لنحظى بجميع المراتب في امتثال الأمر الإلهي .

---

(١) سورة النور، الآية ٦١.

وهذا يدلك على أن الإنسان ينبغى أن يكون فى صلاته أجنبيا عن نفسه بربه حتى يصح له أن يسلم عليه بكلام ربه .

فإنه قال «تحية من عند الله مباركة طيبة» فهو سلام الله على عبده وأنت ترجمانه إليك.

السؤال الخمسون ومائة: أهل بيتى أمان لأمتى.

الجواب: قال ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» فكل عبد له صفات سيده وأنه لما قام عبد الله فأضاف إليه صفة أى صفته العبودة واسمه محمد، وأحمد وأهل القرآن هم أهل الله فإنهم موصوفون بصفة الله وهو القرآن والقرآن أمان فإنه شفاء ورحمة وأمته ﷺ من بعث إليهم وأهل بيته من كان موصوفا بصفته فسعد الطالح ببركة الصالح فدخل الكل فى رحمة الله.

فانظر ما تحت هذه اللفظة من الرحمة الإلهية بأمة محمد ﷺ وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [١] ووصف النبى ﷺ بالرحمة فقال: ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٢] وما من أحد من الأمة الا وهو مؤمن بالله .

وقد بينا فيما تقدم من هذا الكتاب فى باب «سلمان منا أهل البيت» فأغنى عن الكلام فى أهل البيت طلبا للاختصار.

قال تعالى لما وصف ووصى لأزواج النبى ﷺ بقوله: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [٣] .

ثم أعلمهم أن ذلك كله بكونهن لأزواجه ﷺ حتى لا ينسبن إلى قبيح فيعود ذلك العار على بيت رسول الله ﷺ فببركة أهل البيت وما أراد الله به من التطهير بقوله: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» تفعل الأزواج ما

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٢.

أوصيناهن به ويطهركم تطهيرا من دنس الأقوال المنسوبة إلى الفحش وهو الرجس فإن الرجس هو القذر.

فكان أهل البيت أمانا لأزواج رسول الله ﷺ من الوقوع فى المخالفات التى يعود عارها على أهل البيت.

فكذلك أمة محمد ﷺ لو خلدت فى النار لعاد العار والقدح فى منصب النبى ﷺ ولهذا يقول أهل النار: ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾ [١] وهو من دخل النار من أمة محمد ﷺ التى بث إليها ف مشارق الأرض ومغاربها فكما طهر الله بيت النبوة فى الدنيا بما ذكره مما يليق بالدنيا. كذلك الذى يليق بالآخرة إنما هو الخروج فلا يبقى فى النار موحد ممن بعث إليه رسول الله ﷺ بل ولا أحد ممن بعث إليه يبقى شقيا ولو بقى فى النار فإنها ترجع عليه بردا وسلاما من بركة أهل البيت فى الآخرة.

فما أعظم بركة أهل البيت فإنه من حين بعث رسول الله ﷺ انطلق على جميع من فى الأرض من الناس أمة محمد إلى يوم القيامة فالمؤمنون به منهم يحشرون معه وغير المؤمنين به يحشرون إليه.

وقد أعلم أنه ما أرسل إلا رحمة للعالمين ولم يقل للمؤمنين خاصة وقد قيل له لما دعا فى الصلاة على رعل وذكوان وعصية ما بعثك الله سبابا ولا لعانا أى طرادا أى لا تطرد عن رحمتى من بعثتك إليه وإن كان كافرا وإنما بعثتك رحمة وهو قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً ﴾ [٢].

فإذا حشروا إليه وهم أمته وهو بهذه المثابة من الرحمة التى فطره عليها والرحمة التى بعث بها فيرحم منهم من يقتضى ذلك الموطن أن يرحم فإنه حكيم والذى لا يقتضى ذلك الموطن أن يرحمه يقول فيه سحقا سحقا أدبا مع الله حتى يتجلى الحق فى صفة غير تلك الصفة مما يقتضى الإسعاف فى الجميع فعند

---

(١) سورة ص : الآية ٦٢.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

ذلك تظهر بركته ورحمته ﷺ فيمن بعث إليهم بما يرحمهم الله به وينقلهم من النار إلى الجنان ومن حال الشقاء إلى حال السعادة .

وإن كانوا مخلدين فى النار فإن الحكم يقضى بحكم الموطن كرجل مقرب عند مليك رأى الملك فى حال غضب على عبد من عبيده فلا ينبغى له فى الأدب أن يشفع فيه فى تلك الحال ولكن ينبغى له أن يقول أزيلوه من بين يدى الملك واجعلوه فى الحبس وقيدوه فإنه لا يصلح لشيء من الخير.

هذا العبد الآبق الكافر نعمة سيده كل ذلك بمرأى من سيده فإذا تجلى ذلك السيد فى حال بسط ورضا وزال ذلك العبد إلى السجن والقيد وبعد عن الرحمة وإن كان فى رحمة حينئذ يليق بهذا المقرب أن يقول للسيد يا مولانا فلان على كل حال هو عبدك وماله راحم سواك.

وإلى من يلجأ إن طردته ومن يوسع عليه إن ضيقت عليه وهو محسوب عليك وفى هذا من العار بالحضرة أن يقال فيه أنه لم يحترم سيده إذا رءى معاقبا والحضرة أجل من أن يقال عنها أنها لم تحترم فإذا عفوت عنه وألحقته بالسعداء استتر الأمر.

وأنا يا مولاى أغار أن ينسب إلى هذه الحضرة ما يشينها ومثل هذا الكلام مع البسط الذى هو عليه السيد واقتضى الموضع الشفاعة فيه فيأمر السيد بتبديل حال الشقاء عنه بحال السعادة وأن يخلع عليه خلع الرضا وإن بقى محبوسا فيصير له ذلك الدار والمنزل ملكا ويهبه له ربه ملكا ويرجع عذابه نعيما وهو أبلغ فى القدرة.

هذا إن كانت تلك الدار سكناه أو يأمر بإخراجه إلى منازل السعداء فهكذا الناس يوم القيامة فى بركة أهل البيت ممن بعث إليه ﷺ فما أسعد هذه الأمة فإن اعتبر الله البيت اعتبار الباطن إذ كان كل شرع متقدم شرع محمد ﷺ بمنزلة طلوع الفجر إلى حين طلوع الشمس فكان ذلك الضوء وتزايده من الشمس فتكون أمة محمد ﷺ من آدم إلى آخر إنسان يوجد فيكون الكل من أمة محمد ﷺ فينال الكل بركة أهل البيت فيسعد الجميع .

الا تراه يقول يوم القيامة: أنا سيد الناس فلم يخص ولم يقل أنا سيد أمتى ثم إنه ما ذكر بعد هذه اللفظة إلا حديث الشفاعة فقال: أتدرون بما ذاك .وذكر حديث الشفاعة يوم القيامة وهو معنى ما أشرنا إليه آنفا .

فإن فهمت ما أومأنا إليه فافعل ما شئت فقد غفر لك أنه واسع المغفرة.

السؤال الحادي والخمسون ومائة: قوله: آل محمد؟

الجواب: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي آل وعدة وآلي وعدتي المؤمن» ومن أسمائه تعالى: «المؤمن» وهو العدة لكل شدة والآل يعظم الأشخاص فعظم الأشخاص في السراب يسمى الآل.

فآل محمد هم العظماء بمحمد ﷺ مثل السراب يعظم من يكون فيه وأنت تحسبه محمدا العظيم الشأن كما تحسب السراب ماء وهو ماء في رأي العين فإذا جئت محمد ﷺ لم تجد محمدا ووجدت الله في صورة محمدية ورأيته برؤية محمدية كما إنك إذا جئت إلى السراب لتجده كما أعطاك النظر فلم تجده في شيئيته ما أعطاك النظر ووجدت الله عنده اي عرفت أن معرفتك بالله مثل معرفتك بالسراب أنه ماء فإذا به ليس ماء وتراه العين ماء.

فكذلك إذا قلت عرفت الله وتحققت بالمعرفة عرفت أنك ما عرفت الله فالعجز عن معرفته هي المعرفة به فما حصل بيدك إلا انه لا يتحصل لا حد من خلقه وكل من استند إلي الله عظم في القلوب وعند العارفين بالله وعند العامة كما أنه من كان في السراب عظم شخصه في رأي العين ويسمى ذلك الشخص: آلا. وهو في نفسه على خلاف ما تراه العيون من التضاؤل تحت جلال الله وعظمته.

كذلك محمد يتضاءل تضاؤل السراب في جنب الله لوجود الله عنده فهذا إذا فهمت ما قلنا معنى آل محمد.

السؤال الثاني والخمسون ومائة: أين خزائن الحجية من خزائن الكلام من خزائن علم التدبير؟

الجواب: في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[١] بكل وجه فأوله تدبير وهي الخزائن العامة وهو قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[٢] وفي هذه الخزائن خزائن الكلام لأن خزائن علم التدبير تحوى على خزائن شتى منها خزائن الكلام وهو في قوله: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾[٣]، بالكلام وفي خزائن الكلام خزائن الحجة في مقابلة المعارض وهو الذي لا يعرف الله معرفة ذوق وهم أصحاب الأدلة العقلية فإنهم لا يقبلون ما جاءت به الشرائع من صفات الحق التي لو قالها غير النبي جهله العقلاء بأدلتهم وكفره المؤمنون وهو ما قال إلا ما قيل له.

فمتى ما لم يكن ذوقا لم يخلص خاطر سامعه من الإنكار بقلبه من حيث عقله ثم خزائن الحجة خصوص في خزائن الكلام وهو القول المعجز. وهو قول الحق والصدق وكذا رأيته في الواقعة مثل القرآن فهو حجة من الكلام: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[٤]، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٥].

لأنه أتى من خزائن الحجة وسائر الكتب والصحف من خزائن الكلام وسائر المخلوقات من خزائن علم التدبير.

السؤال الثالث والخمسون ومائة: أين خزائن علم البدء؟

الجواب: في المساوقة الوجودية لأن الله لم يزل عالما بأنه الإله وأن الممكن مألوه وأن العدم للممكن نعت أزلي وأنه لم يزل مظهرا للحق فخزانة علم الله من علم البدء هو معرفة مرتبة الاسم الله من الاسم المبدئ كما يقال أين خزانة علم المبدئ من علم المعيد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.
(٢) سورة يونس، الآية ٣.
(٣) سورة يونس، الآية ٥.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣.
(٥) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

فإن الظرفية لا تخلو إما أن تكون مكانية أو زمانية ولا مكان ولا زمان فإنهما هما اللذان يعطيان المقدار وأين كذا من كذا يطلب المقدار فغاية أن يقال في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني وهي مرتبة الواجب الوجود الذاتي كما نقول في الممكن انه في مرتبة الوجوب الإمكان الذاتي.

والعلم بهذا هو علم سر السر وهو الأخفى وهو العلم الذي انفرد به الحق دون ما سواه.

ولا يعلم هذا إلا بالتحلي -بالحاء المهملة- فإن قلت وما التحلي؟

قلنا الاتصاف بالأخلاق الإلهية المعبر عنها في الطريق بالتخلق بالأسماء وعندنا التحلي ظهور أوصاف العبودة دائما مع وجود التخلق بالأسماء فإن غاب عن هذا التحلي كان التخلق بالأسماء عليه وبالا.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1] وتحلي العبد بأوصاف العبودة وهو من تخلقه بالأخلاق الإلهية ولكن أكثر الناس لا يعقلون فلو عرفوا معنى ما ورد في القرآن والسنة من وصف الحق سبحانه نفسه بما لا يقبله العقل إلا بالتأويل إلا نزه ما نفروا من ذلك إذا سمعوه من أمثالنا.

فإن العبودة أعني معقولها إن كان أمرا وجوديا فهو عينه فإن الوجود له وإنما حلق لما كانت أعيان الممكنات مظاهره عظم على العقول أن تنسب إلى الله ما نسبه لنفسه فلما ظهر المقام الذي وراء طور العقل بالنبوة وعملت الطائفة عليه بالإيمان أعطاهم الكشف ما أحاله العقل من حيث فكره وهو في نفس الأمر ليس على ما حكم به وهذا من خصائص التصوف.

فإن قلت: وما التصوف؟ قلنا: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهي مكارم الأخلاق وهو أن تعامل كل شيء بما يليق به مما يحمده منك ولا تقدر على هذا حتى تكون من أهل اليقظة.

---

(١) سورة غافر: الآية ٣٥.

فإن قلت: وما اليقظة حتى أكون من أهلها؟

قلنا: اليقظة الفهم عن الله في زجره فإذا فهمت عن الله انتبهت.

فإن قلت: فما الانتباه؟

قلنا: هو زجر الحق عبده على طريق العناية وهذا لا يحصل إلا لأهل العبودة.

فإن قلت: وما العبودة؟

قلنا: نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه فإن انتسب إلى نفسه فتلك العبودية لا العبودة فالعبودة أتم حتى لا يحكم عليه مقام السواء.

فإن قلت: وما السوا؟

قلنا: بطون الحق في الخلق وبطون الخلق في الحق.

وهذا لا يكون إلا فيمن عرف أنه مظهر للحق فيكون عند ذلك باطنا للحق وهنا وردت الفهوانية.

فإن قلت: وما الفهوانية؟

قلنا: خطاب الحق كافحة في عالم المثال وهو قوله ﷺ في الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» ومن هناك تعلم الهو.

فإن قلت : وما الهو؟

قلنا: الغيب الذاتي الذي لا يصح شهوده فليس هو ظاهرا ولا مظهرا وهو المطلوب الذي أوضحه اللسن.

فإن قلت: وما اللسن؟

قلنا: ما يقع به الإفصاح الإلهي لآذان العارفين، وهي كلمة الحضرة.

فإن قلت: وما كلمة الحضرة؟

قلنا: كن ولا يقال كن إلا لذي رؤية ليعلم من يقوله له كن على الشهود.

فإن قلت: ما الرؤية؟

قلنا: المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة حيث كان وهو لأصحاب النعت.

فإن قلت: وما النعت؟

قلنا: ما طلب النسب العدمية كالأول ولا يعرفه إلا عبيد الصفة.

فإن قلت: وما الصفة؟

قلنا: ما طلب المعنى الوجودي كالعالم والعلم لأهل الحد.

فإن قلت: وما الحد؟

قلنا: الفصل بينك وبينه لتعرف من أنت فتعرف أنه هو فتلزم الأدب معه وهو يوم عيدك.

فإن قلت: وما العيد؟

قلنا: ما يعود عليك في قلبك من التجلي بعود الأعمال وهو قوله ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا فطوبى لأهل القدم».

فإن قلت: وما القدم؟

قلنا: ما ثبت للعبد في علم الحق به، قال تعالى: ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾[1]، اي سابق عناية عند ربهم في علم الله ويتميز ذلك في الكرسي.

فإن قلت: وما الكرسي؟

قلنا: علم الأمر والنهي فإنه قد ورد في الخبر أن الكرسي موضع القدمين قدم الأمر وقدم النهي الذي قيده العرش.

فإن قلت: وما العرش؟

---

(١) سورة يونس: الآية ٢.

قلنا: مستوى الأسماء المقيدة وفيه ظهرت صورة المثل من ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾[1] وهذا هو المثل الثابت.

فإن قلت: وما المثل؟

قلنا: المخلوق على الصورة الإلهية الواردة في قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»، وقال تعالى فيه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾[2]، وهو نائب الحق الظاهر بصورته وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أظهره النائب ومشهد هذا النائب حجاب العزة لئلا يغلط في نفسه.

فإن قلت: ما حجاب العزة؟

قلنا: العمى والحيرة فإنه المانع من الوصول إلى علم الأمر على ما هو عليه في نفسه ولا يقف على حقيقة هذا الأمر إلا أهل المطلع.

فإن قلت: وما المطلع؟

قلنا: الناظر إلى الكون بعين الحق ومن هنالك يعلم ما هو ملك الملك.

فإن قلت: وما هو ملك الملك؟ قلنا: هو الحق في مجازاة العبد على ما كان منه مما أمر به وما لم يؤمر به ويختص بهذا الأمر عالم الملكوت.

فإن قلت: وما عالم الملكوت؟

قلنا: عالم المعاني والغيب والارتقاء إليه من عالم الملك.

فإن قلت: وما عالم الملك؟

قلنا: عالم الشهادة والحرف وبينهما عالم البرزخ.

فإن قلت: وما عالم البرزخ؟

قلنا: عالم الخيال ويسميه بعض أهل الطريق عالم الجبروت، وهكذا هو عندي.

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.

ويقول فيه أبو طالب صاحب القوت وعالم الجبروت هو العالم الذي أشهد العظمة وهم خواص عالم الملكوت ولهم الكمال.

فإن قلت: وما الكمال؟

قلنا: التنزه عن الصفات وآثارها ولا يعرفها إلا الساكن بأرين.

فإن قلت: وما أرين؟

قلنا: عبارة عن الاعتدال في قوله ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1]، فإن أرين موضع خط اعتدال الليل والنهار فاستعاروه، وقد ذكر منهم عبد المنعم بن حسان الجلباني في مختصره غاية النجاة له ولقيته وسألته عن ذلك فقال فيه ما شرحناه.

وصاحب هذا المقام هو صاحب الرداء.

فإن قلت: وما الرداء؟

قلنا: الظهور بصفات الحق في الكون.

فإن قلت: وما الكون؟

قلنا: كل أمر وجودي وهو خلاف الباطل.

فإن قلت: وما يريد أهل الله بالباطل؟

قلنا: العدم ويقابل الباطل الحق.

فإن قلت: وما الحق عندهم؟

قلنا: ما وجب على العبد القيام به من جانب الله وما أوجبه الرب للعباد على نفسه إذا كان هو العالم.

فإن قلت: وما العالم والعلم؟

قلنا: العالم من أشهده الله ألوهته وذاته ولم يظهر عليه حال والعلم حاله

---

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

لكن بشرط أن يفرق بينه وبين المعرفة والعارف.

فإن قلت: وما المعرفة والعارف؟

قلنا: من مشهده الرب لا اسم الإلهي غيره فظهرت منه الأحوال والمعرفة حاله وهو من عالم الخلق كما أن العالم من عالم الأمر.

فإن قلت: وما عالم الخلق والأمر؟ والله يقول ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(١).

قلنا: عالم الأمر ما وجد عن الله لا عند سبب حادث وعالم الخلق ما أوجده الله عند سبب حادث فالغيب فيه مستور.

فإن قلت: وما الغيب في اصطلاحكم؟

قلنا: الغيب ما ستره الحق عنك منك لا منه ولهذا يشار إليه.

فإن قلت: وما الإشارة؟

قلنا: الإشارة نداء على رأس البعد يكون في القرب مع حضور الغير ويكون مع البعد في العموم والخصوص.

فإن قلت: وما العموم والخصوص عندهم؟

قلنا: العموم ما يقع في الصفات من الاشتراك والخصوص ما يقع به الانفراد وهو أحدية كل شيء وهو لب اللب.

فإن قلت: وما لب اللب؟

قلنا: مادة النور الإلهي ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾(٢) فلب اللب هو قوله نور على نور.

فإن قلت: وما اللب؟

قلنا: ماصين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالسوا وهو القشر.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

فإن قلت: وما القشر؟

قلنا: كل علم يصون عين المحقق من الفساد لما يتجلى له من خلف حجاب الظل.

فإن قلت: وما الظن؟

قلنا: وجود الراحة خلف خجاب الضياء.

فإن قلت: وما الضياء.

قلنا : ما ترى به الأغيار بعين الحق فالظل من اثر الظلمة والضياء من أثر النور والعين واحدة.

فإن قلت: وما الظلمة والنور اللذان عنهما الظل والضياء؟

قلنا: النور كل وارد إلا هي ينفر الكون عن القلب والظلمة قد يطلقونها على العلم بالذات فإنه لا يكشف معها غيرها أو أكثر ما يعلم هنين أرباب الأجساد.

فإن قلت: وما الجسد؟

قلنا: كل روح أو معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السوا.

فإن قلت: وما السوا؟

قلنا: الغير الذي يتعشق بالمنصات.

فإن قلت: وما المنصة؟

قلنا: مجلى الأعراس وهي تجليات روحانية آلية.

فإن قلت ومم الأل؟

قلنا: كل اسم إلهي أضيف إلى ملك أو روحاني مثل جبريل وميكائيل أو عبد أل وبأيديهم الطبع والختم.

فإن قلت: وما الطبع والختم؟

قلنا: الختم علامة الحق على القلوب العارفين والطبع ما سبق به العلم في حق كل مختص من الإلهيين.

فإن قلت: وما الإلهية؟

قلنا: كل اسم الهي يضاف إلى البشر مثل عبد الله وعبد الرحمن وهم الخارجون عن الرعونة.

فإن قلت: وما الرعونة؟

قلنا: الوقوف مع الطبع بخلاف أهل الآنية فإنه واقفون مع الحق.

فإن قلت: وما الآنية؟

قلنا: الحقيقة بطريق الإضافة وهم المعتكفون على اللوح المشاهدون للقلم الناظرون في النون المستمدون من الهوية القائلون بالإنابة الناطقون بالاتحاد، فتصيير الذاتيين ذاتا واحدة، فأما عبد وأما رب ولا يكون إلا في العدد وفي الطبيعة وهو حال، وأما الجرس فإجمال الخطاب بضرب من القهر لقوة الوارد وهذا كله لا يناله إلا أهل النوالة.

فإن قلت: وما النوالة؟

قلنا: الخلع التي تخص الأفراد من الرجال وقد تكون الخلع مطلقا ومع هذا فهم في الحجاب.

فإن قلت: وما الحجاب؟

قلنا: ما ستر مطلوبك عن عينك إذا كان الحجاب مما يلي المخدع.

فإن قلت: وما المخدع؟

قلنا: موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين عندما يخلع عليهم وهو خزانة الخلع والخازن وهو القطب قال محمد بن قائد الأواني رقيت حتى لم أرى أمامي سوى قدم واحدة فغرت فقيل هي قدم نبيك فسكن جاشي وكان من الأفراد وتخيل أن ما فوقه إلا نبيه ولا تقدمه غيره وصدق ﷺ فإنه ما شاهد سوى طريقة وطريقة فما سلك عليها غير نبيه وقيل له هل رأيت عبد القادر قال ما رأيت عبد القادر في الحضرة فقيل ذلك لعبد القادر قال صدق ابن قائد في قوله، فإني كنت في

المخدع ومن عندي خرجت له النوالة وسماها بعينها فسئل ابن قائد عن النوالة ما صفتها، فقال مثل ما قال عبد القادر فكان أحدهما من أهل الخلوة والآخر من أهل الجلوة.

فإن قلت: وما الخلوة والجلوة؟

قلنا: الجلوة خروج العبد من الخلوة بنعوت الحق فيحرق ما أدركه بصره والخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد وهناك يكون الصعق.

فإن قلت: وما الصعق؟

قلنا: الفنا عند التجلي الرباني وهو لأهل الرجاء لأهل الخوف.

فإن قلت: وما الرجاء والخوف؟

قلنا: الرجاء الطمع في الآجل والخوف ما تحذر من المكروه وفي المستأنف ولهذا يجنح إلى التولي وهو رجوعك إليك منه بعد التلقي.

فإن قلت: وما التلقي؟

قلنا: أخذك ما يرد من الحق عليك عند الترقي.

فإن قلت: وما الترقي؟ قلنا التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف نفسا وقلبا وحقا طلبا للتداني.

فإن قلت: وما التداني؟

قلنا: معراج المقربين إلى التدلي.

فإن قلت: وما التدلي؟

قلنا: نزول الحق إليهم ونزولهم لمن هو دونهم بسكينة.

فإن قلت: وما السكينة؟

قلنا: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب بالحرف.

فإن قلت: وما الحرف؟

قلنا: ما يخاطبك به الحق من العبارات مثل ما أنزل القرآن على سبعة أحرف والحرف في صورة في السبحة السوداء.

فإن قلت: وما السبحة؟

قلنا: الهباء الذي فتح فيه صورة أجسام العالم المنفعل عن الزمردة الخضراء.

فإن قلت: وما الزمردة الخضراء؟

قلنا: النفس المنبعثة عن الدرة البيضاء.

فإن قلت وما الدرة البيضاء؟

قلنا: العقل الأول صاحب علم السمسمة.

فإن قلت: وما السمسمة؟

قلنا: معرفة دقيقة في غاية الخفاء تدق عن العبارة ولا تدرك بالإشارة مع كونها ثمرة شجرة.

فإن قلت: وما هذا الشجرة؟

قلنا: الإنسان الكامل مدبر هيكل الغراب.

فإن قلت: وما الغراب؟

قلنا: الجسم الكل الذي ينظر إليه العقاب بوساطة الورقاء.

فإن قلت: وما العقاب؟

قلنا: الروح الإلهي الذي ينفخ الحق منه في الهياكل كأنها أرواحها المحركة لها والمسكنة والورقاء النفس التي بين الطبيعة والعقل دون الطبيعة وهي العنقاء.

فإن قلت: وما العنقاء؟

قلنا: الهباء لا موجود ولا معدوم على أنها تتمثل في الواقعة.

فإن قلت: وما الواقعة؟

قلنا: ما يرد على القلب من العالم العلوي بأي طريق كان من خطاب أو مثال أو غير ذلك على يد الغوث.

فإن قلت: وما الغوث؟

قلنا: صاحب الزمان وواحده وقد يكون ما يعطيه على يد إلياس.

فإن قلت: وما إلياس؟

قلنا: عبارة عن القبض وقد يكون ما يعطيه على يد الخضر.

فإن قلت ما الخضر؟

قلنا: عبارة عن البسط وهذه العطايا من بحر الزوائد.

فإن قلت: وما الزوائد؟

قلنا: زيادات الإيمان بالغيب واليقين ولها رجال مخصوصون ذكرناهم في أول الباب فإنه موقنون هم عشرة أشخاص لا يزيدون ولا ينقصون غير أنهم قد يكون منهم نساء بوجدهم الاسم والرسم.

فإن قلت: وما الاسم والرسم؟

قلنا: الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل والاسم الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية عند الوصل.

فإن قلت: وما الوصل؟

قلنا: إدراك الفائت وهو أول الفتوح.

فإن قلت: وما الفتوح؟

قلنا: فتوح العبارة في الظاهر وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح المكاشفة لتصحيح المطالعة.

فإن قلت: وما المطالعة؟

قلنا: توقيعات الحق تعالى للعارفين ابتداء وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون وفيها أقول:

خرج التوقيع لي بالأمان ... ولتحاذر غائلات الأماني
ينقضي الدهر ولا شيء منها ... حاصل قد ملكته اليدان
فاشتغل بي لا تخالط سواي ... فسواي شأنه غير شأني
لا يغرنك عبدي المثاني ... فأما الثاني ولست بثاني
يشتهي من ظل بي مستهاما ... أن يراني أو يرى من رآني
وأنا أقرب منه إليه ... فليزل عني حكم المكان
فيراني منه فيه بعيني ... أن عين الغير ليست تراني

والمطالعة لا تكون إلا لأهل الحرية.

فإن قلت: وما الحرية؟

قلنا: إقامة حقوق العبودية لله تعالى فهو حر عما سوى الله لأجل الغيرة الإلهية، فإن الله غيور ومن غيرته حرم الفواحش.

فإن قلت: وما الغيرة لنا تطلق في الطريق بإزاء ثلاثة معان غيرة في الحق لتعدي الحدود، وغير تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر، وغير الحق ضنته على أوليائه وهم الضنائن أصحاب الهمم.

فإن قلت: وما الهمة؟

قلنا: تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى، وبإزاء أول صدق المريد بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام هذا عند أهل الغربة.

فإن قلت: وما الغربة؟

قلنا: مفارقة الوطن في طلب المقصود غربة عن الحال ومن حقيقة النفوذ فيه وغربة عن الحق من الدهش عن المعرفة لحكم الاصطلام.

فإن قلت: وما الاصطلام؟

قلنا: نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه حذر المكر، فإن قلت وما المكر؟

قلنا: أرداف النعم مع المخالفة، وقد رأيناه في أشخاص وإبقاء الحال مع سوء الأدب وهو الغالب على أهل العراق وما نجى منه في علمنا إلا أبو السعود بن الشبل سيد وقته وإظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولا حد وهي عندنا خرق عوايد لا كرامات إلا أن يقصد بها المتحدث التحدث بالنعم، ولكن تمنع العارفين من مثل هذه الرهبة.

فإن قلت: وما الرهبة؟

قلنا: رهبة الظاهر لتحقيق الوعيد ورهبة الباطن لتقلب العلم ورهبة لتحقيق أمر السبق ولكن بعد السبق الرغبة.

فإن قلت: وما الرغبة؟

قلنا: رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق وهو مقام التمكين.

فإن قلت: وما التمكين؟

قلنا: عندنا هو التمكن في التكوين وعند الجماعة حال أهل الوصول في الحق وهو مقام التمكين.

فإن قلت: وما التمكين؟

قلنا: عندنا هو التمكن في التكوين وعند الجماعة حال أهل الوصول وعدلنا نحن فيه إلى ما قلناه لقوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[1]، وعدلت الجماعة إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[2]، وهذه الآية أيضا

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤١.

تعضدنا فيما ذهبنا إليه فالتمكين في التلوين أولى.

فإن قلت: فما التلوين؟

قلنا: تنقل العبد في أحواله وهو عند الأكثرين مقام ناقص وعندنا هو أكمل المقامات لأنه موضع التشبه بالمطلوب للإنسان وسببه الهجوم.

فإن قلت: وما الهجوم؟

قلنا: ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك عقيب البواده.

فإن قلت: وما البواده؟

قلنا: ما يفاجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة، أما موجب فرح أو موجب ترح ولكن مع كونها بواده لابد أن يتقدمها لوامع.

فإن قلت: وما اللوامع؟

قلنا: ما ثبت من أنوار التجلي وقتين وقريب من ذلك بعد الطوالع.

فإن قلت: وما اللوائح؟

قلنا: ما يلوح للأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال هذا عند القوم وعندنا هي ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة السلب وهي من أحوال أهل المسامرة.

فإن قلت: وما السمر؟

قلنا: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الروح الأمين على قلبك وهو خصوص في المحادثة.

فإن قلت: وما المحادثة؟

قلنا: خطاب الحق للعارفين من عباده من عالم الملك كالنداء من الشجرة لموسى وهو فرع عن المشاهدة.

فإن قلت: وما المشاهدة؟

قلنا: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد وتكون أيضا رؤية الحق في الأشياء وتكون أيضا حقيقة اليقين من غير شك، وهي تتلو المكاشفة وقد قيل تتلوها المكاشفة، وقد قيل تتلوها المكاشفة.

فإن قلت: وما المكاشفة؟

قلنا: تحقيق الأمانة بالفهم، وتحقيق زيادة الحال وتحقيق الإشارة التي تعطيها المحاضرة.

فإن قلت: وما المحاضرة؟

قلنا: حضور القلب بتواتر البرهان وعندنا مجاراة الأسماء بينها بما هي عليه من الحقائق في وقت التخلي.

فإن قلت: وما التخلي؟

قلنا: اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق طلب التجلي بالجيم.

فإن قلت: وما التجلي؟

قلنا: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب بعد الستر.

فإن قلت: وما الستر؟

قلنا: كل ما سترك عن ما يغنيك وقيل هو غطاء الكون وقد يكون الوقوف مع العادات وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال ما لم يغلب سلطان المحق.

فإن قلت: وما المحق؟

قلنا: فناؤك في عينيه بعد تحكم السحق.

فإن قلت: وما السحق؟

قلنا: تفرق تركيبك تحت القهر لأجل الزاجر.

فإن قلت: وما الزاجر؟

قلنا: واعظ الحق في قلب المؤمن وهو الداعي بحكم الزمان.

فإن قلت: وما الزمان؟

قلنا: السلطان فإنه قد يحول بينك وبين الذهاب.

فإن قلت: وما الذهاب؟

قلنا: غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه كان المحبوب ما كان قبل الفصل.

فإن قلت: وما الفصل؟

قلنا: فوت ما ترجوه من محبوبك وهو عندنا تميزك عنه بعد حال الاتحاد الذي هو نتيجة المجاهدة.

فإن قلت: وما المجاهدة؟

قلنا حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال ولكن لا يتمكن له مخالفة الهوى إلا بعد الرياضة.

فإن قلت: وما الرياضة؟

قلنا: رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهي صحة المراد به وبالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية وذلك عن علة.

فإن قلت :وما العلة؟

قلنا: تنبيه الحق لعبده بسبب وبغير سبب وهو من عين اللطف وتسمية أهل الطريق اللطيفة.

فإن قلت: وما اللطيفة؟

قلنا: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لاتساعها العبارة وهي المؤدية إلى التفريد، وقد يطلقون اللطيفة على حقيقة الإنسان.

فإن قلت: وما التفريد؟

قلنا: وقوفك بالحق معك ومن شرطه التجريد.

فإن قلت: ما التجريد؟

قلنا: إماطة السوى والكون عن القلب والسر من أجل حكم الفترة.

فإن قلت: وما الفترة؟

قلنا : خمود نار البداية المحرقة وهي حالة تشبه حالة الوقفة التي للواقفين.

فإن قلت: وما السر؟

قلنا: سر العلم بإزاء حقيقة العالم به وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه وسر الحقيقة بإزاء ما يقع به الإشارة من الروح.

فإن قلت: وما الروح؟

قلنا: الملقى إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص يتلقاه منه النفس.

فإن قلت: وما النفس؟

قلنا: ما كان معلوما من أوصاف العبد بحكم الشاهد.

فإن قلت وما الشاهد؟

قلنا: ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد وهو على صورة ما يضبطه القلب من رؤية المشهود وعلى الشاهد يرد لوارد.

فإن قلت: وما الوارد؟

قلنا: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل وكل ما يرد على القلب كل اسم إلهي وهو الذي يعطي أحيانا حق اليقين.

فإن قلت: وما حق اليقين؟

قلنا: ما حصل من العلم بالعة ولكن بعد عين اليقين.

فإن قلت: وما عين اليقين؟

قلت: ما أعطته المشاهدة والكشف ابتداء بعد علم اليقين.

فإن قلت: وما علم اليقين؟

قلنا: ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر.

فإن قلت: وما الخاطر؟

قلنا: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان أو غير رباني ولكن من غير إقامة فإن أقام فهو حديث نفس فصاحبه مفتقر إلى النفس.

فإن قلت: وما النفس؟

قلنا: روح يسلطه الله على نار القلب ليطفئ شررها لأجل سلطان الحقيقة.

فإن قلت: وما الحقيقة؟

قلنا: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[1] فكأنه حال البعد.

فإن قلت: وما البعد؟

قلنا: الإقامة على المخالفات وقد يكون البعد منك وتختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يعطيه قرائن الأحوال، وكذلك القرب.

فإن قلت: وما القرب؟

قلنا: القيام بالطاعة وقد يطلق على حقيقة قاب قوسين وهو قدر الخط الذي يقسم قطري الدائرة فيشقها بقسمين وهو غاية القرب المشهود لا يدركه إلا صاحب إثبات لا صاحب محو.

فإن قلت: فما المحو وما الإثبات؟

قلنا: الإثبات إقامة أحكام العبادات وإثبات المواصلات وأما المحو فرفع أوصاف

---

(١) سورة هود، الآية ٥٦.

العادة وإزالة العلة وهو أيضا ما ستره الحق ونفاه عنه يكون الذوق.

فإن قلت: وما الذوق؟

قلنا: أول مبادئ التجلي المؤدي إلى الشرب.

فإن قلت: وما الشرب؟

قلنا: الوسط من التجلي من مقام يستدعي الري وقد يكون من مقام لا يستدعي الري وقد يكون مزاج الشارب لا يقبل الري.

فإن قلت: وما الري؟

قلنا: غايات التجلي في كل مقام فإن كان المشروب خمرا أدى إلى السكر.

فإن قلت: وما السكر؟

قلنا: غيبة بوارد قوي مفرح يكون عنه الصحو في الكبير.

فإن قلت: فما الصحو؟

قلنا: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي.

فإن قلت: وما الغيبة؟

قلنا: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحضور.

فإن قلت: وما الحضور؟

قلنا: حضور القلب بالحق عند غيبته فيتصف بالفناء.

فإن قلت وما الفناء؟

قلنا: فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك وهو شبه البقاء.

فإن قلت: وما البقاء؟

قلنا: رؤية العبد قيام الله على كل شيء من عين الفرق.

فإن قلت: وما الفرق؟

قلنا: إشارة إلى خلق بلا حق وقيل مشاهدة العبودة وهو نقيض الجمع.

فإن قلت: وما الجمع؟

قلنا: إشارة إلى حق بلا خلق وعليه يرد جمع الجمع.

فإن قلت: وما جمع الجمع؟

قلنا: الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال.

فإن قلت: وما الجمال؟

قلنا: نعوت القهر من الحضرة الإلهية الذي يكون عنده الوجود.

فإن قلت: وما الوجود؟

قلنا: وجدان الحق في الوجد، فإن قلت وما الوجد؟

قلنا: ما يصادف القلب من الأحوال المغنية له عن شهوده وإن تقدمه التواجد.

فإن قلت: وما التواجد؟

قلنا: استدعاء الوجد وإظهار حالة الوجد من غير وجد لأنس يجده صاحبه.

فإن قلت: وما الأنس؟

قلنا: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب وهو جلال الجمال، فإنه لا يكون عنه الهيبة.

فإن قلت: وما البسط؟

قلنا: هي مشاهدة جمال الله في القلب وأكثر الطبقة يرون الأنس والبسط من الجمال، وليس كذلك.

فإن قلت: وما البسط؟

قلنا: هي مشاهدة جمال الله في القلب وأكثر الطبقة يرون الأنس والبسط من الجمال وليس كذلك.

فإن قلت: وما البسط؟

قلنا: هو عندنا من يسع الأشياء ولا يسعه شيء، وقيل هو حال الرجاء وقيل هو وارد توجيه إشارة إلى عتاب وتأديب وقيل أخذ وارد الوقت وهاتان الحالتان قد توجدان لأهل المكان.

فإن قلت: وما المكان؟

قلنا: منزلة في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجاوزوها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت.

قيل: لأبي يزيد كيف أصبحت؟

قال: لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة ولا صفة لي.

واختلف أصحابنا في هذا القول هل هو شطح أو ليس بشطح، فإن المكان اقتضاه له.

فإن قلت: وما الشطح؟

قلنا: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين أهل الشريعة.

فإن قلت: وما الشريعة؟

قلنا: عبارة عن الأمر بالتزام العبودية الذي لا يكون معها عين التحكم.

فإن قلت: وما عين التحكم؟

قلنا: تحدي الولي بما يريده إظهار المرتبة لأمر يراه فيزعجه.

فإن قلت: وما الانزعاج؟

قلنا: أثر الواعظ الذي في قلب المؤمن وفي أصحاب الأحوال التحرك للوجد والأنس.

فإن قلت: وما الحال؟

قلنا: هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل بعد المثل إلى أن يصفو وقد لا يعقبه المثل ومن هنا نشأ الخلاف بين الطائفة في دوام الأحوال، فمن رأى تعاقب الأمثال ولم يعلم أنها أمثال قال بدوامه واشتقه من الحلول ومن لم يعقبه مثل قال بعدم دوامه واشتقه من حال يحول إذا زال وأنشدوا في ذلك:

لو لم تحل ما سميت حالا   وكل ما حال فقد زالا

وقد قيل: الحال تغير الأوصاف على العبد فإذا استحكم وثبت فهو المقام.

فإن قلت: وما المقام؟

قلنا: وقتا يريدون به أدب الشريعة ووقتا أدب الخدمة ووقتا أدب الحق، فأدب الشريعة الوقوف عند مراسمها وهي حدود الله وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها برؤية مجريها وأدب الحق أن تعرف مالك ومالـه والأديب من كان بحكم الوقت أو من عرف وقته.

فإن قلت: وما الوقت؟

قلنا: ما أنت به من غير نظر إلى ماض ولا إلى المستقبل هكذا حكم أهل الطريق.

فإن قلت: وما الطريق عندهم؟

قلنا: عبارة عن مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها من عزائم ورخص في أماكنها فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة فإن كثيرا من أهل الطريق لا يقول بالرخص وهو غلط فإنه يفوته محبة الله في إتيانها فلا يكون له ذوق فيها فهو كمثل الذي يقضي ولا يتنفل دائما وهو غاية الخطأ بل المشروع أن يتطوع، فإن نقصت فرائضه كلمت له من تطوعه وهو النوافل وإن لم ينتقص منها شيئا كانت له نوافل كما نواها ويحصل له ذوق محبة الله إياه من أجلها فقد أبطل شرع الله من لم تكن هذه حاله.

فإنه إن كانت فريضته تامة لم يجز قضاؤها فقد شرع ما لم يشرع له ولم يأذن به الله، وأن الله ما يكتبها له نافلة فإنه ما نواها وقد أساء الأدب مع الله حيث سماها الله تطوعا، وقال هذا قضاء فلا يحصل له ثمرة النوافل لأنها غير منوية ولا ورد في ذلك شرع أنه يكتب له ما نواه قضاء نافلة هذا هو الطريق الذي يكون فيه سفر القوم.

فإن قلت: وما السفر؟

قلنا: القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر بحق أو بنفس كيف كان يسمى مسافرا.

فإن قلت: وما المسافر؟

قلنا: هو الذي سافر بفكره في المعقولات، وهو الاعتبار في الشرع فعبر من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى وهو العامل السالك.

فإن قلت: وما السالك؟

قلنا: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وهو العمل فكان له عينا، قال ذو النون لقيت فاطمة النيسابورية فما ذكرت لها مقاما إلا كان ذلك المقام لها حالا، وقد يحصل هذا للمراد والمريد.

فإن قلت وما المراد وما المريد؟

قلنا: المراد عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمر له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة، وأما المريد عندنا فنطلقه على شخصين الحالين الواحد من سلك الطريق بمكابدة ومشاق ولم تصرفه تلك المشاق عن طريقه والآخر من تنفذ إرادته في الأشياء وهذا هو المتحقق بالإرادة لا المراد.

فإن قلت: وما الإرادة؟

قلنا: لوعة في القلب يطلقونها ويريدون بها إرادة التمني وهي منه وإرادة الطبع ومتعلقها الحظ النفسي وإرادة الحق ومتعلقها الإخلاص وذلك بحسب الهاجس:

فإن قلت: وما الهاجس؟

قلنا: الخاطر الأول هو الخاطر الرباني الذي لا يخطئ أبدا ويسمونه السبب الأول ونقر الخاطر فهذا قد بينا لك ارتباط المقامات والمراتب بضرب من التناسب وتعلق بعضها ببعض وقليل من سلك في إيضاحها هذا المسلك وهذا مساق المسلسل في لغات العرب وهي طريقة غريبة أشار إليها إبراهيم بن أدهم وغيره رضي الله عنهم وبان منها شرح ألفاظ اصطلاح القوم فحصل من ذلك منها فائدتان الواحدة معرفة ما اصطلحوا عليه والثاني المناسبات التي بينهما والله الموفق.

السؤال الرابع والخمسون ومائة: ما تأويل أم الكتاب فإنه ادخرها من جميع الرسل له ولهذه الأمة؟

الجواب: الأم هي الجامعة منها أم القرى والرأس أم الجسد، يقال أم رأسه لأنه مجموع القوى الحسية والمعنوية كلها التي للإنسان وكانت الفاتحة أما لجميع الكتب المنزلة وهي القرآن العظيم أي المجموع العظيم الحاوي لكل شيء وكان محمد ﷺ قد أوتي جوامع الكلم.

فشرعه تضمن جميع الشرائع وكان نبيا وآدم لم يخلق فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء عليهم السلام هم إرساله ونوابه في الأرض لغيبة جسمه ولو كان جسمه موجودا لما كان لأحد شرع معه.

وهو قوله: لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾[1] ونحن المسلمون وعلماؤنا الأنبياء ونحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها وشرعه أصلها وأرسل إلى الناس كافة ولم يكن ذلك لغيره.

والناس من آدم إلى آخر إنسان وكانت فيهم الشرائع فهي شرائع محمد ﷺ بأيدي نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له ولا حاكم إلا رجع إليه.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

واقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا لم يعطه أحد من نوابه ولابد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث أنه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه وزيادة وأعطاه أم الكتاب فتضمنت جميع الصحف والكتب وما ظهر بها فينا مختصرة سبع آيات تحتوي على جميع الآيات كما كانت السبع الصفات الإلهية تتضمن جميع الأسماء الإلهية كلها ويرجع كل اسم إلهي إلى واحد منها بلا شك.

وقد فعل ذلك الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني في كتاب «الجلي والخفي» وله فرد جميع الأسماء إليها وما وجد من الأسماء الإلهية لصفة الكلام إلا الاسم الشكور والشاكر خاصة وباقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تتضمنها بلا شك فمنها ما ألحقه بالعلم ومنها بالقدرة وسائر الصفات.

فكذلك أم الكتاب ألحق الله بها جميع الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء نواب محمد ﷺ فادخرها له ولهذه الأمة ليتميز على الأنبياء بالتقدم وأنه الإمام الأكبر وأمته التي ظهر فيها خير أمة أخرجت للناس لظهوره بصورته فيهم، وكذلك القرن الذي ظهر فيهم خير القرون لظهوره فيه بنفسه.

وقبل ذلك وبعده بشرعه فمن جمعية هذه الأمة أن جعل الله لأوليائها حظا في نعوت أهل البعد عن الله بطريق القربة فيقع الاشتراك في اللفظ والمعنى ويتغير المصرف كما قلنا في الحرص أنه مذموم.

فإذا حرصنا في طلب العلم والتقرب به إلى الله كان محمودا وهو بإطلاق اللفظ مذموم فإنه ما يستعمل مطلقا إلا في مذموم فإذا أريد به الحمد قيد فقيل حريص على الخير.

وهكذا الحسد يتعوذ منه مطلقا من غير تقييد فإنه بالإطلاق للذم ويستعمل في المحمود بالتقييد.

فلهذا جمع الله لأولياء هذه الأمة النظر في مثل هذا فحصلوا حظوظهم من أسماء الذم في الإطلاق حتى لا يفوتهم إذا كانوا الجامعين للمقامات كلها فلهم في كل أمر شرب وحظ

إذا جـاء نعـت أي نعـت فرضتــه ... لنـا فيـه حـظ وافـر ثـم مشـرب
سـواء يكـون النعـت في ذم حالــة ... وفي حمدهـا فـالكل للقـوم مطلـب
ألسـت تـرى أوصافـه في نعوتنـا ... وأوصافنـا نعـت لـه لا يكـذب
لـه فـرح في حالــة وتبشــش ... إلى ملـل قـد جاءنـا وتعجـب
وهـزؤ نسـيانه لـه وتـردد ... ومكـر وكيـد كـل ذاك مرتـب
كمـا كـان للعبـد الجـلال ومجـده ... وعـز وتعظيـم لديـه مرغـب
وهـذا مـن أوصـاف الإلـه فدبـروا ... كلامـي الـذي قـد قلت فيـه وطنبـوا
كذلـك نعـتي الأوليـاء مدحتـهم ... بمـا ذم عرفـا في الأنـام فنقبـوا
فمـن لنكـر العلـم الـذي قد شـرحته ... فليس هـو الشخص العليـم المقـرب

فمنهم الحاسدون قال عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين رجلا آتاه الله علما فهو يبثه في الناس ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل البر».

فقام أهل النفوس الآبية التي تأبى الرذائل وتحب الفضائل وجماع الخير فقالوا لا ينبغي الحسد إلا في معالي الأمور وأعلى الأمور ما تعرف إلا بأربابها ورب الأرباب وذووا الصفات العلى والأسماء الحسنى هو الله فيقال نتشبه به في التخلق بأسمائه ففعلوا وبالغوا واجتهدوا إلى أن صاروا يقولون للشيء كن فيكون وذلك أقصى المراتب التي تمدح الله بها فلولا الحسد ما تعمل القوم في تحصيل هذا المقام.

ومنهم الساحرون السحر بالإطلاق صفة مذمومة وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف وهو علم الأولياء فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال فهو وإن كان مذموما بالإطلاق صفة مذمومة وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف وهو علم الأولياء فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال.

فهو وإن كان مذموما بالإطلاق فهو محمود بالتقييد من باب الكرامات

وخرق العوائد ولكن لا يسمون سحرة مع أنه يشاهد منهم خرق العوائد فسمي ذلك في حقهم كرامة وهو عين السحر عند العلماء.

فقد كان سحرة موسى مازال عنهم علم السحر مع كونهم آمنوا برب موسى وهارون ودخلوا في دين الله وآثروا الآخرة على الدنيا ورضوا بعذاب الله على يد فرعون مع كونهم يعلمون السحر ويسمى عندنا علم السيمياء مشتق من السمة وهي العلامة أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات.

فمن الناس من يعطى ذلك كله في بسم الله وحده فيقول له ذلك مقام جميع الأسماء كلها وتنزل من هذا العبد منزلة كن وهي آية من فاتحة الكتاب ومن هناك تفعل لا من بسملة سائر السور وما عند أكثر الناس من ذلك خبر والبسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق وهي بسملة الفاتحة.

وأما بسملة سائر السور فهي لأمور خاصة وقد لقينا فاطمة بنت مثنى وكانت من أكابر الصالحين تتصرف في العالم ويظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب خاصة. كل شيء رأيت ذلك منها وكانت تتخيل أن تلك يعرفه كل أحد وكانت تقول لي العجب ممن يعتاص عليه شيء وعنده فاتحة الكتاب لأي شيء لا يقرؤها فيكون له ما يريد ما هذا إلا حرمان بين وخدمتها وانتفعت بها.

ومنهم الكافرون وهو الساترون مثل الملامية والكفار والزراعون لأنهم يسترون البذر في الأرض وذلك لأن أهل الأنس والجمال والرحمة إذا نظروا في القرآن وفي الأشياء كلها لم تقع عينهم إلا على حسن وجمال لا على غير ذلك كان ذلك ما كان.

وإذا قرءوا القرآن لم يقم لهم من صور الممقوتين إلا ما تتضمنه من مصارف الحسن فعلى ذلك تقع أعينهم وذلك يشهدهم الحق من تلك الآية التي وصف الله بها من مقته من عباده لقيام تلك الصفة به على حد مطلقها فيأخذون من كل صفة ما يليق بهم في طريقهم فيصرفون ذلك إليهم بالوجه الأحسن فيتنعمون بما

هو عذاب عند غيرهم والصورة واحدة والمتصور مختلف منها لاختلاف الناظرين فلكل منظر عين تخصه.

فالكافر من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة، والكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذه ببيته فقال ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي.

والله غيور فلا يريد أن يزاحمه أحد من خلقه فيه كما ختم الحرم فلم يحل لأحد قتل صيده ولا قطع شجره فإن الله لا ينظر لا ينظر إلا إلى قلب العبد.

فلما ختم الله على قلب هذا العبد لم يدخل في قلبه سوى ربه وختم على سمعه فلا يصغي إلى كلام أحد إلا إلى كلام ربه فهم عن اللغو معرضون وعلى بصره غشاوة وعلى غطاء العناية فلا ينظرون إلى شيء إلا ولهم فيه آية تدل على الله فكان هذا الحفظ غشاوة تحول بين أعينهم وبين النظر من غير دلالة ولا اعتبار وحالت بينهم وبين ما لا ينبغي أن ينظر إليهم فهي غشاوة محمودة ولهم عذاب من العذوبة عظيم يعني عظيم القدر.

فإن العذاب إنما سماه الله بهذا الاسم إيثار للمؤمن فإنه يستعذب ما يقوم بأعداء الله من الآلام فهو عذاب بالنظر إلى هؤلاء ومنهم الصم البكم العمي الذين لا يعقلون، ولا يرجعون فهم صم عن سماع ما لا يحل سماعه وعن سماع كل كلام غير كلام سيدهم بكم أي خرس فلا يتكلمون بما لا يرضي سيدهم.

كما كان أولئك بكم عن الكلام بذكر الله فاختلف المصرف وصح الوصف عمي فلا تقع عينهم على غير الله فاعلا في الأشياء وكل واحد من الأولياء على قدر مقامه في ذلك من المعرفة بالله فإنهم تختلف مآخذهم في المحمود من ذلك ولا يتسع الوقت لتفصيل ذلك.

وحصلت الفائدة بالتنبيه على اليسير من ذلك فهم لا يرجعون إلا إلى الله ولا يعقلون إلا عن الله لا يرجعون إلى المصارف المذمومة من هذه الصفات حيث وصف بها الأشقياء من عبادة فهم لا يعقلون من هذه الصفات سوى ما يحمد منها في

صرفه فهي كل صفة بحقيقتها في كل موصوف بها واختلفوا في المصرف فلم يكن اتصافهم بها مجازا بل هو حقيقة ومنهم الظالمون، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1].

والمصطفى هو الولي ثم قال المصطفين: «فمنهم ظالم لنفسه» وهو أن يمنعها حقها من أجلها أي الحق الذي لك يا نفسي علي في الدنيا نؤخره لك إلى الآخرة وبادر هنا إلى الكد والاجتهاد وخذ بالعزائم واجتنب الميل إلى الرخص وهذا كله حق لها فهو ظالم لنفسه من أجل نفسه ولهذا قال فيمن اصطفاه: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[2] اي من أجل نفسه ليسعدها فما ظلمها إلا لها ومنهم الساهون: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[3] بصلاة الله بهم.

فهم يرون أن نواصيهم بيد الله يقيمهم فيها ويركع بهم ويسجد بهم ويقرأ بهم ويكبر بهم ويسلم بهم لأنه سمعهم وبصرهم ولسانهم ويدهم ورجلهم.

كما ورد في الخبر ومن كان هذا مشهده وحاله فهو عن صلاته ساه فإنه لم يقل عن الصلاة فإنه ليس بساه عن الصلاة وإنما سهوهم عن إضافة الصلاة إليهم فلهذا اعتبروا قوله: ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[4].

والويل الذي لهم إنما هو بالنظر لمن جمع في نظره بين صلاته وصلاة الله به فإنه الأكمل فإذا قست بين الرجلين في هذين المقامين الكبيرين نقص أحدهما ما كان خيرا في حق الآخر الجامع لهما فيكون ذلك النقص ويلا له بالإضافة حسنات الأبرار سيئات المقربين وجزاء سيئة سيئة مثلها.

ومنهم المراءون الذين يراءون الناس وهم الذين يفعلون الفعل ليقتدي بهم فيه علماء هذه الأمة يعلمون الناس بالفعل يقصدون تعليمهم إذا كان الفعل أتم عند الرائي من القول، كما قال عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» مع كونه وصف الصلاة لهم ومع هذا كله صلى على المنبر ليراه الناس فيقتدوا به.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٣) سورة الماعون: الآية ٥.

(٤) سورة الماعون: الآية ٥.

وهكذا في كل ما يمكن من الأعمال هذا حظ الأولياء من الرياء في الأفعال المقربة إلى الله.

ومنهم المانعون الماعون وحظهم من هؤلاء أن يحجبوا الناس عن رؤية الأسباب ليصرفوا نظرهم إلى مسببها فلا معين إلا الله.

قيل لهم قولوا ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] لا بالماعون.

ومنهم الهمازون اللمازون وهم العيابون أولياء الله يطلعون على شخص على عيوب النفس إذ كان لا يشعر كل أحد بذلك فإذا أخذ العارف يصف عيوب النفوس في حق كل طائفة من أصحاب المراتب كالسلطان وما يتعلق بمرتبته من العيوب والقاضي جميع الولاة وعيوب نفوس الزهاد والصالحين والعوام فيعرف كل طائفة عيبها بعدما كان مستورا عنها هذا حظهم من الهمز واللمز.

ومنهم الفاسقون والناقضون والقاطعون المفسدون الفاسقون الخارجون عن الصفات التي تحول بينهم وبين السعادة والقربة إلى الله فهم ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وذلك أنهم يعهدون مع الله أن يطيعوه فإذا حصلوا في مقام التقريب والكشف رأوا أن الله هو العامل بهم والله خلقكم وما تعملون فرأوا أنهم لا حول لهم ولا فعل ولا قول فنقضوا عهد الله برده إليه سبحانه لأنه ما انعقد ذلك إلا مع فاعل يفعله.

ورأوا مشاهدة أن الله هو الفاعل ذلك فلم يقع العهد في نفس الأمر إلا من الله بين الله وبين نفسه فعلموا أن الحجاب أعماهم عن هذا الإدراك في حين أخذ العهد إنما يلزم لأهل الحجاب فانتقض عهدهم والأعمال تجري منهم بالله وهم لا يرونها فهم المعصومون في أعمالهم عن إضافتها إليهم.

وكذلك في قطعهم ما أمر الله أن يصلوه من أرحامهم فقال عليه السلام: «الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله» فوصلوها بالرحمن وردوا القطعة إلى موضعها فشاهدوا الرحمن يتمن عليهم وخرج هؤلاء من الوسط

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٥.

وامتثلوا قول الشارع بصلة الرحم فأخذها الناس على صلة القرابة بالمال ويأخذ هؤلاء على صلة القربى إلى الله.

فهم يدلون أرحامهم على أصلهم وهو الرحمن ويرون في إعطائهم الصلات يد الله معطية ويد الله آخذة فإنها شجنة من الرحمن فالعطاء منه والأخذ منه فانقطع هؤلاء عن صلة الرحم بالمال لأنهم لا يد لهم مع غاية الإحسان في الشاهد والناس لا يشعرون.

وكذلك قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١]، وفساد دنياهم هو فسادهم في الأرض لأن الجنة في السماء وفي هذا الفساد صلاح آخرتهم في السماء فيصومون ويسهرون ويحملون الأثقال الشاقة وهذا كله من فساد ارض أجسامهم لما طرأ عليها من النحول والذبول والضعف وهذا كله وصف أهل الشقاء في الكتاب فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٢] ثم وصفهم ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣].

ومنهم الضالون وهم الحائرون التائهون في جلال الله وعظمته كلما أرادوا أن يسكنوا فتح لهم من العلم به ما حيرهم وأقلقهم فلا يزالون حيارى لا ينضبط لهم منه ما يسكنون عنده بل عقولهم حائرة فهؤلاء هم الضالون الذين حيرهم التجلي في الصور المختلفة.

ومنهم المضلون، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٤] وهو في الاعتبار الذين أظهروا لاتباعهم من المتعلمين طريق الحيرة في الله والعجز عن معرفته وأنه بيده ملكوت كل شيء مع كونه خاطب عباده بالعمل وهو العامل بهم لا هم فلما نبهوا الناس على ما يقتضيه جلال الله من الإطلاق وعدم التقييد كانوا مضلين أي مجبرين من أجل ما حيروا الخلق في جلال الله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٤) سورة الكهف: الآية ٥١.

فقال تعالى: ما جعلناهم محيرين عضدا يعتضد بهم في تحييرهم بل أنا محيرهم على الحقيقة لا هم مع كونهم لهم أجر ما قصدوه والدليل على أني محيرهم لا هم ولا اتخذتهم عضدا أن من الناس من يقبل منهم ومن الناس من لا يقبل ولو كان الأمر بأيديهم لأثروا في الكل القبول.

فلما كان الأمر بيدي لا بأيديهم جعلت القبول في البعض دون البعض فقبلوا الحيرة في فأنا كنت محيرهم لا هم فعلى هذا يعتبر قوله: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾(١) بل لنأجرهم على ذلك.

ومنهم الكاذبون وهم الذين يقولون: صلينا وسمعنا وأطعنا وقيل لهم قولوا سمعنا وأطعنا وغير ذلك مما يدعونه من أعمال البر المأمور بها شرعا وهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنه لولا ما أجرى الله العمل على أيديهم ما ظهر ولولا أن الله قال لهذا العمل كن في هذا المحل ما كان وهم مع ذلك يضيفونه إلى أنفسهم فهم كاذبون من هذا الوجه، وهكذا يسري في سائر الأعمال.

ومنهم المكذبون وهي الطائفة التي ترى هؤلاء المدعين في أعمالهم ممن يراها أنها أعمالنا وممن يراها أنها من الله ولكن يدعونها وهم كاذبون فتكذيبهم هذه الطائفة في دعواهم وإضافتهم ذلك إليهم فيقال فيهم مكذبون والكامل من يضيف الأعمال على حد ما أضافها الحق ويزيلها عن الإضافة على حد ما أزلها الحق من علمه بالمواطن فمن نقص عن هذا النظر وكذب المدعين في كل حال فقد نقصه هذا الأدب مع كونه جليل القدر فهذا النقص يعبر عنه بالويل في حقه الذي في العموم للمكذبين.

فإنه يقول يوم القيامة إذا رأى ما فاته في تكذيبه من المواطن التي كان ينبغي له أن يقرر فيها إضافة العمل إليهم فلم يفعل يا ويلنا لم لم أحقق النظر في ذلك حتى أفوز بعلم الأدب الذي هو جماع الخير فيدخل تحت عموم قوله: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الكهف، الآية ٥١.

(٢) سورة الطور: الآية ١١.

أي يقولون يا ويلتا ويا حسرتا وإن كانوا سعداء فإنه يوم التغابن، ومن الفجار فإنهم في سجين من السجن وهم الذين حبسوا نفوسهم وسجنوها عن التصرف فيما منعوا من التصرف فيه ولا يقع التفجير إلا في محبوس عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا فهم الفجار جاءوا عيون المعارف التي سدها الله في العموم لكون الفطر أكثرها لا تسعد بتفجيرها لما يؤدي إليه بالنظر الفاسد من الإباحة والقول بالحلول وغير ذلك مما يشقيهم.

فجاءت هذه الطائفة إلى المعنى ففجرت هذه العيون لأنفسها فشربت من مائها فزادت هدى إلى هداها وبيانا إلى بيانها فسعدت وطالت وعظمت سعادتها فهذا حظ الأولياء من الفجور الذي سموا به فجاروا.

على هذا الأسلوب نأخذ كل صفة مذمومة بالإطلاق فتقيدها فتكون محمودة ونضع عليك اسما منها كما يسمى صاحب إطلاقها فلتتبع الكتاب العزيز والسنة في ذلك واعمل بحسبها فإنه يعطيك النظر فيها من حيث ما وصف بها الأشقياء ما لا يعطيك من حيث ما وصف بنقيضها الأتقياء فاجعل بالك وهذا كله من بركة أم الكتاب فإنه مثل هذا النظر ما فتح لأمة من الأمم وعصمت فيه إلا لهذه الأمة وأعظم صفة في الذم الشرك.

ومنهم المشركون بالله، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ ﴾[1]، وكذا هو لأنه لو ستر لم يشرك به وهذا الاسم الله هو الذي وقع عليه الشرك فيما يتضمنه فشاركه الاسم الرحمن قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[2].

فجعل للاسم الله شريكا في المعنى وهو الاسم الرحمن فالمشركون هم الذين وقعوا على الشركة في الأسماء الإلهية لأنها اشتركت في الدلالة على الذات وتميزت بأعيانها بما تدل عليه من رحمة ومغفرة وانتقام وحياة وعلم وغير ذلك.

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

وإذ كان للشرك مثل هذا الوجه فقد قرب عليك مأخذ كل صفة يمكن أن تغفر فلا تجزع من أهل الشريك الذي شقى صاحبه فإن ذلك ليس بمشرك حقيقة وأنت هو المشرك على الحقيقة لأنه من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيه فيكون لكل واحد الحكم فيه على السواء وإلا فليس بشريك مطلق.

وهذا الشريك الذي أثبته الشقي لم يتوارد مع الله على أمر يقع فيه الاشتراك فليس بمشرك على الحقيقة بخلاف السعيدة فإنه أشرك الاسم الرحمن بالاسم الله وبالأسماء كلها في الدلالة على الذات فهو أقوى في الشرك من هذا فإن الأول شريك دعوى كاذبة وهذا أثبت شريكًا بدعوى صادقة فغفر لهذا المشرك بصدقه فيه ولم يغفر لذلك المشرك لكذبه في دعواه فهذا أولى باسم المشرك من الآخر.

السؤال الخامس والخمسون ومائة: ما معنى المغفرة التي لنبينا وقد بشر النبيين بالمغفرة؟

الجواب: الغفر الستر فستر عن الأنبياء عليهم السلام في الدنيا كونهم نوابًا عن رسول الله ﷺ وكشف لهم عن ذلك في الآخرة إذ قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة» فيشفع فيهم ﷺ أن يشفعوا.

فإن شفاعته ﷺ في كل مشفوع فيه بحسب ما يقتضيه حاله من وجوه الشفاعة فبشر النبيين بالمغفرة الخاصة وبشر محمدًا ﷺ بالمغفرة العامة وقد ثبتت عصمته فليس له ذنب يغفر فلم يبق إضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب والقصد أمته كما قيل إياك أعني فاسمعي يا جاره.

وكما قيل له: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[1] ومعلوم أنه ليس في شك فالمقصود من هو في ذلك من الأمة، وكذلك ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2]، وقد علم أنه لا يشرك فالمقصود من أشرك

---

(١) سورة يونس، الآية ٩٤.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٥.

أشرك فهذه صفته فكذلك قيل له: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1].

وهو معصوم من الذنوب فهو المخاطب بالمغفرة والمقصود من تقدم من آدم إلى زمانه وما تأخر من الأمة من زمانه إلى يوم القيامة فإن الكل أمته فإنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع من الله.

وقد قررنا أن ذلك هو شرع محمد ﷺ من اسمه الباطن حيث كان نبيا وآدم بين الماء والطين وهو سيد النبيين والمرسلين فإنه سيد الناس وهم من الناس وقد تقدم تقرير هذا كله فبشر الله محمداً ﷺ بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] بعموم رسالته إلى الناس كافة، وكذلك قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾[3].

وما يلزم الناس رؤية شخصه فكما وجه في زمان ظهور جسمه رسوله عليا ومعاذا إلى اليمن لتبليغ الدعوة.

كذلك وجه الرسل والأنبياء إلى أممهم من حيث كان نبيا وآدم بين الماء والطين فدعا الكل إلى الله، فالناس أمته من آدم إلى يوم القيامة فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس وما تأخر منهم، فكان هو المخاطب والمقصود الناس فيغفر الله للكل ويسعدهم وهو اللائق بعموم رحمته التي وسعت كل شيء وبعموم مرتبة محمد ﷺ حيث بعث إلى الناس كافة بالنص ولم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة ولا إلى أهل هذا الزمان يوم القيامة خاصة وإنما أخبره أنه مرسل إلى الناس كافة.

والناس من آدم إلى يوم القيامة فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدم من ذنب وما تأخر والله ذو الفضل العظيم.

لكن ثم مغفرة في الدنيا وثم مغفرة في القبر وثم مغفرة في الحشر وثم مغفرة في النار بخروج منها وبغير خروج لكن يستر عن العذاب أن يصل إليه بما يجعل له من النعيم في النار مما يستعذبه فهو عذاب بلا ألم.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢.

(٣) سورة سبأ: الآية ٢٨.

وقد انتهت سؤالاته رضي الله عنه وانتهى ما ذكرناه من الأجوبة عليها من غير استيفاء وما تركناه من ذلك في الجواب أكثر مما أوردنا بما لا يتقارب.

فإن الاختصار أولى من الإكثار إذ باب النطق والإبانة عن حقائق الأمور لا يتناهى فإن علم الله أوسع فتعليمه لنا لا يقف عند حدو الله الموفق لا رب غيره انتهى الجزء الحادي والتسعون.

الفهرس

([١]) سورة البقرة، الآية ١٥٢.